



مدخل إلى
الاستشراق المعاصر وعلم الحديث

د. فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني
كلية التربية - جامعة الملك سعود

كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز
للدراسات الإسلامية المعاصرة

مدخل إلى
الاستشراق المعاصر وعلم الحديث

د. فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني

أستاذ مشارك في الحديث وعلومه

باحث بكرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة

كلية التربية – جامعة الملك سعود – الرياض

ح كرسي الامير سلطان بن عبدالعزيز للدراسات الاسلامية المعاصرة ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البيانوني ، فتح الدين محمد ابو الفتح
مدخل الى الاستشراق المعاصر و علم الحديث. / فتح الدين محمد ابو الفتح البيانوني .- الرياض ، ١٤٣٣هـ
..ص ؛ ..سم

ردمك: ٠-٢٧-٨١١٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الاستشراق و المستشرقون ٢- الحديث - دفع مطاعن
أ.العنوان

ديوي ٢٣١,٩٠١ ١٤٣٣/٣٤٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٣٤٤٠
ردمك: ٠-٢٧-٨١١٠-٦٠٣-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى
الاستشراق المعاصر وعلم الحديث

د. فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني

أستاذ مشارك في الحديث وعلومه

باحث بكرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة

كلية التربية – جامعة الملك سعود – الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي تكفل بحفظ هذا الدين، من خلال حفظ مصدريه الرئيسين: كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأمين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبي الهدى والرحمة الذي بشرنا بحفظ سنته المطهرة من التحريف والتأويل، فقال: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[١]، ورضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين، وآل بيته الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد أولى الاستشراق الحديث النبوي الشريف وعلومه اهتماما واسعا في القرنين الأخيرين —الرابع عشر والخامس عشر الهجري/التاسع عشر والعشرين الميلادي-، وقد جاء اهتمام المستشرقين بالحديث النبوي متأخرا نوعا ما بعد أن شغلوا فترة بالدراسات اللغوية والتاريخية. وقد تمثل اهتمام المستشرقين بعلم الحديث في ثلاثة محاور، وهي: تحقيق المخطوطات؛ وإعداد الأبحاث والدراسات؛ وترجمة نصوص الحديث الشريف وبعض الكتابات المتعلقة بعلوم الحديث.

---

[١] مسند الشاميين للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ١/٣٤٤؛ والسنن الكبرى، للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، بلفظ "يرث" بدلا من "يحمل"، ١٠/٣٥٣. قال الخطيب: "سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، وقيل له كأنه كلام موضوع. قال: لا، هو صحيح سمعته من غير واحد". انظر كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان الشهير بالمتقي الهندي، تحقيق بكري حياني وصفوت السقا، (مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ١٠/١٧٦. وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي: "وتعدد طرقه يقضي بحسنه كما جزم به العلائي". انظر قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٤٨-٤٩.

وإذا كانت مناهج المستشرقين ومنطلقاتهم في دراسة العلوم الإسلامية قد تتشابه في بعض جوانبها، فدراسة المستشرقين لكل علم من تلك العلوم لها مناهجها ومنطلقاتها الخاصة بها، التي يجدر بالباحثين تخصيصها بالدراسة والبحث. وقد تعددت الكتابات الحديثة في بيان موقف المستشرقين من الحديث الشريف أو وعلومه، ومناقشة شبهاتهم حوله، نحو مناقشة شبهة تأخر تدوين السنة، وشبهة تطور الإسناد، وشبهة اعتماد المحدثين على نقد سند الحديث وإهمال نقد المتن، وغير ذلك من الشبهات[١]. كما تناولت بعض الدراسات نقد مناهج المستشرقين في دراستهم لعلم الحديث والسيرة النبوية[٢].

ومع أهمية تلك الكتابات في مناقشة شبهات المستشرقين والرد عليها، إلا أنه لا يمكن من خلالها منفردة فهم طبيعة اهتمام المستشرقين بالحديث الشريف، والحصول على تصور عام لدراساتهم في هذا المجال، وإنما يتطلب ذلك الوقوف على دراسات المستشرقين في علم الحديث والتعرف على شبهاتهم حوله، والاطلاع على الأبحاث التي قامت بمناقشة تلك

---

[١] انظر حول هذا الموضوع: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)؛ ومنهج النقد عند المحدثين: نشأته وتاريخه، د. محمد مصطفى الأعظمي، (شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)؛ والسيرة النبوية وأوهام المستشرقين، عبد المتعال محمد الجبري، (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)؛ والسنة مع المستشرقين والمستغربين، د. تقي الدين الندوي، (المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، (دار النفائس، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

[٢] انظر في هذا المجال: "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، (البعث الإسلامي، ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م)؛ و"المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات"، د. عماد الدين خليل، (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، د.م.، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ١/ ١١٥-٢٠١؛ و"المستشرق شاخت والسنة النبوية"، د. محمد مصطفى الأعظمي، (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية)، ١/٦٣-١١٠؛ والعيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة، د. خالد الدريس، (دار المحدث، الرياض، ١٤٢٥هـ).

الشبهات وردها، ثم الخروج بخلاصة مركزة حول طبيعة تلك الدراسات، والوقوف على أهم مرتكزاتها المنهجية الخاطئة، ومنطلقاتها الفكرية المنحرفة. وهذا مما يتعذر على كثير من طلبة العلم، نظرا لعدم اهتمامهم بهذا الموضوع في كثير من الأحيان، وقلة المراجع في هذا المجال، وكون كثير من كتابات المستشرقين حول علم الحديث خاصة ما زالت في لغاتها الأصلية، ولم تتم ترجمتها إلى اللغة العربية.

كما يلاحظ أن الدراسات السابقة في هذا الموضوع قد ركزت على كتابات المستشرقَين جولدتسيهر وشاخت[1] ومن سبقهما، ولا تكاد تتجاوزهما إلى المستشرقين المعاصرين الذين توفوا في أواخر القرن العشرين، أو أوائل القرن الحالي، نحو المستشرق جيمس روبسون، وغوتييه جوينبول، ومئير قسطر[2]، فضلا عن المعاصرين منهم. وهذا مما يجعل الصورة المعاصرة لدراسات المستشرقين في علم الحديث غير واضحة المعالم، مما قد يعطي انطباعا بعدم اهتمام المعاصرين بالعلوم الشرعية، كالقرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه، والعقيدة والفقه الإسلامي، وتحولهم إلى دراسة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للأمة الإسلامية.

ومع أن واقع الدراسات الاستشراقية المعاصرة يؤكد هذا التحول في اهتمامات المستشرقين، إلا أن ذلك لا يعني انصرافهم عن العلوم الشرعية، وقطع اهتمامهم بها. ولذلك أولى البحث عناية خاصة بالاستشهاد بكتابات المستشرقين المعاصرين في علم الحديث، كما أفرد فصلا مستقلا للتعريف بالمستشرقين المعاصرين الذين كان لهم اهتمام واضح بدراسة الحديث الشريف وعلومه، مع بيان ما قدموه من تحقيقات وترجمات، وكتب وأبحاث تتعلق بهذا العلم.

وقد اهتمت الجامعات الإسلامية في العصر الحديث بدراسة الاستشراق ومدارسه، وأسسوا أقساما خاصة بذلك، نحو قسم الاستشراق في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في

[1] انظر ترجمتهما في المبحث الخامس من هذا البحث.

[2] انظر ترجمتهم في المبحث الخامس من هذا البحث.

جامعة طيبة[1]، في المدينة المنورة، كما قامت بعض الجامعات بتدريس مادة الاستشراق، وخصصت مساقات خاصة لدراسة الاستشراق والسنة النبوية.

ومن هنا تأتي أهمية كتابة مدخل عام لدراسات المستشرقين المعاصرين في علم الحديث، يمكن من خلاله تقديم تصور عام عن جهود المستشرقين في علم الحديث، يعين على فهم موقفهم من هذا العلم، ومناقشة آرائهم وشبهاتهم حوله.

وسيقوم هذا البحث بالتعريف بالاستشراق وتاريخ اهتمام المستشرقين بدراسة علم الحديث وطبيعة ذلك الاهتمام وميادينه، وتجلية المناهج الخاطئة التي ارتكزت عليها دراسات المستشرقين، والأفكار المنحرفة التي انطلقوا منها في دراسة هذا العلم، وعرض نماذج لنتائج تلك المناهج والأفكار وآثارها في كتاباتهم، بحيث يتسنى للباحثين التركيز على تلك المناهج والأفكار في دراسة كتابات المستشرقين في علم الحديث الشريف، ومناقشة شبهاتهم حوله. فالتركيز على مناقشة المناهج المنحرفة والشبهات الرئيسة وتوضيح خطئها يساعد على رد كثير من الشبهات التفصيلية الناتجة عنها بشكل غير مباشر، وفي مقابل ذلك، فقد يؤدي الانشغال بدراسة الشبهات التفصيلية إلى تشويش الصورة الكلية لكتابات المستشرقين، والانشغال عما هو أهم وأولى.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الباحث قد قدم ورقة تتعلق بموضوع هذا البحث، بعنوان "مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث" في ندوة "الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم"[2]، كما تم نشر ما يتعلق من تلك

---

[1] أنشئ القسم أولا في المعهد العالي للدعوة الإسلامية، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٣/١٤٠٤هـ، ثم تحول اسم المعهد إلى "كلية الدعوة والإعلام". وبعد دمج فرعَيْ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الملك عبد العزيز في المدينة المنورة، في جامعة طيبة، عام ١٤٢٤/٥/١٠هـ، أصبح القسم شعبة في قسم العلوم الاجتماعية، إلى أن صدر قرار بجعله قسما مستقلا، بتاريخ ١٤٢٩/١٠/٣٠هـ. ولمزيد من المعلومات حول القسم يمكن زيارة موقعه على الإنترنت على العنوان التالي: (http://www.taibahu.edu.sa/cms/pages.aspx?pid=5552)، ٢٠١١/٦/١٤م.

[2] أقيمت الندوة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، في جامعة الشارقة، في دولة الإمارات العربية المتحدة، في ٢٥-١٤٢٦/٣/٢٦هـ، الموافق ٤-٢٠٠٥/٥/٥م.

الورقة بالجوانب المنهجية في دراسات المستشرقين لعلم الحديث، في مجلة التجديد التي تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا[1].

ويأتي هذا البحث ليستكمل جوانب الموضوع، بحيث يتم فيه التوسع في الموضوع الأصلي، وتخصيص مبحث حول المنطلقات الفكرية المنحرفة، وتقديم تعريف مختصر بأشهر المستشرقين المعاصرين المهتمين بدراسة علم الحديث.

وقد تقدم الباحث بمشروع هذا البحث إلى كرسي الأمير سلطان بن عبد لعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة –حيث يعمل حاليا– وتمت الموافقة على إنجازه ضمن المهام الموكلة إليه[2].

وتتجلى أهمية كتابة هذا المدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث فيما يأتي:

١- تقديمه تصورا عاما حول جهود المستشرقين في دراسة الحديث وعلومه في العصر الحديث.

٢- إسهامه في تحقيق الهدف الخامس من أهداف الكرسي المتمثل في "دراسة الأفكار المنحرفة والتيارات الهدامة ونقدها بأسلوب علمي".

٣- إمكانية الاستفادة منه في تدريس مادة الاستشراق والسنة النبوية، أو الاستشراق والدراسات الحديثية، التي اعتمدتها بعض الجامعات الإسلامية.

وتتلخص الأهداف التفصيلية لهذا البحث في الآتي:

١ -بيان تاريخ نشأة الاستشراق، وطبيعة اهتمامه بعلم الحديث.

٢ -تجلية المرتكزات المنهجية الخاطئة لدراسات المستشرقين في علم الحديث.

٣ -عرض أهم المنطلقات الفكرية المنحرفة لدراسات المستشرقين في علم الحديث.

٤ -التعريف بأشهر المستشرقين المعاصرين المهتمين بدراسة علم الحديث.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف سيستفيد البحث من آليات المنهج الاستقرائي، للتعرف على المستشرقين المهتمين بعلم الحديث في العصر الحديث، والاطلاع على كتاباتهم

---

[1] مجلة "التجديد"، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، ماليزيا، العدد العشرون، السنة العاشرة، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، ص٩٥-١٢٨.

[2] أنشئ كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة، عام ١٤٢٨هـ، وقد التحق الباحث بالعمل فيه ضمن برنامج استقطاب الأساتذة والباحثين، بتاريخ ١٤٣٠/١١/٧هـ.

ودراساتهم حوله، كما سيعمل على تطبيق المنهج التحليلي في دراسة بعض الكتابات الاستشراقية في علم الحديث، بغية الوقوف على المرتكزات المنهجية الخاطئة والمنطلقات الفكرية المنحرفة لدراسات المستشرقين في علم الحديث.

وقد تم ترتيب خطة البحث على النحو الآتي:

١ - مقدمة تبين أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والمنهج المتبع فيه، وعناصره الرئيسة.

٢ - المبحث الأول: تعريف الاستشراق ونشأته وتطوره.

٣ - المبحث الثاني: علاقة الاستشراق بعلم الحديث، والموقف من جهود المستشرقين.

٤ - المبحث الثالث: المرتكزات المنهجية الخاطئة لدراسات المستشرقين في علم الحديث.

٥ - المبحث الرابع: المنطلقات الفكرية المنحرفة لدراسات المستشرقين في علم الحديث.

٦ - المبحث الخامس: تعريف بأشهر المستشرقين المهتمين بعلم الحديث.

٧ - خاتمة تعرض لأهم نتائج البحث وتوصياته.

وفي ختام هذه المقدمة، يتقدم الباحث بالشكر الجزيل للإخوة القائمين على كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة، لموافقتهم على مشروع هذا البحث، وإدراجه ضمن الأبحاث الموكلة إلى الباحث خلال عمله في الكرسي، سائلا الله تعالى أن يجزيهم على ذلك خير الجزاء، وأن يبارك في جهودهم ويجعلها في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين.

المبحث الأول

تعريف الاستشراق ونشأته وتطوره.

يُعرِّف هذا المبحث بمصطلح "الاستشراق" في اللغة والاصطلاح، ويبين تاريخ نشأة حركة الاستشراق بشكل عام، وتاريخ ظهور المصطلحات المتعلقة به، كما يعرض لواقع الاستشراق في العصر الحاضر.

المطلب الأول: تعريف الاستشراق:

الاستشراق في اللغة لفظ مشتق من كلمة شرق، يقال: شَرَقَت الشمسُ تَشْرُق شُروقاً وشَرْقاً، بمعنى: طَلَعَت؛ واسم الموضع المِشْرِق. والتَّشْرِيقُ: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شَتّانَ بَيْن مُشَرِّقٍ ومُغرِّبٍ، وشَرَّقوا: ذهبوا إلى الشَّرْق أَو أتوا الشرق، وكل ما طلَع من المشرق فقد شَرَّق. والشرق والشَّرْقي: الموضع الذي تُشْرِقُ فيه الشّمسُ من الأرض[١].

ويرجع مصطلح "الشرق" إلى العصر الوسيط بل إلى العصور القديمة، حيث كان البحر المتوسط يقع في وسط العالم، ويقصد به البلاد الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط، وبقي هذا المصطلح حتى بعد انتقال مركز ثقل الأحداث السياسية إلى الشمال. و"الشرق" الذي يختص به الاستشراق يقع في الجانب الشرقي والجنوبي بالنسبة للعالم الغربي، ويشمل كذلك شمال غرب أفريقيا وما يسمى ببلاد المغرب العربي[٢]. ولعل السبب في إطلاق مصطلح "الشرق" على تلك البلاد في العصر الحديث، التمشي مع المصطلح السائد من جهة، وكون معظم البلاد التي يهتم بها الاستشراق يقع في شرق البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى.

---

[١] انظر لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى)، ١٠/١٧٤-١٧٥.

[٢] انظر الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه)، رودي بارت، ترجمة مصطفى ماهر، (القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ت)، ص ١١. نقلا عن الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، (معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢م)، ص١٥-١٦.

ويقابل كلمة "شرق" في اللغة العربية كلمة "Orient" في اللغة الإنجليزية التي تأتي اسما بمعنى: الشرق أو الموضع الذي تشرق منه الشمس؛ أو صفة بمعنى: شرقي؛ أو فعلا بمعنى: الاتجاه نحو الشرق، أو العمل على تحقيق الوعي أو المعرفة بتفاصيل وضع أو حالة معينة، أو العمل على تحديد علاقة خاصة أو موقف معين تجاه أمر ثابت معروف[١]. ومن مشتقاتها كلمة: "Orientate"، و"Orientation"، التي يتمركز معناها في اللغات الأوربية: الألمانية والإنجليزية والفرنسية حول طلب العلم والإرشاد والتوجيه. وهذا اعتراف بأن العلم (المعرفة والإرشاد) كان يطلب من هذه المنطقة التي خصها الله تعالى بظهور الديانات السماوية الثلاث: اليهودية والنصرانية والإسلام، وإذا أضفت إليها وسط آسيا وشرقها، وجدت الديانات غير السماوية، كالزرادشتية، والبوذية، والهندوسية، وغيرها. ولعل هذا هو السبب في اختيار المستشرقة زيغريد هونكه عبارة "شمس الله تشرق على الغرب" عنوانا لأهم مؤلفاتها، وليس "شمس العرب" كما جاء في الترجمة الخاطئة لهذا العنوان. كما أن محتوى الكتاب مبني على المعرفة الإسلامية، وليس المعرفة العربية وآداب لغة العرب[٢].

وبناء على ذلك يرى الدكتور السيد محمد الشاهد أن كلمة "الشرق" هنا لا يقصد بها الشرق الجغرافي، فالكلمة ذات مدلول معنوي لا مادي، ويشهد لذلك وقوع بعض أجزاء العالم الإسلامي في جهات أخرى بالنسبة للعالم الغربي. كما أن "الشرق" في اللغات الأوروبية يشار إليه بكلمة تتميز بطابع معنوي، وهي "Morgen land" وتعني بلاد الصباح، ومن مدلولاتها النور واليقظة، ويقابل ذلك كلمة "Abend land" وتعني بلاد المساء، ومن

---

[1] Cf. Chambers English Dictionary, 7th ed., 1990, p. 1012-1013.

[٢] انظر الخطاب الفلسفي المعاصر: من العام إلى الأعم، للدكتور السيد محمد الشاهد، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م)، ص١٦٣-١٦٥؛ و"الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين"، للسيد محمد الشاهد، مجلة الاجتهاد، عدد ٢٢، السنة السادسة، شتاء عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٩١-٢١١. نقلا عن موقع مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق:
(http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=1&RPID=1&LID=1), 10/6/2011.

مدلولاتها الظلام والراحة[1]. لكن بعض الباحثين يستبعد ربط لفظ "الشرق" بالنور والضياء، فالغرب "ينأى أن يومئ إلى أن الشرق أرض النبوات ومهبط الوحي ومهد الرسالات"[2].

ويذهب الدكتور الطيب بن إبراهيم إلى أن الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصص في ثقافته وتراثه، هو "الشرق الهوية"، وليس الشرق الجغرافي الطبيعي، وهو محور ما استهدفه علم الاستشراق ومصدر العناية والاهتمام، فهدف الاستشراق هو معرفة "الشرق الهوية والتاريخ" المتمثل في الإسلام والمسلمين تحديدا[3].

وقد غلب على مصطلح "الشرق" الطابع السياسي الاستعماري أكثر من الطابع اللغوي الجغرافي، فالسياسيون الغربيون يقسمون العالم إلى شرق وغرب، وهم يعنون بالغرب أنفسهم، ويعنون بالشرق أهل آسيا وإفريقيا الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم. فقد كان في العالم قديما قوتان تصطرعان وتتنازعان السيادة، وكان آخر فصول هذه الملحمة الصلات بين "الشرق" ممثلا في آسيا وإفريقيا، و"الغرب" ممثلا في أوروبا وأمريكا[4]. فالشرق مصطلح ابتدعه مفكرو الغرب، وليس حقيقة من حقائق الطبيعة، وإنما هو "كيان مشكل مكون" يطلق على مجموعة الأقطار المنتشرة في آسيا وبعض الأقطار في إفريقية، مما يطل على البحر الأبيض المتوسط، وبعض أجزاء أوروبا الشرقية، وذلك بالنظر إلى الروابط التاريخية والدينية واللغوية التي تربط بين هذه الأقطار[5].

---

[1] انظر الخطاب الفلسفي المعاصر، للدكتور السيد محمد الشاهد، ص١٦٢-١٦٣.

[2] انظر مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، للأستاذ محمد البشير مغلي، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ص٣٢-٣٣.

[3] انظر الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن إبراهيم، (دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٤م)، نقلا عن عرض سكينة بوشلوح لهذا الكتاب، المنشور في قسم المعرفة، في موقع الجزيرة على الإنترنت: (http://aljazeera.net)، بتاريخ: ١٤٢٦/١/٥هـ، الموافق: ٢٠٠٥/٢/١٥م.

[4] انظر المرجع السابق، ص٣٥.

[5] انظر الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٧، ٢٠٠٥م)، مقدمة المترجم ص٦، ومقدمة المؤلف ص٤٠، وكلامه حول شرقنة الشرق ص٨٠-٨٣؛ ومناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، للأستاذ محمد البشير مغلي، ص٣١-٣٣.

وكلمة الاستشراق على وزن استفعال، حيث أضيف إلى أصل الكلمة "شرق" الألف والسين والتاء الدالة على الطلب، فيكون المعنى طلب لغات الشرق وعلومه وأديانه وثقافته بشكل عام، وهذا خاص بغير الشرقيين الذين يدرسون الشرق وعلومه[1]. وهو مصطلح أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بشعوب أهل المشرق وتاريخهم، وأديانهم ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وجغرافية بلادهم وأرضهم، وحضارتهم وكل ما يتعلق بهم.

وقد عرف المستشرق رودي بارت"R. Paret"[2] الاستشراق "Orientalism" بأنه علم الشرق، أو علم العالم الشرقي، ويختص بفقه اللغة خاصة، ومكانه جغرافيا في الناحية الجنوبية الشرقية بالنسبة إلى أوروبا[3]. ويشير المستشرق برنارد لويس[4] إلى أن مصطلح

---

[1] انظر الخطاب الفلسفي المعاصر، للدكتور السيد محمد الشاهد، ص١٦١.

[2] رودي بارت "Rudi Paret" (١٩٠١-١٩٨٣م) مستشرق ألماني معاصر، ولد عام ١٩٠١م، درس في جامعة توبنجن، وتتلمذ في الدراسات العربية على المستشرق الألماني ليتمان. حصل على الدكتوراه الأولى عام ١٩٢٤م، وعلى دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة، عام ١٩٢٦م، ثم عين أستاذا في قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبنجن. شغل كرسي علوم الإسلام والساميات في جامعة بون عام ١٩٤١م، وعين أستاذا للساميات والإسلاميات في جامعة توبنجن عام ١٩٥١م، إلى أن أحيل إلى التقاعد عام ١٩٦٨. كان متعاطفا مع الإسلام، وبذل مجهودا كبيرا لتعريف الأوروبيين بحقيقة الإسلام وسيرة نبيه ﷺ. من أهم أعماله ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الألمانية بحسب الترتيب المتفق عليه ملتزما فيها الدقة، وإن جاءت على حساب الأناقة في العبارة الألمانية أحيانا. وقد ألحق بالترجمة مجلدا خصصه للتعليقات على المواضع المشكلة في فهم بعض الآيات، وخلاصة أبحاث المستشرقين في الدراسات القرآنية. له رسالة بعنوان: محمد والقرآن؛ ورسالة أخرى بعنوان: الإسلام والتراث الثقافي اليوناني. انظر موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م)، ص٦٢-٦٣.

[3] انظر الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ١١، نقلا عن الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، للدكتور ميشال جحا، ص١٥.

[4] برنارد لويس "Bernard Lewis". مستشرق معاصر، بريطاني الأصل أمريكي الجنسية، ولد في لندن عام ١٩١٦م، ودرس في جامعتها، وكان أستاذ الشرقين الأوسط والأدنى في جامعة لندن، منذ ١٩٤٩م. غادر لندن نهائياً للعمل في جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية أستاذاً للتاريخ الإسلامي في قسم دراسات الشرق الأدنى ابتداءً من أيلول ١٩٧٤م. من آثاره: الإسلام في التاريخ، ١٩٧٣م، عالم الإسلام، ١٩٧٦م. انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥٦-٥٧؛ والمستشرقون، نجيب العقيقي، (دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٨٠م)، ٢/١٤٣-١٤٥.

الاستشراق يستخدم بمعنيين اثنين: المعنى الأول يدل على مدرسة في الفن، وعلى مجموعة من الفنانين كانوا عبارة عن رحالة إلى الشرق، وترجع أصول معظمهم إلى أوروبا الغربية. والمعنى الثاني –وهو الأكثر شيوعا– يدل على اختصاص علمي يتعلق بدراسة العبرية، ثم بدأ المستشرقون يركزون اهتمامهم على لغات أخرى غير اللغات الأوروبية[1].

ويرى الطيب بن إبراهيم أن الاستشراق لا يعد تاريخاً أو جغرافيا فقط، ولا إنسانيا أو ثقافة فحسب، وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة. والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطاً عضوياً وتكاملياً مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بد له من إطار زمني ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري[2]. وقد لاحظ الأستاذ إدوارد سعيد ما يكتنف ميدان الدراسات الاستشراقية من نظرة غربية استعلائية تسعى إلى التغلب على العالم العربي والإسلامي والسيطرة عليه، فعرف الاستشراق بأنه: "نمط من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه"[3].

أما كلمة مستشرق "Orientalist" فهي –كما يقول المستشرق الألماني ألبرت ديتريش "A. Dietrich"[4]– تعني "الباحث الذي يسعى إلى دراسة الشرق وتفهمه. ولكي يتسنى له ذلك يتوجب عليه دراسة اللغات الشرقية وإتقانها. واللغات الشرقية عديدة، منها

[1] انظر مقال "مسألة الاستشراق"، برنارد لويس (الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة وإعداد: هاشم صالح، (دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م)، ص١٦١.

[2] انظر الاستشراق الفرنسي، الطيب بن إبراهيم، نقلا عن عرض سكينة بوشلوح لهذا الكتاب، في موقع الجزيرة على الإنترنت: (http://aljazeera.net).

[3] الاستشراق، إدوارد سعيد، ص١٢٠.

[4] ألبرت ديتريش "Albert Dietrich" (١٩١٢م–) مستشرق ألماني معاصر درس اللغة العربية وغيرها من الدراسات الشرقية في جامعة هامبرج، وحصل منها على شهادة الدكتوراه عام ١٩٣٧م، برسالة حول أوراق البردي العربية في مكتبة جامعة هامبورغ. وفي عام ١٩٥٩م عين أستاذا في كرسي الدراسات العربية في جامعة غوتنجن "Göttingen"، حتى تاريخ إحالته إلى التقاعد عام ١٩٨١م. انظر ترجمة مختصرة له في موسوعة ويكيبيديا باللغة الألمانية، على العنوان التالي:
http://de.wikipedia.org/wiki/Albert_Dietrich_(Arabist), 12/6/2011.

اللغات السامية وغير السامية، ومنها الميتة ومنها الحية... واللغة العربية من أهم اللغات الشرقية، فهي أهم لغة سامية، وهي لغة ما يزيد على المائة مليون عربي... وهي فوق ذلك كله لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي الذي يدين به أكثر من ٥٠٠ مليون نسمة من البشر"[١]. وقد عرف قاموس أكسفورد المستشرق بأنه "من تبحّر في لغات الشرق وآدابه"[٢]. كما عرفه الأستاذ إدوارد سعيد بأنه من "يقوم بتدريس الشرق، أو الكتابة عنه، أو بحثه —ويسري ذلك سواء أكان المرء مختصا بعلم الإنسان، أو بعلم الاجتماع، أو مؤرخا، أو فقيه لغة– في جوانبه المحددة أو العامة على حد سواء"[٣].

وهكذا يدخل في نطاق الاستشراق اللغات والآداب المنتمية لأكثر من نصف الجنس البشري، ولمدنيات عظيمة عدة. فهو يتناول عدة لغات منها اللغات السامية كالعربية والعبرية والسريانية، ومنها الفارسية والتركية، والهندية والصينية[٤].

وبناء على ما سبق فإن مصطلح "الاستشراق" يشير إلى حركة فكرية ثقافية يقودها عدد من المثقفين الغربيين غير المسلمين المعتنين بالدراسات العربية والإسلامية والشرقية بشكل عام. وهذا التصور لحركة الاستشراق بحيث تشمل العالم الشرقي على اختلاف أديانه وثقافاته ولغاته، وعدم تخصيصها بالدراسات المتعلقة بالإسلام والمسلمين، ينسجم مع تعريف قاموس أكسفورد الذي سبقت الإشارة إليه، كما يؤكده واقع الاستشراق الذي يهتم بالشعوب الشرقية عموماً، والتي تضم الهند وجنوب شرق آسيا والصين واليابان وكوريا، إضافة إلى العالم الإسلامي. وقد بدأت المؤسسات العلمية في الغرب تخصص مناطق الشرق الأقصى بدراسات خاصة بها، مثل الدراسات الصينية أو الدراسات الهندية أو الدراسات اليابانية، وهكذا[٥].

---

[١] الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص١٦.

[٢] المستشرقون البريطانيون، للدكتور ا. ج. آربري، تعريب محمد الدسوقي النويهي، (وليم كولينز، لندن، ١٩٤٦م)، ص٨.

[٣] الاستشراق، إدوارد سعيد، ص٣٨.

[٤] انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص١٧.

[٥] انظر موقع مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق:
(http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=1&RPID=1&LID=1**),** 10. 6. 2011.

وقد تعددت تعريفات الباحثين المسلمين للاستشراق، فقد عرفه الدكتور فالح الصغيّر بأنه: "اتجاه فكري غربي؛ يقوم بدراسة حضارة الأمم من جوانبها الثقافية، والفكرية، والدينية، والاقتصادية، والسياسية كافة، لغرض التأثير فيها"[1].

ويلاحظ في هذا التعريف ما يأتي:

١ -تخصيصه لحركة الاستشراق بالغرب، فلا تشمل غير المسلمين من الأمم الشرقية عامة، أو العرب خاصة.

٢ -تعميم مجال الدراسات الاستشراقية بحيث تشمل جميع الأمم والحضارات.

٣ -إبرازه لهدف واحد للدراسات الاستشراقية، وهو التأثير في الأمم التي تتم دراستها.

كما يلاحظ من تعريفات بعض الباحثين لمصطلح الاستشراق تخصيصهم له بدراسات الغربيين عن الإسلام خاصة، دون الإشارة إلى غيرها من الدراسات المتعلقة بباقي شعوب العالم الشرقي، كالصين، واليابان وغيرها. ومن ذلك تعريف بعض الباحثين للمستشرقين بأنهم الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية[2]؛ وتعريفهم للاستشراق بأنه: دراسات "أكاديمية" يقوم بها غربيون كافرون للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب: عقيدة وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخا، ونظما، وثروات، وإمكانيات[3].

ولعل السبب في ذلك أن هذا الجانب من الاستشراق هو ما يهتم به الباحثون المسلمون، فالذي يعنينا -كما يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق- "هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق، الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه

---

[1] الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، الدكتور فالح بن محمد الصغيّر، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ)، ص٦.

[2] انظر إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، (دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م)، ص٥.

[3] انظر رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب، (المنتدى الإسلامي، لندن، ط٢، ١٤١١هـ)، ص٧.

وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام. وهذا هو المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي، عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق"[١].

ويرى بعض الباحثين تعميم مصطلح الاستشراق من حيث مصدره، فيصنفونه من حيث كونه اتجاها فكريا، بغض النظر عن إطاره الجغرافي، فيشمل عندئذ غير المسلمين من عرب وغيرهم. ومن ذلك تعريف الأستاذ عدنان وزان للاستشراق بأنه: "مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة"[٢].

ويؤكد ذلك الدكتور علي النملة بقوله: إن الاستشراق يشير إلى "تصدر علماء غير مسلمين من الشرق أو الغرب، عربا أو غير عرب لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقدهم وتقاليد شعوبهم وعاداتها، سواء كانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض المتوسط، أم الجانب الغربي منه، وسواء كانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية، كالتركية والفارسية والأردية والبشتو، وغيرها من اللغات التي تتحدثها شعوب المسلمين، وكان لها فيها آثار علمية أخضعها المستشرقون للدراسة والتحليل"[٣].

ويستشهد الدكتور النملة لتعميمه مفهوم الاستشراق من حيث مصدره بواقع الاهتمام الأكاديمي بدراسة الإسلام والمسلمين، الذي لم يعد مقصورا على علماء الغرب وجامعاتهم، بل إن الشرق الأقصى خطا خطوات ملحوظة في جامعاته ومعاهده إلى دراسة

---

[١] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، (كتاب الأمة، قطر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٢٠.

[٢] انظر الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر، الدكتور عدنان محمد وزان، (سلسلة دعوة الحق رقم:٢٤، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص١٥.

[٣] انظر مقال: "كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف"، د. علي بن إبراهيم النملة، دراسات استشراقية وحضارية، (مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الأول، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٢٧.

المسلمين وعلومهم وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم[1]. ومع اتفاق الدكتور النملة مع الأستاذ وزان من حيث تعميم مفهوم الاستشراق من حيث مصدره ليشمل غير المسلمين من العرب وغيرهم، إلا أن الدكتور النملة يخصصه في الدراسات المتعلقة بالإسلام والمسلمين، في حين أن الأستاذ وزان يجعله عاما بحيث يشمل الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة.

وقد توسع بعض الباحثين حين جعل هذا المصطلح شاملا لجميع الدارسين للإسلام من المنظور الغربي، سواء أكانوا غربيين، أو عربا، أو مسلمين. ويفهم ذلك من تعريف الدكتور مازن المطبقاني للاستشراق، حيث يعرفه بأنه: كل ما يصدر عن الغربيين من أوروبيين وأمريكيين من إنتاج فكري وإعلامي وتقارير سياسية واستخباراتية حول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن. ويُلحق بتلك الدراسات ما يكتبه النصارى العرب من أقباط ومارونيين وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، كما يلحق بها أيضاً ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين وتبنوا كثيراً من أفكار المستشرقين، من أمثال ذلك ما نشر لمحمد عبد الحي شعبان، وعزيز العظمة، ونوال السعداوي، وفضل الرحمن، وغيرهم كثير. فقد قامت دور النشر الجامعية لكبريات الجامعات الغربية وبخاصة الأمريكية بنشر إنتاج هؤلاء وترويجه[2].

فهذا التعريف يخصص مصطلح الاستشراق في الدراسات المتعلقة بقضايا الإسلام والمسلمين، لكنه في المقابل يعمم مدلول هذا المصطلح ليشمل الدارسين للإسلام من المنظور الغربي، سواء أكانوا غربيين، أو عربا، أو مسلمين. ومع اشتراك الدراسات الصادرة عن هؤلاء في منطلقاتها الفكرية بل وفي كثير من النتائج التي توصلت إليها، فهذا لا يعني بالضرورة دخولها في حدود مصطلح "الاستشراق"، وإن كانت قد تأثرت به أو نسجت على منواله.

---

[1] المرجع السابق، ص٢٩.

[2] انظر موقع مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق:
(http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=1&RPID=1&LID=1), 10/6/2011.

ويلاحظ من التعريفات السابقة للاستشراق اختلافها في مفهوم الاستشراق من حيث مصدره وميدانه. فمن حيث المصدر يعمم بعض الباحثين مفهوم الاستشراق بحيث يشمل غير المسلمين من العرب وغيرهم، كما يشمل الباحثين المسلمين الذين يدرسون الإسلام من وجهة نظر غربية، بينما يرى آخرون تخصيصه بالباحثين الغربيين. أما من حيث ميدانه، فيعممه بعضهم ليشمل الأمم الشرقية على اختلاف لغاتها وأديانها وثقافاتها، ويخصصه آخرون بالدراسات المتعلقة بالإسلام والمسلمين. وقد أشار الدكتور النملة إلى أن تعميم هذا المصطلح من حيث مصدره ليشمل غير المسلمين من العرب موضع انتقاد من قبل عدد من الباحثين، كالأستاذ عمر فروخ الذي لا يعد العرب غير المسلمين ممن اشتغلوا بعلوم المسلمين من المستشرقين، أمثال الأب "لويس شيخو"، و"فيليب حتى"، وغيرهما[1].

ويميل الباحث إلى تحديد مصطلح "الاستشراق"من حيث مصدره، بحيث يكون خاصا بالباحثين الغربيين من غير المسلمين على اختلاف مناهجهم ومدارسهم، وتعميمه من حيث ميدان الدراسة وإطارها، بحيث يشمل العالم الشرقي، بجميع أديانه ولغاته وثقافاته. مع ملاحظة أن هذا المصطلح مصطلح غربي في الأصل، فينبغي فهمه من خلال التعرف على تفسير الغربيين له وطريقتهم في استخدامه والتعامل معه.

كما يرى عدم حصر هذه الدراسات في هدف خاص، فالأهداف متعددة، منها ما هو ظاهر جلي ومنها ما هو مستتر خفي. فحركة الاستشراق تشتمل على دراسات أكاديمية يقوم بها باحثون غربيون غير مسلمين تتناول الأمم الشرقية –إسلامية أو غيرها– من شتى الجوانب عقيدة وشريعة ولغة وتاريخا وحضارة، لأهداف متنوعة ومقاصد مختلفة.

[1] مقال: "كنه الاستشراق"، للدكتور علي النملة، ص٢٧، نقلا عن مقال "الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة"، عمر فروخ، في الإسلام والمستشرقون، (دار المعرفة، جدة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٢٥-١٤٣.

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق:

تعددت آراء الباحثين في تاريخ نشأة حركة الاستشراق، وذلك بناء على فهمهم لمدلول هذا المصطلح، ويمكن تلخيص أشهر تلك الآراء في الأقوال الخمسة الآتية[١]:

القول الأول: يرى أصحاب هذا القول ربط نشأة الاستشراق ببعثة النبي محمد ﷺ، عام٦١٠م، وخاصة بعد الهجرة حيث بدأ احتكاك النبي ﷺ بيهود المدينة وبعد ذلك بنصارى الجزيرة العربية، وبدأت مراسلات النبي ﷺ لملوك الفرس وقياصرة الروم يدعوهم فيها إلى الإسلام ويحدد لهم العلاقة بين "الشرق والغرب". هذا بالإضافة إلى ما أعقب ذلك من انطلاقة إسلامية عن طريق الغزوات والفتوح، ومن ذلك غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة في شمال الجزيرة العربية، والتي تعد الانطلاقة الحربية الأولى للمد الإسلامي[٢].

فقد أثارت بعثة النبي ﷺ ومراسلاته وغزواته رغبة غير المسلمين في التعرف على الدين الإسلامي، والرسول الذي جاء به. ومن ذلك مثلا سؤال هرقل عظيم الروم لأبي سفيان رضي الله عنه عن أحوال النبي ﷺ وصفاته، كما جاء في الرواية المشهورة في كتب الحديث والسيرة[٣].

---

[١] انظر المستشرقون البريطانيون، للدكتور ا. ج. آربري، ص١٢-١٤؛ وتاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية، برنارد لويس، (د.م.، ط٢، د.ت.)، ص٨-١٤؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص١٧-١٩؛ والاستشراق والمستشرقون، للدكتور عدنان محمد وزان، ص٢٥-٢٨؛ ومقال "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية"، لمكسيم رودنسون، في تراث الإسلام (القسم الأول)، تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري وحسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط٢، ١٩٨٨)، ١/٦١-٦٤؛ ومقال "كنه الاستشراق"، للدكتور على النملة، ص٣٢-٤٠.

[٢] الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، للأستاذ قاسم السامرائي، (دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص١٩، نقلا عن مقال "كنه الاستشراق"، للدكتور على النملة، ص٣٣.

[٣] صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، كتاب بدأ الوحي، باب كيف كان بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم٧، ١/٧؛ وصحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ت.)، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى=

القول الثاني: يؤرخ أصحاب هذا القول لبداية الاستشراق بتاريخ الفتوحات الإسلامية التي دقت أبواب أوروبا ووصلت إلى الأندلس في القرن الثامن الميلادي (أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري). وتعد تلك الفتوحات أهم رافد من روافد الاتصال الحضاري بين الشرق والغرب، حيث أقبل غير المسلمين من الأوروبيين على دراسة العربية، وجمع المعلومات عن المسلمين، ثم ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية. ويدل على ذلك وجود مدوّنات إسبانية محملة بتأثيرات عربية واضحة في مضمونها، مما يثبت أن مؤلفيها أخذوا مادتهم التاريخية، وقواعدهم الحسابية، من مصادر عربية. ومن تلك المدوّنات عدد من المخطوطات المحفوظة في مكتبة الإسكوريال "Biblioteca de El Escorial"، وقد احتفظ بها القديس أولوجيوس القرطبي المتوفى سنة ٨٥٩م، ونقلت إلى أوبيط عام ٨٨٤م[١].

=الإسلام، رقم١٧٧٣، ١٣٩٣/٣. ونص الرواية كما جاءت في صحيح البخاري، كما يأتي: "عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره: أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشأم، في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهو بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة...

[١] انظر زيارة جديدة للاستشراق، أنور محمود زناتي، (مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٦م). نقلا عن مقال "مصطلح الاستشراق"، أنور محمود زناتي، المنشور على موقع مسلم أون لاين على الإنترنت: (http://moslimonline.com/?page=artical&id=3669)، ٢٠١١/٥/١٤م.

ومن أوائل الغربيين الذين درسوا اللغة العربية والإسلام في هذا العصر، الراهب يوحنا الدمشقي "Saint John of Damascus"[١] (٦٧٥-٧٤٩م)، صاحب المؤلفات اللاهوتية الفلسفية العديدة، والمدافع المشهور عن العقائد المسيحية. وقد شكلت مؤلفاته مرجعا مهما لجميع لاهوتي القرون الوسطى، حتى أن القديس توما الإكويني كان يستشهد به في مؤلفاته. انتقد الإسلام وشكك في نبوة الرسول محمد ﷺ، ففي كتابه الهراطقة "De Haeresbius" يزعم يوحنا الدمشقي بأن الراهب النسطوري بحيرى قام بمساعدة النبي محمد ﷺ في كتابة القرآن، إلى جانب ورقة بن نوفل الذي كان قساً نسطورياً في مكة وقريبًا للسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أولى زوجات النبي ﷺ. كما يُرجع سبب التشابه بين القرآن وعدد من القصص الواردة في الأناجيل إلى ما كان يقوم به ورقة من ترجمة بعض المؤلفات المسيحية ومن ضمنها بعض الأناجيل المنتحلة[٢].

---

[١] يوحنا الدمشقي "Saint John of Damascus"راهب سوري نصراني، اسمه الأصلي منصور بن سرجون، ولد في دمشق عام ٦٧٥م تقريبا، في عائلة عريقة وغنية، عُرفت بمحبتها للعلم وبمكانتها السياسية والاجتماعية، إذ إن سرجون والد يوحنا، ومنصور جده، كانا يعملان على إدارة أموال الخلفاء الأمويين وعلى جمع الخراج من المسيحيين. حصل منصور منذ نعومة أظافره على ثقافة أدبية وفلسفية ودينية، وما أن توفي والده حتى أخذ مكانه. انتقل بعد ذلك إلى فلسطين حيث ترهب في دير القديس سابا الذي سبقه إليه أخيه الأصغر قوزما، وكان له من العمر حوالي الثلاثين عامًا، وهناك اتخذ لنفسه اسم يوحنا كاسم رهباني تيمنًا بأستاذه البطريرك يوحنا الرابع (٧٠٦-٧٣٤م)، وأصبح كاهنًا سنة ٧٣٥م. وعندما قامت الدعوة إلى محاربة تكريم الأيقونات المقدسة، لكونه عبادة وثنية، عام ٧٢٥م تقريبا، دافع عن ذلك، موضحاً أن السجود لهذه الأيقونات المقدسة إنما هو مجرد تكريم للأشخاص الممثلة في الأيقونات، وليس عبادة لتلك الصور أو لأصحابها. توفي القديس يوحنا الدمشقي على الأرجح سنة ٧٤٩م في ديره المذكور في فلسطين، بعد أن قضى حياة طويلة في النسك والتأليف، فدفن هناك وبقي قبره معروفاً حتى القرن الثاني عشر.

انظر الموسوعة الأرثوذكسية على الإنترنت: (http://ar.orthodoxwiki.org)، ٢٠١١/٤/١٢م؛ وموسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:

(http://en.wikipedia.org/wiki/John_of_Damascus), 12/4/2011.

[٢] انظر المرجعين السابقين.

وممن اشتهر كذلك في هذا العصر باهتمامه بدراسة الشرق وعلومه الراهب الفرنسي جربرت أوراليك "Jerbert de Oraliac" (٩٣٨-١٠٠٣م) الذي درس في مدارس إشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، وترجم بعض الكتب الرياضية والفلكية. انتخب بابا لكنيسة روما، باسم سلفستر الثاني، عام ٩٩٩-١٠٠٣م، وأمر بإنشاء مدرستين عربيتين: الأولى في روما مقر خلافته، والثانية في رايمس وطنه[١].

وقد أثارت فتوحات المسلمين للأندلس أثارت الغربيين الذين نظروا إليها على أنها تهديد للوجود غير الإسلامي ينبغي مواجهته والحد منه. وقد عبر عن ذلك المستشرق مكسيم رودنسون[٢] حيث يقول: "كان المسلمون يشكلون تهديدا للعالم المسيحي الغربي... فقد حدث في نظر الأوربيين في مطالع العصور الوسطى تحول في القوى في الأقسام البعيدة من الشرق، وقام شعب "هائج" -هم العرب أو السراسنة[٣]- عرف بالسلب والنهب، وهو علاوة

---

[١] انظر المستشرقون، للعقيقي، ١/١١٠.

[٢] مكسيم رودنسون مستشرق فرنسي ولد في باريس عام ١٩١٥م، وهو من أشهر المتخصصين في تاريخ الأديان. وقد وضع العديد من الكتب حول الإسلام والعالم العربي، منها «محمد» (١٩٦١م)، و«الرأسمالية والإسلام» (١٩٦٦م) و«الماركسية والعالم الإسلامي» (١٩٧٢م)، و«عظمة الإسلام» (١٩٨٠م)، وقد تُرجم كثير من كتبه إلى اللغة العربية. يتميز عن غيره بتطبيق المنهجية السوسيولوجية على تاريخ الإسلام والمجتمعات الإسلامية، فهو لا يكتفي بالمنهجية التاريخية الفللوجية أو اللغوية كما يفعل الاستشراق الكلاسيكي منذ القرن التاسع عشر، وإنما يضيف إليها منهجيات علم الاجتماع وتاريخ الأديان المقارن، بل وحتى التحليل النفسي. انظر مقال "دفاع عن الاستشراق"، هشام صالح، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٣٥٦، الخميس: ١٤ محرم ١٤٣١ هـ/ ٣١ ديسمبر ٢٠٠٩م. وانظر جريدة الشرق الأوسط، العدد ٩٣١١، الأربعاء: ٦ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ/ ٢٦ مايو ٢٠٠٤م.

[٣] السراسنة (Les Sarrazins) مشتقة من اللاتينية (Saracenus) نقلا عن اليونانية (Sarakenos) وقد ظهر هذا الاصطلاح للمرة الأولى في مؤلفات كتاب القرن الأول الميلادي، وقصدوا به البدو الذين كانوا يعيشون منذ أيام طويلة على أطراف المناطق المزروعة ما بين النهرين، ويهددون طرق التجارة أو يحمونها بتكليف من القوتين العظميين آنذاك: الرومان والفرس. ويدخل في التسمية الأنباط وأهل الحيرة وتدمر. والكلمة اليونانية تعني ساكني الخيام. وهو مصطلح يطلقه المسيحيون في أوروبا العصور الوسطى على من جاؤوهم فاتحين في الأندلس وفي جنوب فرنسا وفي صقلية، فكأنهم أرادوا أن يعطوا الاسم الذي يحمل معنى السلب والتدمير لهؤلاء الغزاة الذين كانوا في الواقع خليطا من العرب والبربر وغيرهم. انظر ما حرره المترجم في هامش المقال الذي تم اقتباس النص منه.

على ذلك شعب غير مسيحي، فاجتاح وخرب أراضي واسعة، وانتزعها من قبضة المسيحية... ولقد وصلت الكارثة أخيرا إلى إسبانيا والشواطئ الإيطالية وبلاد الغال، وكانت موجة البرابرة الغزاة ذاتها هي دائما المسؤولة"[1].

ولم تقتصر مواجهة المد الإسلامي على إعلان الحرب والقتال، فقد صاحب تلك الحروب جهد ثقافي لدراسة الإسلام والمسلمين، وكان من أكثر المهتمين بذلك "المسيحيون في أسبانيا المغربية المعروفون باسم "المستعربين" (The Mozarabs) ذلك أن سيطرة المسلمين السياسية التي كانوا يعيشون في ظلها أطلقت العنان لمؤثرات ثقافية عربية أضرت بالدين المسيحي، لذا فقد كان لا بد لهم من أن يكوّنوا صورة أوضح، وإن لم تكن أكثر دقة، عن أسيادهم وعن أفكار أسيادهم..."[2]. وقد كان الهدف الرئيس من ذلك الاهتمام هو نشر تحليلهم للإسلام لكي يقاوموا ما يمكن أن يكون له من تأثير، لكن الحماسة العدائية التي أظهرها أمثال أبولوجيوس وألفاروس وأتباعهما في منتصف القرن التاسع الميلادي، ومحاولاتهم غير المجدية لإقناع طبقات الكهنوت المسيحية وعامة الشعب المسيحي بالمقاومة، وتعطشهم للاستشهاد حال دون بذل الجهد الفكري اللازم لفهم خصومهم[3].

القول الثالث: يرجع المستشرق رودي بارت بداية الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا إلى القرن الثاني عشر الميلادي، حيث شرع العلماء من البلاد الشمالية، وخاصة إنجلترا يزورون الجامعات العربية في أسبانيا للبحث عن العلوم والمعارف. فقد أصبحت المناطق التي فتحها المسلمون آنذاك مراكز ثقافية متميزة على مستوى العالم أجمع، فكثرت فيها الجامعات ودور العلم، وبدأ أبناء الغرب يتوافدون إليها عن طريق البعثات العلمية إلى مدارس الأندلس، لينهلوا من معين العلم والمعرفة ويزيحوا عن أنفسهم ظلمات الجهل والتخلف، وقد رجع كثير

[1] مقال "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية"، لمكسيم رودنسون، ١/٢٦-٢٧.

[2] المرجع السابق، ١/٢٩.

[3] انظر المرجع نفسه.

من المبتعثين متأثرين بالثقافة الإسلامية، وداعين إليها. وقد وضع في تلك الفترة أول قاموس عربي لاتيني، كما تمت ترجمة القرآن الكريم لأول مرة إلى اللغة اللاتينية في أسبانيا، بتوجيه من الأب بطرس المحترم رئيس دير "كلوني"[1].

وقد أشار إلى هذا القول في نشأة الاستشراق الدكتور السباعي، حيث يقول: "لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات"[2].

ولعل من أوائل المهتمين بالدراسات العربية والإسلام وأشهرهم في القرن الثاني عشر المستشرق أدلرد أوف باث "Adelard of Bath" (١٠٧٠-١١٣٥م)، فهو أول إنجليزي اهتم بدراسة اللغة العربية وقد قام برحلات واسعة في أسبانيا وبلاد الشام في الربع الأول من القرن الثاني عشر، وترجم عددا من النصوص العربية إلى اللاتينية لينتفع بها معاصروه المسيحيون، وكان من الذين رحلوا في طلب المعرفة المغربية، ورجعوا لينيروا أذهان مواطنيهم. وقد اشتغل أدلارد بعد عودته معلما للأمير هنري الثاني الذي أصبح فيما بعد الملك هنري الثاني، ملك إنجلترا، وكان يصر على تفوق الثقافة العربية، واستغل نفوذه لنشرها في بلاد الغرب. وقد كانت مؤلفات إدلارد ومن جاء بعده ذات أثر ثقافي كبير، فلمجهوداتهم الفضل في تعريف إنكلترا والبلاد الغربية بما أنتجه العرب والمسلمون في الفلسفة والعلوم، وبذلك خطت الثقافة الأوروبية خطوة هامة في سبيل ارتقائها[3].

---

[1] انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص١٨، نقلا عن رودي بارت.

[2] الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، الدكتور مصطفى السباعي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٧-١٨.

[3] انظر المستشرقون البريطانيون، آربري، ص١٢-١٣؛ وتاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية، برنارد لويس، ص٤.

ومن طلائع المستشرقين كذلك الراهب بطرس المحترم "Pierre Le Venerable" (١٠٩٤-١١٥٦م) رئيس دير "كلوني" الذي أنجزت تحت رعايته أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم، عام ١١٤٣م[١]؛ ويوحنا بن داود الإسباني "Juan Abendaud" (منتصف القرن الثاني عشر)؛ ويوحنا الإشبيلي "Juan de Sevilla" (منتصف القرن الثاني عشر)، والراهب "جيراردي كريمون" (١١١٤-١١٨٧م)، وغيرهم[٢]. ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية[٣].

ويؤكد المستشرق برنارد لويس على أن وصول حركة الفكر والعلوم العربية إلى الغرب عامة وإنجلترا بصفة خاصة كان عبر المدنية الراقية التي أقامها المسلمون في الأندلس، "فقد أسس العرب في أسبانيا وصقلية مدنية زاهية أرقى كثيرا من أية مدنية معاصرة لها في ذلك الوقت في البلاد المسيحية. وهي المدنية التي تركت آثارا في المدنيات المسيحية المعاصرة لها، حتى أنه بعد أن استعاد المسيحيون سيادتهم على تلك البلاد ظلت العلوم العربية مزدهرة مدة من الزمن، وكان من الملوك المسيحيين من يتكلم العربية ويوازر علماء العرب"[٤].

كما جعل الأستاذ خليل أحمد النظامي فترة ما بعد الفتوحات الإسلامية في الأندلس ممثلة للمرحلة الأولى من المراحل الخمس لحركة الاستشراق، حيث "نشأت في الغرب رغبة الاطلاع على ما حققه الإسلام من مآثر حضارية حينما دخل العرب في إسبانيا وصقلية، ولم يكن دخول العرب فيها فتحا لدولة أو جزيرة فحسب، بل إنه كان فتحا لعهد جديد في مجال

---

[١] انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص١٨، نقلا عن رودي بارت.

[٢] انظر ترجمة لطلائع المستشرقين في القرن الثاني عشر في المستشرقون، للعقيقي، ١/١١١-١١٥.

[٣] انظر الاستشراق والمستشرقون، للدكتور السباعي، ص١٨؛ وأجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص٩٠.

[٤] تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية، برنارد لويس، ص٣-٤.

العلوم والفنون والحضارة والمدنية. وقد بعث هذا الفتح يقظة حضارية في أوروبا، وفتح للغرب آفاقا جديدة للتقدم والرقي، وقد كان حب الاستفادة من علوم العرب وتفهم حقيقة دينهم باعثا لدراسة شاملة للإسلام"[١].

ويرى الدكتور علي النملة أن هذه الحقبة هي التاريخ الحقيقي لبداية حركة الاستشراق، وأن ما كان قبل هذه الفترة يعد من قبيل الإرهاصات والمقدمات لها، وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة والتوسع فيها[٢]. ويمكن أن يؤرخ بهذه المرحلة للاستشراق غير الرسمي القائم على الجهود الفردية.

القول الرابع: يحدد بداية الاستشراق بعام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، أي بداية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث قرر المجلس الكنسي في فيينا تأسيس كراسي جامعية لدراسة اللغات الشرقية، وبخاصة اللغة العربية والعبرية والسريانية، وذلك في الجامعات الأوروبية الرئيسة آنذاك، وهي: باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وصلمنكة[٣]. وقد صدر هذا القرار بناء على اقتراح قدّمه المستشرق المشهور "ريموند لول" (١٢٣٥-١٣١٤م)[٤] الذي كان يحث النصارى على تعلم

---

[١] "عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم"، خليل أحمد النظامي، في الإسلام والمستشرقون، ص١٠٣-١٠٤. نقلا عن "كنه الاستشراق"، للدكتور علي النملة، ص٤٠.

[٢] انظر "كنه الاستشراق"، للدكتور علي النملة، ص٣٩.

[٣] انظر الاستشراق، لإدوارد سعيد، ص٨٠؛ والمستشرقون، نجيب العقيقي، ترجمة المستشرق ريموند لول، ١٢٢/١-١٢٣.

[٤] ريموند لول "Raymond Loll" مستشرق أسباني متعدد المواهب، فهو شاعر وقصصي ورياضي ومعلم ومنصّر ومتصوّف ورحّالة. ولد في بالما من جزيرة ميورقة، وقضى في تعلم العربية وحفظ القرآن تسع سنين، ثم قصد باريس وانضم إلى الرهبانية الفرنسيسكانية، وأقنع ملك أراغون بإنشاء مدرسة في ميرامار لتدريس العربية عام ١٢٧٦م. وقد كان له نشاط بارز في التنصير، حيث طاف بشمال أفريقيا أكثر من مرة، إلى أن قتل فيها عام ١٣١٤م. وقد كرس حياته لمحاربة الدين الإسلامي، حيث كان حلمه القضاء على هذا الدين، كما صرح بذلك المستشرق رينان. آثاره وافرة متنوعة، ويغلب عليها الجانب الديني التنصيري. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١٢٢/١-١٢٣؛ ورؤية إسلامية للاستشراق، لأحمد غراب، ص٥٨.

اللغة العربية، وذلك بهدف تنصير المسلمين، الأمر الذي يؤكد لنا الصلة الوثيقة بين الاستشراق والتنصير[1].

ويمثل هذا القول البداية الرسمية لحركة الاستشراق العلمية، حيث بدأت تتبناها المؤسسات العلمية الغربية، حكومية وغير حكومية. وقد تبنى هذا القول أكثر الباحثين في الاستشراق[2]، أمثال نذير حمدان، ومحمود زقزوق، وإدوارد سعيد، وعدنان وزان، وعلي النملة الذي يعد هذا التاريخ "الانطلاقة العلمية للاستشراق من حيث التوسع في إنشاء المدارس والمعاهد الاستشراقية المهتمة بدراسة تاريخ وثقافة الشرق عموما، والإسلام والمسلمين بشكل خاص"[3].

القول الخامس: يؤرخ مكسيم رودنسون لمولد الاستشراق بالقرن السادس عشر الميلادي، حيث ظهرت الحركة الإنسانية (Humanism) في محاولة للبحث عن ثقافة عالمية، وقد وسعت الدراسات التي تهتم بها هذه الحركة لتشمل مجموعة من الدراسات الإسلامية.

وقد أدى الخطر التركي آنذاك –كما يقول مكسيم رودنسون– إلى دراسة أوثق للإمبراطورية العثمانية والإسلام. ومع تراجع هذا الخطر أصبح بالإمكان متابعة الدراسة في جو من الصفاء، وتعمقت الصلات والاهتمامات بالشرق، وظهر الاتجاه العام نحو تنظيم البحث العلمي، الأمر الذي أدى إلى ظهور شبكة استشراقية متلاحمة، وكثرت كراسي الدراسات الشرقية في أوروبا.

وانظر ترجمة مفصلة له باللغة الإنجليزية في موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:
(http://en.wikipedia.org/wiki/Ramon_Llull), 10. 4. 2011.

[1] انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للدكتور محمود حمدي زقزوق، ص١٨ وما بعدها. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن كثيرا من المستشرقين المهتمين بالدراسات الإسلامية هم في الأصل من رجال الدين اليهودي أو النصراني.

[2] انظر الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، لنذير حمدان، ص٣٤؛ والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للدكتور محمود زقزوق، ص١٩؛ والاستشراق والمستشرقون، للأستاذ عدنان وزان، ص٢٨-٢٩؛ والاستشراق، لإدوارد سعيد، ص١٩؛ ومقال "كنه الاستشراق"، للدكتور علي النملة، ص٣٨.

[3] انظر مقال "كنه الاستشراق"، للدكتور علي النملة، ص٣٨.

وقد أسهم غليوم بوستل "Guillaume Postel" (١٥١٠-١٥٨١م) الذي أشرف على أول كرسي للعربية في الكوليج دو فرانس، عام ١٥٣٩م، في إثراء دراسة اللغات والشعوب الشرقية في أوروبا، وجمع وهو في الشرق مجموعة هامة من المخطوطات. كما اهتم تلميذه سكاليجر "J. Scoiliger" (١٥٤٠-١٦٠٩م) بالاستشراق وتخلى عن حماسه التبشيري، وكانت له مكانة لايستهان بها في مجال الاستشراق[١].

وفي هذا العصر أنشئت أول مطبعة عربية في أوروبا بأمر من الكردينال فرناندو دي مدتشي، كبير دوقات توسكانا[٢]، وكان يرأس هذه المطبعة، التي كان مقرها في روما، جيوفني بتستا رايموندي، من بلدة كريمونا في إيطاليا، والذي أقام في المشرق فترة طويلة، ويحتمل أنه تعلم العربية. وابتداء من سبتمبر ١٥٨٦م، بدأت المطبعة في جمع وطبع أول إنتاج لها، وهو كتاب (القانون) لابن سينا ومعه (كتاب النجاة) الذي هو مختصر (الشفاء)، وتم إنجاز طبع (القانون) ومعه (النجاة) في ١٥٩٣م. كما تم خلال تلك الفترة طباعة عدد من الكتب الصغيرة الأخرى باللغة العربية[٣].

ويميل إلى هذا الرأي المستشرق برنارد لويس، الذي يؤرخ لنشأة الاستشراق بالقرن السادس عشر، حيث تقدمت أوروبا تقدما يعتد به في ميدان العلوم والمعارف بينما زال تفوق العرب السابق، فلم تكن ثمة ضرورة إلى جري الأوربيين وراء المدرسين العرب ابتغاء الوقوف على المعلومات العامة. وقد قام الإنجليز في تلك الفترة بدراسة اللغة العربية والأدب العربي، وكانت أعمالهم ذات فائدة للعرب والإفرنج على السواء[٤]. وقد كان رائد الدراسات العربية في بريطانيا المستشرق وليم بادويل "William Bedwell" (١٥٦١-١٦٣٢م)، الذي درس

---

[١] انظر "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية"، لمكسيم رودنسون، ١/٦١-٦٣.

[٢] أحد الأقاليم العشرين المكونة للتراب الإيطالي، يقع في شمال وسط البلاد، وهو من أهمها من ناحية الموروث الفني والثقافي والتاريخي، انظر موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت: (http://ar.wikipedia.org)، ٢٠/٤/٢٠١١م.

[٣] انظر موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص ٥٥١.

[٤] تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية، برنارد لويس، ص٨-٩.

في جامعة كامبريدج، وعين أستاذا للغة العربية في جامعة أكسفورد، وهو واضع أسس تدريس العربية في إنجلترا، حيث يعدها لغة الدين الوحيدة، واللغة الرئيسة للدبلوماسية وللتجارة من الأطلنطيك إلى بحار الصين. وقد أصدر أول ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم، كما ألف معجما عربيا ضخما في سبعة مجلدات، لكنه لم ينشر[1].

ويربط أصحاب هذا القول نشأة الاستشراق بما يسمونه الإصلاح الديني الذي انطلق في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي، فقد كان هناك اهتمام واضح بدراسة حضارة الشرق عامة، واللغة العربية خاصة، من أجل فهم التراث الضخم الذي وضع بهذه اللغة، من أدب وشعر، وفكر وعلم، وفلسفة وطب، ودين وشريعة.

لكن هذا الرأي في نشأة الاستشراق محل نظر، فقد ظهر الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأوروبية منذ أوائل القرن الرابع عشر الميلادي كما سبقت الإشارة إلى ذلك في استعراض القول الذي قبله. وربما كان المقصود من اعتماد هذا التاريخ لحركة الاستشراق تخليص تلك الحركة من دراسات القرون السابقة التي ابتعدت في كثير من الأحيان عن الموضوعية في عرض القضايا المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وارتبطت ارتباطا وثيقا بحركتي التنصير والاستعمار، فعرضت صورة مشوهة للدين الإسلامي وأبنائه، وصفها أحد الباحثين الغربيين بأنها صورة هجومية وحشية لعدو شيطاني[2]. وقد ألقت تلك الدراسات بظلالها السلبية على حركة الاستشراق منذ نشأتها إلى العصر الحديث، رغم الجهود الكبيرة المبذولة من قبل مستشرقي القرون التالية في تعديل تلك الصورة.

وقد استبعد الدكتور علي النملة اعتبار هذه الفترة منطلقا للاستشراق، لكنه يرى أنها تمثل دليلا واضحا على الدافع التجاري للاستشراق، فقد ساعد الاستشراق في تلك الفترة على النهضة الصناعية التي عاشتها البلاد الأوروبية بعد عصر النهضة، حيث أدركت أوروبا أنه

---

[1] انظر المرجع السابق، ص٩؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٣٠.

[2] انظر "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية"، لمكسيم رودنسون، ١/٤٧. وانظر عرضا لتلك الصورة المشوهة للإسلام في دراسات الغربيين ومراحل تطورها في المقال نفسه، ١/ ٣٤-٦١.

في سبيل التوغل في بلاد الشرق تجاريا لا بد من دراسة تلك البلاد من حيث الثقافة والبيئة والطبيعة الجغرافية وغير ذلك من الجوانب[١].

- ظهور مصطلح "الاستشراق":

يعود تاريخ ظهور مصطلح الاستشراق "Orientalism" إلى عام ١٨٣٨م، حيث أدرج هذا المصطلح في قاموس الأكاديمية الفرنسية، وأخذت فكرة إيجاد فرع معرفي متخصص لدراسة علوم الشرق وثقافاته تلقى المزيد من التأييد. وقد عقد أول مؤتمر دولي للاستشراق في باريس، عام ١٨٧٣م[٢].

أما مصطلح مستشرق "Orientalist"، فيبدو أنه كان أسبق في الظهور، حيث يرى مكسيم رودنسون أنه ظهر أولا في إنجلترا عام ١٧٧٩م، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م، أي في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي[٣]. وقد بين المستشرق آربري "Arberry"[٤] أن "المدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان -في سنة ١٦٣٨م- أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية". وفي سنة ١٦٩١م وصف آنتوني وود "Anthony Wood" صمويل كلارك "Samuel Clarke" بأنه (استشراقي نابه)، يعنى ذلك أنه يعرف بعض اللغات الشرقية. وبيرون... يتحدث عن المستر ثورنتون وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق"[٥].

---

[١] انظر مقال "كنه الاستشراق"، للدكتور علي النملة، ص٣٧.

[٢] انظر "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية"، لمكسيم رودنسون، ١/٧٨، ٨٦.

[٣] انظر المرجع نفسه.

[٤] المستشرق آربري "A. J. Rberrry" (١٩٠٥-١٩٩٦م)، درس على المستشرق نكلسون أستاذ التصوف المشهور ونسج على منواله، ثم سافر إلى القاهرة، وراجع المخطوطات العربية فيها، وقام بتدريس اللاتينية واليونانية في جامعة القاهرة (١٩٣٢-١٩٣٤م). شغل بعد ذلك وظيفة مساعد خبير مكتبة في مكتب الهند، وعمل أثناء الحرب العالمية الثانية في وزارة الإعلام البريطانية. وفي عام ١٩٤٢م التحق بمعهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، ثم شغل كرسي الدراسات العربية ورأس دائرة الشرق الأوسط في الجامعة، كما رأس كرسي الدراسات العربية في جامعة كامبردج عام ١٩٤٧م. وقد ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية، وألف في الإسلام والتصوف والشعر العربي الحديث. انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٤٩-٥٠.

[٥] المستشرقون البريطانيون، للدكتور آربري، ص٨.

المطلب الثالث: الاستشراق في العصر الحديث:

مع بدايات القرن العشرين، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية التي وضعت أوزارها عام ١٩٤٥م، اهتمت الدوائر الاستشراقية بمراجعة "الاستشراق" والعمل على إصلاح مؤسساته، وتخليصه من السلبيات التي أدت إلى تخلفه. وقد أدى ذلك إلى ظهور الاستشراق بثوبه المعاصر، حيث خرج عن إطاره التقليدي وشهد تغييرات جذرية شملت مجالات اهتمامه وطرائق بحثه، مما أدى إلى تقسيم اختصاصاته وتوزعها في الفروع العلمية المتنوعة: كعلوم اللغة والأديان والتاريخ والسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها. كما ظهر جيل جديد من المستشرقين يعمل على التعمق في دراسة المعارف الشرقية، فلا يكتفي بدراسة التخصصات التقليدية المعروفة كاللغة والأدب وعلوم الشريعة، بل يتجاوز ذلك إلى دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في العالم العربي والإسلامي.

ويعد تقرير سكاربورو "Scarborough Report"، عام ١٩٤٧م، واضع شرعة الاستشراق الحديث في بريطانيا، حيث أكد على ضرورة معرفة وفهم البلدان البعيدة بشكل صحيح، حتى لا تبقى العلاقات معها خاضعة للخرافات والجهل، كما أشار إلى أن مشاكل بريطانيا هي جزء من مشاكل العالم، وأن مصالح شعوب العالم قد أصبحت متداخلة بعضها مع بعض، وبناء على ذلك فإن من المهم دراسة اللغات والحضارات الشرقية التي تتناول بلدانا عديدة منتشرة في آسيا وإفريقيا، للمحافظة على الصداقة والتعاون وزيادة التفاهم بين بريطانيا وشعوب الشرق الأوسط ودول آسيا[١].

وفي سنة ١٩٦٠م شكلت لجنة فرعية منبثقة من لجنة المنح الجامعية برئاسة هايتر "Sir William Hayter" لمراجعة التطور الذي حققته الجامعات منذ نشر تقرير سكاربورو، وقد نشر تقرير هذه اللجنة عام ١٩٦١م، وتم التأكيد فيه على أهمية توسيع نطاق

---

[١] انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٤٦.

البحث، وزيادة نسبة الدراسات الحديثة من أجل فهم شعوب آسيا وإفريقيا فهما أفضل, وقد اقترح هذا التقرير تحقيق ثلاثة أهداف محددة[١]:

١ -زيادة الأبحاث الجامعية التي تشمل هذه المناطق.

٢ -زيادة عدد الأساتذة المتخصصين في هذا الموضوع، وزيادة عدد الطلاب الدارسين له.

٣ -السعي إلى تحقيق توازن أفضل بين الدراسات اللغوية وغير اللغوية، والدراسات الكلاسيكية والحديثة.

وقد شهد القرن العشرين تطورا ملحوظا في الدراسات الشرقية في أوروبا عامة، وفي بريطانيا خاصة، حيث أنشئت الكليات والكراسي والجمعيات المهتمة بدراسة الشرق. ففي عام ١٩١٢م، تأسست كلية خاصة للغات الشرقية في جامعة أكسفورد، وأطلق عليها -عام ١٩٣٧م- اسم كلية الدراسات الشرقية "Faculty of Oriental Studies".

كما تم تأسيس مركز الشرق الأوسط "Middle East Center" في سانت أنتوني كوليج "St. Antony's College"، من أجل تدريس مواد حديثة حول الشرق الأوسط، وتطوير الأبحاث في هذا المجال، وخاصة الموضوعات المتعلقة بالتاريخ الحديث والسياسة الحديثة في الشرق الأوسط[٢].

وفي جامعة لندن دشن الملك جورج الخامس معهد الدراسات الشرقية، عام ١٩١٧م، وتم تعيين السير دانيسون روس "Sir Denison Ross" أول رئيس له. وقد تغير اسم المعهد عام ١٩٣٨م، فأصبح معهد الدراسات الشرقية والإفريقية " School of Oriental and African Studies" (SOAS). ويعد هذا المعهد أكبر معهد من نوعه في أوروبا، فهو يهتم بتدريس اللغات الشرقية والإفريقية القديمة والحديثة، وآداب وتاريخ وأديان وعادات هذه الشعوب، وتُدَرّس فيه حوالي ٨٠ لغة آسيوية، و٥٠ لغة إفريقية. ويعنى بكل ما يتعلق بهذه

[١] انظر المرجع السابق، ص٤٧.

[٢] انظر المرجع السابق، ص٦٤.

البلدان من أدب ودين وعادات وتاريخ واجتماع وسياسة واقتصاد وغير ذلك، وعن هذا المعهد تصدر مجلة الدراسات الشرقية والإفريقية[1].

وأنشأ الأستاذ آربري مركز الشرق الأوسط "Middle East Center" في جامعة كامبردج "University of Cambridge"، عام ١٩٦٠م، من أجل دراسة المناحي الحديثة للحضارة العربية والإسلامية، مع اهتمام خاص بالجزيرة العربية وبلدان الخليج والعراق، إضافة إلى عنايته بدراسة تاريخ اليمن الحديث، وتاريخ شمال إفريقيا. وقد ظل الأستاذ آربري مشرفا على المركز حتى عام ١٩٦٥م، حيث تولى رئاسته المستشرق روبرت سارجنت " R. B. Serjeant"[2].

وقد أسس المستشرقون البريطانيون جمعية باسم جمعية المستشرقين البريطانيين "Association of British Orientalists"، عام ١٩٤٧م، وتهتم هذه الجمعية بتنمية نشاطات المستشرقين وطلاب الاستشراق البريطانيين، وتعقد مؤتمرا سنويا لمناقشة المشكلات التي يواجهها المستشرقون البريطانيون، وتصدر مجلة الدراسات الشرقية "*Bulletin of Oriental Studies*". وفي عام ١٩٧٣م، تأسست الجمعية البريطانية للدراسات الشرق أوسطية "British Society for Middle Eastern Studies"، وتهدف هذه الجمعية

---

[1] انظر المرجع السابق، ص٦٩-٧٠.

[2] انظر المرجع السابق، ص٦٥-٦٦. والأستاذ روبرت سارجنت "Robert Bertram Serjeant" (١٩١٥-١٩٩٣م) مستشرق بريطاني درس في جامعات إدنبره وأكسفورد وكامبردج حيث نال شهادة الدكتوراه عام ١٩٣٩م. شغل كرسي اللغة العربية في دائرة الشرق الأوسط ومعهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، من عام ١٩٥٥-١٩٦٤م. وعين مديرا لمركز الشرق الأوسط في جامعة كامبردج عام ١٩٦٥م، وشغل كرسي السير توماس آدمز للغة العربية في الجامعة عام ١٩٧٠م، كما عين عضوا مراسلا في المجمع اللغوي في القاهرة، عام ١٩٧٦م. انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥٥؛ ومقال "G. Rex Smith" في نعييه، المنشور في موقع الجمعية البريطانية اليمنية على الإنترنت: (http://www.al-bab.com/bys/obits/serjeant.htm)، ٢٠١١/٤/٨م.

إلى تنشيط الدراسات المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط منذ نشأة الإسلام، ونشر المعلومات والأبحاث عن الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط، وتشجيع التعاون بين المؤسسات التي تعنى بدراسة الشرق الأوسط[١].

كما شهد القرن العشرين ظهور شخصيات استشراقية كبيرة في فرنسا من أمثال: لويس ماسينيون (١٨٨٣–١٩٦٢م)[٢]، وريجيس بلاشير (١٩٠٠–١٩٧٣م)[٣]، ومكسيم

---

[١] انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٧٢.

[٢] يعد لويس ماسينيون "L. Massignon" (١٨٨٣–١٩٦٢م) أشهر المستشرقين الفرنسيين المعاصرين وأستاذهم بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد اشتهر بعمق تفكيره وجمال أسلوبه، التحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، وعني بالآثار الإسلامية، والتقى الشيخ الآلوسي في بغداد، ثم عاد إلى مصر، وانتدبته الجامعة المصرية أستاذا لتاريخ الفلسفة، عام ١٩١٢م، ثم رحل إلى الجزائر وطوّف في الحجاز والقاهرة والقدس، وأقام في القدس وبيروت وحلب ودمشق والآستانة. عاد إلى باريس عام ١٩١٩م، وعين معيدا في كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا، وتولى تحرير مجلة العالم الإسلامي، ثم مجلة الدراسات الإسلامية التي حلت محلها عام ١٩٢٧م. حصل على الدكتوراه من السوربون عام ١٩٢٢م برسالة حول آلام الحلاج، وعين أستاذ كرسي ومديرا للدراسات في المدرسة العملية العليا عام ١٩٢٦م، حتى تقاعده عام ١٩٥٤م. تخرج على يديه أجيال من المستشرقين والمفكرين العرب أيضا، كعبد الرحمن بدوي، وكالشيخ عبد الحليم محمود الذي أصبح فيما بعد شيخ الأزهر، وتربو آثاره على ٦٥٠ أثرا بين مصنَّف ومحقَّق ومترجَم، ومقال، ومحاضرة، وتقرير، ونقد، ومقدمة. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١/٢٦٣–٢٦٨؛ ومقال "دفاع عن الاستشراق"، هشام صالح، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٣٥٦.

[٣] ريجيس بلاشير "R. Blachere" (١٩٠٠–١٩٧٣م) مستشرق فرنسي، تخرج في كلية الآداب بالجزائر، وعين أستاذا للعربية في معهد مولاي يوسف في الرباط، وانتدب مديرا لمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، ١٩٢٤–١٩٣٥م. حصل على الدكتوراه عام ١٩٣٦، وعين أستاذا محاضرا في السوربون، عام ١٩٣٨م، ثم أستاذا للغة العربية وحضارتها في جامعة باريس، عام ١٩٥٦م. كان متخصصا في اللغة والآداب العربية، وفي الدراسات الإسلامية عامة والقرآنية خاصة، وترجم القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية. وقد تخرج على يديه عدد من الباحثين المسلمين والأجانب، ومنهم محمد أركون. له العديد من الدراسات المنشورة في المجلات الاستشراقية المشهورة. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١/٣٠٩–٣١٨؛ ومقال "دفاع عن الاستشراق"، هشام صالح، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٣٥٦.

رودنسون (١٩١٥-٢٠٠٤م)[١]، أو كلود كاهين (١٩٠٩-١٩٩١م)[٢]، أو جاك بيرك (١٩١٠-١٩٩٥م)[٣]. وقد قدم هؤلاء إسهامات متعددة من أجل دراسة التراث العربي الإسلامي، أو دراسة المجتمعات العربية ذاتها[٤].

وساهم المستشرقون الألمان الذين امتازوا بعمق دراساتهم ودقتها في جمع المخطوطات العربية ونشرها وفهرستها، ومن أشهرهم المستشرق كارل بروكلمان[٥] صاحب كتاب تاريخ

---

[١] سبقت ترجمته.

[٢] كلود كاهين "C. Cahen" (١٩٠٩-١٩٩١م) مستشرق فرنسي، درس اللغات الشرقية في السوربون ومدرسة اللغات الشرقية، وعين أستاذا لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة ستراسبورج، عام ١٩٤٥م، ثم في جامعة باريس. كان ماركسيا ويهوديا معارضا للصهيونية، وهو باحث أكاديمي لا يتدخل في السياسة أو القضايا الراهنة على عكس رودنسون. وقد أمضى عمره المديد في كتابة البحوث التخصصية الدقيقة عن تاريخ المجتمعات الإسلامية في القرون الوسطى. له العديد من الأبحاث والدراسات المنشورة في المجلات العلمية، ومن أشهر كتبه: الإسلام منذ أصوله الأولى وحتى بداية الإمبراطورية العثمانية، والشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣٤٢/١-٣٤٦؛ ومقال "دفاع عن الاستشراق"، هشام صالح، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٣٥٦.

٣ جاك بيرك "J. Berque" مستشرق فرنسي معاصر مشهور في العالم العربي، عين مشرفا على مركز الدراسات العربية في بكفيا، في لبنان عام ١٩٥٥م، ثم أستاذا في كرسي التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا، ثم مديرا لمعهد الدراسات العليا. كان صديقا لكثير من الشخصيات العربية الفكرية والسياسية، أمثال طه حسين وجمال عبد الناصر. ومن أشهر كتبه: العرب بين الأمس واليوم، والخطابات العربية المعاصرة، هذا بالإضافة إلى ترجمته للقرآن الكريم التي اختتم بها حياته العلمية قبل أن يموت. ولعل آخر مقال كتبه هو: أي إسلام نريد؟ وفيه يحذر العرب من الغلو والإكراه في الدين، ويدعو إلى إسلام التنوير والتقدم والحداثة دون الانقطاع عن الجذور الأولى. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣٣٦/١-٣٣٨؛ ومقال "دفاع عن الاستشراق"، هشام صالح، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٣٥٦.

[٤] انظر مقال "دفاع عن الاستشراق"، هشام صالح، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٣٥٦.

[٥] كارل بروكلمان "Carl Brockelmann" (١٨٦٨-١٩٥٦م) مستشرق ألماني متخصص في تاريخ الأدب العربي، يعد أحد أبرز المستشرقين في العصر الحديث. درس اللغة العربية والعبرية والآرامية والسريانية=

الأدب العربي[1]، الذي له فضل السبق في التعريف بالتراث العربي الإسلامي المخطوط في جميع مكتبات العالم، على الرغم مما ورد فيه من بعض الأخطاء التي حاول بعض الدارسين أن يستدركوها عليه. وقد امتازت المدرسة الألمانية للاستشراق بغلبة الروح العلمية، وعدم ارتباطها بأهداف سياسية أو دينية أو استعمارية، والاهتمام الخاص بفهرسة المخطوطات وتصنيف المعاجم العربية[2].

وقد ورث الاستشراق الأمريكي عن نظيره الأوروبي، المتقدم عليه زمنياً، معظم أدبياته وتراثه من تصورات ومفاهيم وأحكام إزاء الحضارة العربية الإسلامية، إلا أن النمط الأكاديمي المنهجي نجح في تثبيت أقدامه مطلع القرن العشرين. ولعل من أشهر الدراسات الأمريكية الناقدة للظاهرة الاستشراقية الدراسة النقدية التي قدمها المستشرق ليونارد بايندر[3]، عام ١٩٧٦م، بعنوان: "دراسة الشرق الأوسط"، واشترك فيها عدد من كبار المستشرقين تناول كل

=وحصل على دكتوراه التأهيل للتدريس من جامعة برسلاو عام ١٨٩٣م، وأصبح مديرا لهذه الجامعة عام ١٩٣٢م، لكنه اضطر للاستقالة بعد أقل من عام، واحتفظ بكرسي الأستاذية فيها إلى أن تقاعد عام ١٩٣٥م. كان يتقن إحدى عشر لغة شرقية، وله عناية خاصة باللغة التركية، حيث درس لطلابه اللغة التركية الحديثة، وقرأ معهم كتب التاريخ العثماني القديمة. انظر موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٩٨-١٠٥.

[1] Carl Brockelmann: *Geschichte der Arabischen Literatur*, Leiden 1938.

[2] انظر: زيارة جديدة للاستشراق، أنور محمود زناتي، نقلا عن مقال "مصطلح الاستشراق"، للمؤلف نفسه، المنشور على موقع مسلم أون لاين:
(http://moslimonline.com/?page=artical&id=3669), 7/4/2011.

[3] ليونارد بايندر "Leonard Binder" أستاذ العلوم السياسية، ومدير سابق لمركز دراسات الشرق الأدنى في جامعة كاليفورنيا، في لوس أنجلوس. وهو مؤسس ورئيس جمعية دراسات الشرق الأوسط في شمال أمريكا. حصل على الدكتوراه من جامعة هارفرد، عام ١٩٥٦م، ويعد الأب الحقيقي للتيار الأكاديمي الأميركي الذي عمل على تأصيل الليبرالية الإسلامية، وهو مؤلف كتاب الدين والسياسة في باكستان، عام ١٩٦١م؛ وكتاب الليبرالية الإسلامية، عام ١٩٨٨م. انظر:
(http://www.polisci.ucla.edu/people/faculty-pages/leonard-binder), 25/4/2011.

منهم مجالاً من الدراسات الاستشراقية، ونقده نقداً علمياً، وذلك بهدف تقويم العمل الاستشراقي من ناحية، وإظهار أهمية الدراسات الإقليمية وتقديمها كبديل للاستشراق من ناحية أخرى. فقد وصفت الدراسة الاستشراق بأنه علم يهتم بالحضارات البائدة، وأنه علم لغوي فيلولوجي وتأثيره ضعيف في الثقافة الأوروبية، وأنه علم خيالي يهتم بالغرائب ويرى الشرق في صورة أسطورية غير واقعية. وتعترف الدراسة بخطأ الاستشراق في النظر إلى التراث الإسلامي على أنه مسخ وتقليد للتراث اليهودي الهللينستي الروماني النصراني. كما تعترف بالارتباط الاستشراقي بالمصالح الاستعمارية، وسيطرة الدافع السياسي على مسيرة دراسات الشرق الأوسط، والتي حولت الدراسات الاستشراقية إلى مجرد عملية لجمع المعلومات عن بلدان العالم الإسلامي، وأبعدتها عن الصبغة العلمية الأكاديمية. هذا بالإضافة إلى تنبيهها على تخلف مناهج الاستشراق وتقنياته مقارنة بالمناهج والتقنيات العلمية المعاصرة[1].

ورغم محاولات الاستشراق الأمريكي الابتعاد عن المنظومة السياسية الأمريكية الرسمية ومطامعها التوسعية في الشرق، إلا أن ارتباط معظم رجالاته بالمؤسسات البحثية، سواء منها الرسمية الحكومية، أو غير الرسمية الممولة من قبل اللوبيات المتعاطفة مع الكيان الصهيوني واليمين المحافظ، يسهم في رسم صورة نمطية للولايات المتحدة بجميع مظاهرها العلمية

---

[1] Cf. Leonard Binder, ed., *The Study of the Middle East, research and scholarship in the Humanities and Social Sciences*, A project of Research and Training Committee of the Middle East Studies Association, John Wiley and Sons, New York and London, 1976, p. 9.

نقلا عن أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، د. محمد خليفة حسن، (عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص١٣-١٤، ١٢٢-١٢٣. وانظر "عرض نقدي لكتاب (*The Study of the Middle East*, Edited by Leonard Binder)"، للأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن، مجلة "دراسات استشراقية وحضارية"، (مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الأول، ١٤١٣هـ)، ص٣٥٨-٣٧٤.

والسياسية والاقتصادية في ذهن العرب والمسلمين اليوم. وهي صورة بات الاستشراق الأمريكي الأكثر نزاهة من نظيره الأوروبي يعاني من وطأتها وآثارها[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن مصطلح "الاستشراق" أصبح من المصطلحات القديمة التي تخلى عنها كثير من المستشرقين المعاصرين للأسباب التالية[2]:

١- غموض المصطلح وعدم دقته، ففي البداية كان المستشرقون علماء لغة "فيلولوجيين"، يهتمون بالتحصيل والدراسة وطبع النصوص وتفسيرها، وكان المصطلح مناسبا لواقعهم، أما اليوم فقد أصبح هذا المصطلح غامضا في دلالته إلى حد كبير.

٢- عدم قدرته على الوفاء بوصف الباحثين المتخصِّصين في مجالات عديدة تتعلق بأهل المشرق، من حيث أديانهم وثقافاتهم وتاريخهم. فمع تقدم الاستكشاف والتبحر العلمي، أصبحت كلمة "مستشرق" غير وافية أكاديميا وجغرافيا. فلم يعد الدارسون المتخصصون في شؤون الشرق الأوسط محصورين في علم واحد، فقد تفرع علمهم، وتشعب إلى عدة علوم. كما أن مصطلح "الشرق" أصبح أكثر اتساعا، بحيث يشمل مناطق تتجاوز الشرق الأوسط الذي انحصر اهتمام الأوروبيين فيه، كالصين والهند وغيرهما[3].

٣- ما اصطبغ به من أوصاف سلبية وتاريخ علمي بعيد عن الموضوعية والإنصاف. يقول المستشرق برنارد لويس في مقال له يتناول فيه ما توصل إليه المستشرقون في مؤتمرهم العالمي في باريس، عام ١٩٧٣م، بمناسبة مرور مائة عام على بداية عقد المستشرقين لمؤتمراتهم الدولية: "لقد أصبحت كلمة (مستشرق) منذ الآن فصاعدا ملوثة هي الأخرى أيضا، وليس هناك أمل في الخلاص. ولكن الضرر هنا أقل، لأن هذه الكلمة كانت قد فقدت أهميتها، وحتى أولئك الذين كانت تدل عليهم تخلَّوا عنها. وقد تجلى هذا التخلي رسميا في المؤتمر الدولي

---

[1] انظر مقال: "الاستشراق الأمريكي: الجذور والملامح"، هشام منور: (http://almoslim.net/node/107422), 27/1/2011.

[2] انظر الاستشراق، لإدوارد سعيد، ص٣٨؛ ومقال "مسألة الاستشراق"، برنارد لويس، ص١٦١-١٦٣.

[3] انظر "مسألة الاستشراق"، لبرنارد لويس، ص١٦٢.

التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس، صيف ١٩٧٣م... ووصل بهم الأمر إلى حد المطالبة بإلغاء هذا النوع من المؤتمرات، محتجين بالقول: إن هذا الاختصاص ذاته قد انتهى، ولم يعد يلبي هدفه أو حاجته. ولكن للمؤسسات عاطفة البقاء، وهذا شيء طبيعي. وكانت العاطفة من القوة بحيث إنها منعت حل المؤتمر، ولكن الاتجاه الذي دعا إلى التخلص من كلمة (الاستشراق) قد انتصر"[١].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الوفد الاستشراقي السوفيتي الذي شارك في هذا المؤتمر بقيادة مدير معهد الاستشراق في موسكو، المستشرق باب جان غافوروف من طاجكستان، كان قد دافع عن هذا المصطلح، ودعى إلى عدم التخلي عنه، بعد أن خدم لأكثر من مائة عام. وعلى الرغم من تأييد مستشرقي أوروبا الوسطى لرأي غافوروف، فقد هزم عند التصويت، وتم إلغاء كلمة "مستشرق"، كما تم اقتراح تسمية جديدة للمؤتمر، وهي: المؤتمر الدولي للعلوم الإنسانية في آسيا وإفريقيا الشمالية (ICHSANA)[٢]. وقد عقدت المنظمة مؤتمرَيْن تحت هذا العنوان، إلى أن تم تغييره مرة ثانية إلى المؤتمر الدولي للدراسات الآسيوية والشمال إفريقية (ICANAS)[٣].

وقد نبه المستشرق كلود كاهن[٤] على ضرورة إعادة النظر في الدلالة التاريخية لمصطلح "الاستشراق"، لأن دلالته في المرحلة الراهنة لم تعد تتناسب مع الواقع، ولم تعد تعبر في الوقت نفسه عن مضمون علمي في مجال الأبحاث المتعلقة بالبلدان الشرقية.

---

[١] "المرجع السابق، ص١٦٣.

[٢] المرجع السابق، ص١٦٣-١٦٤.

[٣] انظر موقع مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق، إشراف الدكتور مازن المطبقاني:
(http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=1&RPID=1&LID=1), 10. 5. 2011.

[٤] كلود كاهن "Cl. Cahen" (١٩٠٩-١٩٩١م): مستشرق فرنسي تخرج باللغات الشرقية في السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا، وعين محاضرًا في مدرسة اللغات الشرقية في باريس عام ١٩٣٨م، وأستاذًا لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة ستراسبورغ عام ١٩٤٥م، وفي جامعة باريس. حقق العديد من النصوص التاريخية المهمة، كما أنجز عددًا من المؤلفات عن الحروب الصليبي، ونشر كثيرا من الدراسات والأبحاث في المجلات العلمية.

كما اقترح حذف هذا المصطلح لأنه لا يدل على علم قائم بذاته، مؤكدا أن كثيرا من المهتمين بشؤون الشرق لا يعدون أنفسهم مستشرقين[١]. وهكذا نجد بعض المستشرقين المعاصرين يرفض أن ينسب نفسه إلى هذا المصطلح، ومن هؤلاء المستشرق جون أسبوزيتو[٢] الذي رفض "في محاضرة ألقاها في السفارة الأمريكية بالرياض أن يُدعى من المستشرقين، وفضل أن يدخل في حِمى (علماء الإسلاميات)"[٣].

وقد توزعت تخصصات الاستشراق في العصر الحديث حسب الأديان والثقافات والحضارات السائدة في الشرق، أو حسب مناطق الشرق الجغرافية، وبدأت مصطلحات أخرى جديدة بالظهور، نحو: الاستعراب، والدراسات الإسلامية، ودراسات الشرق الأوسط، وهكذا. فغاية ما في الأمر –حسب رأي المستشرق الإسباني فرانسيسكو غابرييلي– أن الاستشراق الذي كان يعد في البداية علما واحدا سرعان ما انقسم إلى فروع وتخصصات مستقلة بعضها عن بعض، ومتعلقة بمختلف الحضارات الخاصة بالشرق الإفريقي–الآسيوي، فالجمعيات الاستشراقية ما تزال قائمة[٤]، والمؤتمرات الاستشراقية أخذت تميل إلى عقد مؤتمرات أكثر تخصصا

[١] انظر أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، للدكتور محمد خليفة حسن، ص١٢٥-١٢٦.

[٢] جون إسبوزيتو "John Louis Esposito" مستشرق أمريكي معاصر، ولد عام ١٩٤٠م، وتتلمذ على الأستاذ إسماعيل فاروقي رحمه الله تعالى، الذي مات مقتولا، في شهر رمضان عام ١٤٠٧هـ. تخرج في جامعة "تمبل" بفيلادلفيا، بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعمل أستاذا في الأديان والشؤون الدولية بجامعة جورج تاون بواشنطن، وقد ترأس مجموعة من الهيئات المهتمة بالإسلام والشرق الأوسط. يرأس تحرير موسوعة العالم الإسلامي المعاصر في جامعة أكسفورد، ويدير مركز الأمير الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي. انظر الاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور علي بن إبراهيم الحمد النملة، (مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص١٣٢؛ وموسوعة ويكيبيديا على الإنترنت: (http://en.wikipedia.org/wiki/John_Esposito)، ٢٠١١/٥/٣م.

[٣] مقال "كنه الاستشراق"، للدكتور علي النملة، ص٣٢. وانظر الاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور علي النملة، ص١٣٢.

[٤] مثل الجمعية الاستشراقية الألمانية، والجمعية الآسيوية الملكية الإنجليزية، والجمعية الآسيوية الفرنسية.

بشؤون العالم العربي والإسلامي والهندي والصيني وغير ذلك من المجالات والتخصصات. ومن حق الغرب –كما يصرح غابرييلي- "أن يطبق على الشرق مفاهيمه ومناهجه وأدواته الخاصة التي كان قد بلورها في تاريخه الحديث، كما يحق للغرب أن يطبق معاييره الخاصة على ما ندعوه بالتاريخ والحضارة والثقافة والفلسفة والشعر. بمعنى آخر فإنه إذا كان البعض يحلمون بإمكانية جعل الفكر الغربي يتراجع عن نتائج دراساته التاريخية الطويلة للبشرية وتفسيرها، فإنهم واهمون"[1].

وهذا يؤكد استمرار حركة الاستشراق ومناهجها، وتطورها وعدم اضمحلالها وتوقفها، كما يشهد على تحول اهتماماتها وأولوياتها بما يتناسب مع المتطلبات والاحتياجات المعاصرة للمؤسسات التي يعمل فيها أبناء هذه الحركة، والدول التي يعيشون في أكنافها. ويشير إلى ذلك أحد الباحثين الغربيين بقوله: "إن الدراسات المتركزة على شعوب وثقافات ومجتمعات المناطق العديدة المشمولة سابقا تحت اسم الشرق سوف تستمر، وسوف يساهم فيها منذ الآن فصاعدا اختصاصيو البلدان أو المناطق المدروسة. ولكن هؤلاء الأخيرين لن يكونوا أكثر تحررا من المستشرقين من تلك العقبات التي تسببها الأيدولوجيات أو المشروطيات الاجتماعية الخاصة برؤيتهم للأشياء، سواء كان الأمر يتعلق بعوامل خاصة بزمننا، أم بعوامل ملازمة لكل فعالية فكرية عبر العصور"[2].

وهذا مما حمل الدكتور إدوارد سعيد على تطبيق مصطلح "الاستشراق" على علماء الاجتماع الأمريكيين المعاصرين، مع أنهم لا يسمون أنفسهم مستشرقين، بل ربما كان استخدام هذا المصطلح شاذا في نظرهم، وذلك "للفت الانتباه إلى الطريقة التي ما يزال بها خبراء الشرق الأوسط يَمْتحون من مخلفات مركز الاستشراق الفكري في أوروبا القرن التاسع

---

[1] مقال "ثناء على الاستشراق"، فرانسيسكو غابرييلي، نشر الأصل بالفرنسية بعنوان: "Apologie de l'Orientalisme" في مجلة *Diogene*، عدد: ٥٠، ١٩٩٥م، نقلا عن مقال "هل انتهى الاستشرق حقا؟"، للدكتور مازن صلاح مطبقاني، (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة الخامسة عشرة، العدد ٤٣، رمضان ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص٢٩٢-٢٩٣.

[2] "الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا"، لمكسيم رودنسون، ص٨١.

عشر"[1]. فما تزال الكتب "تكتب، والمؤتمرات تعقد، ومحرقها الرئيسي "الشرق"، والسلطة المرجعية فيها المستشرق في قناعه الجديد أو القديم... فالاستشراق —حتى إذا لم يستطع البقاء كما كان ذات يوم– يستمر في الحياة جامعيا عبر معتقداته المذهبية وأطروحاته عن الشرق والشرقي"[2].

وهذا يؤكد اعتماد الاستشراق المعاصر على الاستشراق القديم، وإن وجدت بعض المحاولات الجادة لتحسين صورته لدى العلماء والمفكرين والمثقفين المسلمين[3]. كما يؤكد أن الاستشراق لم يستنفد أغراضه بعد، فما زال قائما، وما زالت مئات الدوريات تصدر عنه، وما زالت المطابع تدفع إلى الأسواق مئات وألوف الكتب كل عام من تأليف الباحثين الغربيين[4]. والأقسام العلمية في الجامعات الأوروبية والأمريكية، وإن تسمت بأسماء مختلفة، كقسم الدراسات الشرق أوسطية، أو الشرق الأدنى، أو غير ذلك، فهي في حقيقة الأمر أقسام للاستشراق، والذين يعملون فيها مستشرقون، وإن تسموا بأسماء أخرى[5]. وهذه الأقسام والتخصصات هي الصورة الحديثة لما كان يعرف سابقا بالاستشراق.

وبناء على ما سبق فإن اختفاء مصطلح "الاستشراق"، أو ندرة استخدامه ومحاولة التخلص منه، وظهور الأقسام والتخصصات الجديدة لا يعني بالضرورة توقف هذه الحركة أو نهايتها، كما لا يعني انتهاء صلاحية استخدام هذا المصطلح. إنما هي خطة للحفاظ على استمرار فكر الاستشراق ومنهجه، وجعله أكثر قبولا في العالم الإسلامي، كما أنها في الوقت نفسه نتيجة تطور طبيعي لمجال معرفي كان محصورا في عدد محدد من المتخصصين في دراسة الشرق عامة والعالم العربي والإسلامي خاصة، ومحاولة للتركيز على تخصص معين داخل الحركة

---

[1] الاستشراق، لإدوارد سعيد، ص٥٣.

[2] المرجع السابق، ص٣٨.

[3] الاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور علي النملة، ص١٣٠.

[4] انظر موقف الاستشراق من السيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري، (الرياض، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ/١٩٩٨م)، نقلا عن مقال "هل انتهى الاستشرق حقا؟"، للدكتور المطبقاني، ص٢٨٧.

[5] انظر مقال "هل انتهى الاستشرق حقا؟"، للدكتور المطبقاني، ص٢٨٧، ٣٠٢.

الاستشراقية التي اتسعت مجالاتها لتشمل جميع شعوب الشرق على مستوى الدين والحضارة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب والفن وما إلى ذلك[1].

و يمكن إجمال أهم مميزات الاستشراق في العصر الحديث في النقاط الآتية[2]:

١- الارتكاز بشكل أوضح على النظرة العلمية، والتعمق في الدراسات الإسلامية والعربية من مصادرها الرئيسة، والعمل على التحليل والمقارنة والنقد، والاستفادة من النظريات العلمية الحديثة التي كانت قد دخلت الدراسات الأكاديمية في الغرب.

٢- الاهتمام بدراسة الواقع السياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي للشعوب الشرقية، وقد تم بهذا التحول من الدراسات الاستشراقية التقليدية -أو ما يسمى بالكلاسيكية- إلى دراسة الواقع الشرقي، وبدأ كثير من المستشرقين يهجرون المجالات الاستشراقية التقليدية مثل: مجالات القرآن، والحديث، والعقيدة الإسلامية، والفقه، والسيرة النبوية، والفرق الإسلامية، ومجالات التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ومجالات الأدب واللغة، متجهين إلى دراسة الأوضاع الاجتماعية للمجتمعات المسلمة من النواحي السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية. وقد أدى ذلك إلى ندرة أو قلة الكتابات العلمية المتعلقة باللغة العربية والعلوم الشرعية مقارنة مع ما يكتب في ما يعرف الآن بالدراسات الإقليمية، أو الدراسات الشرق أوسطية.

٣- غياب المستشرق التقليدي، وظهور الخبير المتخصص في فرع معين من فروع المعارف المتعلقة بالشرق، كالخبير السياسي، والخبير الاقتصادي، والخبير الاجتماعي، والخبير

---

[1] انظر أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، للدكتور محمد خليفة حسن، ص٢٧؛ ومقال "كنه الاستشراق"، للدكتور على النملة، ص٣٢؛ ومقال "هل انتهى الاستشرق حقا؟"، للدكتور المطبقاني، ص٢٩١.

[2] انظر: زيارة جديدة للاستشراق، أنور محمود زناتي، نقلا عن مقال "مصطلح الاستشراق"، للمؤلف نفسه، (http://moslimonline.com/?page=artical&id=3669)، ٢٠١١/٤/٨م؛ وأزمة الاستشراق، الدكتور محمد خليفة حسن أحمد، الفصل الثاني، مظاهر الأزمة الاستشراقية، ص٦٥-١٢٩؛ ومقال "هل انتهى الاستشرق حقا؟"، للدكتور المطبقاني.

الديني، والخبير اللغوي، وغير ذلك. وقد توزعت تخصصات الاستشراق في العصر الحديث حسب الأديان والثقافات والحضارات السائدة في الشرق، أو حسب أقاليم الشرق الجغرافية. فهناك المتخصصون في الدراسات العربية والإسلامية، أو الدراسات الهندوسية من جهة، وهناك المتخصصون أو الخبراء بشؤون جنوب غرب آسيا، أو الشرق الأوسط من جهة أخرى.

٤- التوسع في إنشاء المراكز العلمية والجمعيات الاستشراقية المتخصصة بمجال معين أو إطار جغرافي محدد، وظهور ما يسمى بمراكز بحوث الشرق الأوسط، أو مراكز بحوث ذات طابع إقليمي تهتم بمتابعة الشؤون السياسية والاقتصادية لبلد من بلدان الشرق أو لإقليم منه. فهناك مراكز لبحوث الشرق الأوسط، ومراكز لبحوث الشرق الأقصى، ومراكز مرتبطة ببلد معين مثل: مركز البحوث الإيرانية، أو مركز البحوث اليابانية أو التركية أو الصينية أو معهد الدراسات اليمنية، ونحو ذلك.

ويلاحظ أيضاً فقدان هذه المراكز استقلالها، وذلك بسبب ارتباطها المباشر وتمويل مشروعاتها من قبل جهات حكومية معينة، أو شركات اقتصادية كبرى لها مصالح اقتصادية في الشرق. فقد أصدرت الحكومة الأمريكية مرسوماً بتوفير مبالغ ضخمة لدعم مراكز دراسات الشرق الأوسط في عدد من الجامعات الأمريكية، من بينها جامعة برنستون، وجامعة نيويورك، وجامعة كاليفورنيا وجامعة إنديانا وغيرها. وما تزال هذه الجامعات منذ الخمسينيات تتلقى الدعم الحكومي الأمريكي. كما تبنت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية عقد ندوة شهرية للمتخصصين في الدراسات العربية الإسلامية (وبخاصة الأصولية) لمساعدة الحكومة الأمريكية في التعامل مع هذه الظاهرة.

٥- الاهتمام بإنشاء المجلات والدوريات المتخصصة، والعمل على نشر الأبحاث والمقالات العلمية فيها، ومن ذلك مجلة العالم الإسلامي "*The Muslim World*" التي أنشئت عام ١٩١١م، والمتخصصة في الدراسات المتعلقة بالعالم الإسلامي، والعلاقات

النصرانية الإسلامية[1]؛ ومجلة الدراسات الشرقية والإفريقية "*Bulletin of the School of Oriental and African Studies*"[2]، التي يصدرها معهد الدراسات الشرقية والإفريقية، في لندن؛ ومجلة المعهد الأمريكي للأبحاث الشرقية "*Bulletin of the American Schools of Oriental Research* (BASOR)" التي أنشئت عام ١٩١٩م[3].

ويمكن أن نعرف مدى كثافة إنتاج الاستشراق، إذا لاحظنا أنه منذ مطلع القرن العشرين، وعلى مدى ستين عاماً (١٩٠٦-١٩٦٥م)، نشر في الدوريات الغربية "٤١٤٧٠" مقالا وبحثاً حول الإسلام، كما وثّقَ ذلك جي. دي. بيرسون "J. D. pearson" مدير مكتبة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، في دورية: "*Index Islamicus*" التي نشرت في لندن عام ١٩٥٨م.

٦- ظهور أعمال غربية ناقدة للاستشراق ومطالبة لتغيير وجهة الاستشراق وتصحيح صورته عند المسلمين. ومن أهم هذه الكتب: الكتاب الذي حرره ليونارد بايندر وسبقت الإشارة إليه، بعنوان: "دراسة الشرق الأوسط"، وقد طالب هذا الكتاب بمراجعة العمل الاستشراقي وتصحيح أخطاء منهجه، ونقد الاتجاه التنصيري في دراسة الإسلام، وتقديم مقترحات علمية تخص تصحيح مسيرة الاستشراق. ومن الأعمال الأخرى المهمة في نقد الاستشراق وكشف صلته بالاستعمار والتنصير كتاب إدوارد سعيد "الاستشراق"، الذي مزج فيه بين الاستشراق والاستعمار، وأكد تضمن "الاستشراق" للموقف السلطوي للاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

---

[1] انظر موقعها على الإنترنت:
(http://www.blackwellpublishing.com/journal.asp?ref=0027-4909), 13/4/2011.

[2] انظر موقعها على الإنترنت:
(http://journals.cambridge.org/action/displayJournal?jid=BSO), 14/4/2011.

[3] انظر موقعها على الإنترنت:
(http://www.bu.edu/asor/pubs/basor/index.html), 16/4/2011.

٧- تخلي المستشرقين المعاصرين عن مصطلح "الاستشراق" وما يشتق منه نظرا لعدم دقته وعموميته، وعدم قدرته على الوفاء بوصف الباحثين المتخصصين بالمعارف الشرقية المتنوعة، أضف إلى ذلك ما اصطبغ به هذا المصطلح من أوصاف سلبية وتاريخ علمي بعيد عن الموضوعية والإنصاف. وفي مقابل ذلك ظهر مصطلح الخبير أو المتخصص في الدراسات الإسلامية، أو شؤون الشرق الأوسط، أو الشرق الأقصى، وهكذا.

المبحث الثاني

علاقة الاستشراق بعلم الحديث والموقف من جهود المستشرقين

اعتنى المستشرقون في القرنين الأخيرين –الرابع عشر والخامس عشر الهجري/التاسع عشر والعشرين الميلادي[1]– بدراسة الحديث الشريف وعلومه عناية كبيرة، وخصوه بكثير من أبحاثهم ودراساتهم، فلا يخفى عليهم –وهم الدارسون لثقافة الشرق وعلومه– أهمية الحديث الشريف عند المسلمين، فهو ثاني المصادر التشريعية الرئيسة، ويشكل مع القرآن الكريم المصدر التشريعي الرئيس للدين الإسلامي. وقد جاء اهتمام المستشرقين بالحديث الشريف متأخرا نوعا ما، وذلك بعد أن شغلوا فترة بالدراسات اللغوية والتاريخية. وسيعرض هذا المبحث لتاريخ اهتمام المستشرقين بعلم الحديث ومجالات هذا الاهتمام، كما يبين الموقف المختار من هذه الحركة وأصحابها.

المطلب الأول: علاقة الاستشراق بعلم الحديث:

تناولت حركة الاستشراق العلوم الإسلامية بمختلف أنواعها، وكان للمستشرقين اهتمام خاص بالقرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه، والعقيدة الإسلامية، والسيرة النبوية، والفقه الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، والتصوف، واللغة العربية. وقد أمضى المستشرقون كثيرا من الوقت في الدراسات الأدبية والتاريخية، وكان توجههم إلى دراسة علم الحديث متأخرا وقليلا إذا ما قورن بغيره من التخصصات[2]، فالأحاديث النبوية لم يتجه إلى دراستها إلا عدد قليل جدا من المستشرقين، والذين كانت لهم نتائج بارزة في هذا الميدان لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، وبحوث هؤلاء لم تكن ناضجة، ومناهجهم لم تكن علمية[3].

---

[1] بداية القرن الرابع عشر الهجري هو عام ١٣٠١هـ، الذي يبدأ في ١٨٨٣/١١/٢م.

[2] انظر دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، ١/ي؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، ص١٩.

[3] انظر دراسات في الحديث النبوي، للدكتور الأعظمي، ١/ل.

ويلاحظ من تتبع جهود المستشرقين في علم الحديث أن معظم تلك الجهود يعود إلى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

أما كتابات المستشرقين حول السيرة النبوية –على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم– فقد بدأت قبل ذلك بكثير، ومعظم تلك الكتابات كان في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي إلى منتصف القرن العشرين الميلادي[1]، وهي جديرة بإعداد دراسات خاصة بها.

وقد تمثل اهتمام المستشرقين بعلم الحديث في ثلاثة محاور رئيسة، وهي: التحقيق، والتأليف، والترجمة[2]:

المحور الأول: التحقيق:

اعتنى المستشرقون في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي بتحقيق عدد من المصنفات المهمة في الحديث وعلومه، وقد جاءت عنايتهم بذلك في وقت مبكر، قبل اهتمام المسلمين بتحقيق تراثهم ونشره. وقد نوه بتلك التحقيقات الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي، وقارنها بما ساد من تحقيقات ضعيفة في العالم الإسلامي، مليئة بالأخطاء الواضحة والنقص والتحريف، كما بين تميز تحقيقات المستشرقين لكتب التراث بما يأتي[3]:

[1] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣/٥٤١-٥٤٦.

[2] انظر عرضا لأهم جهود المستشرقين في علم الحديث في: المستشرقون، للعقيقي، ٣/٥٤٦-٥٤٩. ومما تجدر الإشارة إليه أن عناية المستشرقين بسيرة النبي ﷺ، كانت أسبق وأوسع من عنايتهم بعلم الحديث، انظر المستشرقون، للعقيقي، ٥٤١-٥٤٦.

[3] الجامع الصحيح "سنن الترمذي"، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر، (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، مقدمة المحقق، ١/١٧-١٨. وقد اعتنى الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى بهذه المقدمة، وأفردها في كتاب مستقل، وذيلها بهوامش وتعليقات مفيدة، انظر تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، للشيخ أحمد شاكر، عناية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص١٠-١٢.

١- المحافظة الدقيقة –غالبا- على ما في الأصول المخطوطة التي يطبع عنها، مهما اختلفت، مع الإشارة إلى ما فيها من خطأ وصواب، ووضعه تحت أنظار القارئين، فرب خطأ في نظر مصحح الكتاب هو الصواب الموافق لما قال المؤلف، وقد يتبينه شخص آخر عن فهم ثاقب أو دليل ثابت.

٢- وصف الأصول التي يطبعون عنها وصفا جيدا، يُظهر القارئ على مبلغ الثقة بها، أو الشك في صحتها، ليكون على بصيرة من أمره. وهذه ميزة لا توجد فيما طبع بمصر قديما، بلغ ما بلغ من الصحة والإتقان. وضرب مثالا لذلك كتاب سيبويه، طبع في باريس عام ١٨٨١م، الموافق ١٢٩٨/١٢٩٩هـ، ثم طبع في بولاق عام ١٣١٦-١٣١٨هـ، وتجد في الأولى اختلاف النسخ تفصيلا في الحاشية، ومقدمة باللغة الفرنسية فيها بيان الأصول التي طبع عنها، ونص ما كتب عليها من تواريخَ وسماعات واصطلاحات وغير ذلك، ثم لا تجد في طبعة بولاق حرفا واحدا من ذلك كله، ولا إشارة إلى أنها أخذت من طبعة باريس.

ولذلك كانت تحقيقات المستشرقين نفائس تقتنى وأعلاقا تدخر، وتغالى الناس في اقتنائها على علو ثمنها، كما كانت مرشدا للباحثين المحدَثين، وفي مقدمة من قلدهم وسار على نهجهم في التحقيق والتدقيق العلامة الحاج أحمد زكي باشا رحمه الله تعالى، ثم من سار سيرته، واحتذى حذوه[1]. وقد نبه الشيخ أحمد شاكر على اغترار بعض الباحثين بجهود المستشرقين، لما رأوا من إتقان المطبوعات التي نشروها، وظنهم أنها صناعة ابتكروها لا على مثال سابق، وأن ليس أحد من المسلمين بقادر على أن يأتي بمثل ما أتوا به، مبينا سبق علماء المسلمين المتقدمين إلى تقرير قواعد التحقيق والتصحيح، وكتابة فصول نفيسة في ذلك[2].

[1] انظر المرجع السابق، ١/١٨-١٩. وانظر تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، للشيخ أحمد شاكر، ص١٢.

[2] المرجع السابق، ١/٢٠-٢١. وانظر نقلا مطولا حول قواعد كتابة الحديث اقتبسه المؤلف من كتاب علوم الحديث، للإمام ابن الصلاح، في مقدمة الجامع، ١/٢٢-٤٢.

ومن أشهر تحقيقات المستشرقين في علم الحديث ما يأتي:

١- تحقيق كتاب صحيح البخاري، حيث نشر المستشرق الألماني كريل[١] الأجزاء الثلاثة الأولى منه، عام ١٨٦٢-١٨٦٨م، ونشر الجزء الرابع المستشرق الهولندي ثيودر جوينبول[٢]، عام ١٩٠٨م. وقد وقفت على نسخة إلكترونية للجزء الأول منه، مثبت عليها: "وقد اعتنى بتصحيحه وطبعه العبد الحقير: لودلف قرهل، بالإضافة إلى اسم مطبعة بريل في ليدن، وتاريخ الطبع عام ١٨٠٢م.

٢- تحقيق المستشرق الفرنسي وليم مارسه[٣] لكتاب التقريب والتيسير للنووي، مع الترجمة في المجلة الآسيوية[٤]، عام ١٩٠٠-١٩٠١م، ثم نشر بشكل مستقل في باريس، عام ١٩٠١م[٥]. وما وقفت عليه من كلام حول هذا العمل يشير إلى الترجمة والتعليق دون التحقيق، والله أعلم.

---

[١] كريل "M. Ludolf Krehl" (١٨٢٥-١٩٠١م): مستشرق ألماني، نشر الجزأين الأولين من نفح الطيب للمقري (١٨٥٥-١٨٦١م). انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٣٧٦.

[٢] ثيودر جوينبول "Th. W. Juynboll" (١٨٦٦-١٩٤٨م): مستشرق هولندي، تخرج في جامعة ليدن، وله اهتمام خاص بعلمي الحديث والفقه. وهو كاتب مقال حديث في دائرة المعارف الإسلامية القديمة. انظر ترجمته في المبحث الخامس من هذا البحث.

[٣] وليم مارسه "William Marcais" (١٨٧٤-١٩٥٦م)، مستشرق فرنسي من ذوي الثقافات الواسعة والميل إلى فقه اللغات عامة وفقه اللغة العربية خاصة، اختارته حكومة الجزائر مديرا لمدرسة تلمسان وأستاذا فيها، عام ١٨٩٨م. وهو متقن للغة العربية كتابة وخطابة، وكان يتردد على تونس أسابيع في كل سنة لإلقاء دروس بالعربية. له آثار كثيرة يتناول معظمها اللغة العربية والأدب العربي. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١/٢٥١-٢٥٢. انظر ترجمته في المبحث الخامس من هذا البحث.

[4] *Journal asiatique* (9th ser.) 16; 17; 18, (1900; 1901; 1901): 315-346, 478-531; 101-149, 193-232, 524-540; 61-146.

[5] W. Marcais, *Le Taqrib de En-Nawawi*, traduit et annate", Paris, 1901.

٣- تحقيق المستشرق الألماني ريتير[1] لكتاب مختلف الحديث لابن قتيبة، وإصلاح الغلط في غريب الحديث لابن سلام، عام ١٩٢٩م.

٤- تحقيق المستشرق النمساوي شبرنجر[2] لكتاب الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر، عام ١٨٥٦-١٨٧٣م[3].

[1] هـ. ريتير "Hellmut Ritter" (١٨٩٢-١٩٧١م): من أعلام المستشرقين الألمان الذين عنوا بالثقافة العربية والإسلامية. أشرف على معهد الآثار الألماني في استانبول طوال ثلاثين سنة، وأنشأ له المكتبة الإسلامية لتحقيق النصوص الإسلامية عام ١٩١٨م، واختير عميدا لكلية الآداب في جامعة فرانكفورت عام ١٩٤٩م. له آثار كثيرة ومتنوعة بين التحقيق والتأليف، ومن أعماله في التحقيق: تحقيق الجزء الأول من كتاب مقالات الإسلاميين للأشعري في ٣٠٠ صفحة عام ١٩٢٩م؛ وتحقيق كتاب الوافي بالوفيات للصفدي، المطبوع في إستانبول وألمانيا، عام ١٩٣١م، ويحتوي الكتاب على أربعة عشر ألف ترجمة؛ وتحقيق كتاب أسرار البلاغة للجرجاني. ويشير العقيقي في الجزء الثالث من كتابه إلى أن هذا المستشرق قد حقق كتاب مختلف الحديث لابن قتيبة، وكتاب إصلاح الغلط في غريب الحديث لابن سلام، عام ١٩٢٩م، بينما يفهم من عرضه لترجمة المستشرق في الجزء الثاني أنها دراسات وأبحاث حول الكتابين في مجلة الإسلام. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٤٦٠-٤٦١، وقارن بما جاء في ٣/٥٤٦.

[2] شبرنجر "Aloys Sprenger" (١٨١٣-١٨٩٣م)، مستشرق نمساوي الأصل بريطاني الجنسية. درس اللغات الشرقية في جامعة فيينا، وانتقل إلى لندن عام ١٨٣٦م، ثم أرسلته شركة الهند الشرقية إلى الهند طبيبا عام ١٨٤٢م. تولى أمانة الجمعية الآسيوية في كلكتا عام ١٨٥٠م، كما تولى رئاسة الكلية الإسلامية في دلهي، ثم مدرسة كلكتا. وعُين أستاذا للغات الشرقية في جامعة برن، عام ١٨٥٧م. يعد نفسه أول كاتب أوروبي لسيرة النبي ﷺ من مصادرها العربية الأصيلة. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٢٧٧-٢٧٨. وانظر موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت: (http://en.wikipedia.org/wiki/Aloys_Sprenger)، ٢٠١١/٣/١٢م.

[3] *Ibn Hajar's biographical dictionary of persons who knew Mohammed*. (Calcutta 1856).

٥- تحقيق المستشرق الألماني فلايخامير[١] لكتاب مشاهير علماء الأمصار، للإمام ابن حبان، عام ١٩٥٩م[٢]، وذلك اعتمادا على المخطوط الوحيد في مكتبة جامعة ليبزيج "Leipzig"[٣] في ألمانيا. وفيه تراجم ١٦٠٢ من الصحابة والتابعين.

٦- تحقيق المستشرق جيمس روبسون[٤] للمدخل إلى علم الحديث، للإمام الحاكم، مع ترجمته إلى اللغة الإنجليزية[٥]، والذي نشر عام ١٩٥٣م.

المحور الثاني: التأليف:

حظي هذا المحور باهتمام واسع من قبل المستشرقين، حيث كتبوا عددا من البحوث والدراسات حول حجية السنة، وتدوينها، وغير ذلك من القضايا المتعلقة بها، كما أعدوا الفهارس الموسعة لكتب الحديث النبوي، ويمكن تقسيم أعمالهم في هذا المحور إلى ثلاثة مجالات:

---

[١] م. فلايخامير "M. Fleishhammer"، مستشرق ألماني، له مقال "العباسيون" في المجلة الشرقية الألمانية، عام ١٩٦٢م. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٤٨٠.

[2] Ibn Hibbān, Muhammad b. Hibbān b. Ahmad Abi Hātim, *Mashāhīr ‘Ulamā’ al-Amsār*, ed. by M. Fleishhammer, Weisbaden, 1959.

[٣] جامعة ليبزيج "University of Leipzig" واحدة من أقدم الجامعات في أوروبا، وثاني أقدم جامعة في ألمانيا، تم تأسيسها عام ١٤٠٩م. وتنسب الجامعة إلى مدينة ليبزيج ثاني أكبر مدن ولاية ساكسونيا في شرق ألمانيا، وتشتهر المدينة بكثرة المعارض المنظمة فيها، وهي مركز مهم لطباعة الكتب على مدى التاريخ، وفيها واحدة من أقدم الجامعات الألمانية والعديد من الكليات والمعاهد العليا. انظر موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:
(http://en.wikipedia.org/wiki/University_of_Leipzig), 12. 3. 2011.

[٤] جيمس روبسون "James Robson" (١٨٩٠-١٩٨١م)، مستشرق بريطاني من مدينة جلاسكو في بريطانيا، كتب مقال "حديث" وغيره من المقالات المتخصصة في علم الحديث في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية، وفي عدد من الدوريات العلمية المتخصصة في الدراسات العربية والإسلامية. انظر ترجمة مفصلة له في المبحث الخامس من هذا البحث.

[5] Al-Ḥākim al-Naysabūrī, *al-Madkhal fī ‘Ilm al-Ḥadīth*. being *al-Madkhal ilā ma‘rifat al-Iklīl*, edited with introduction, translation and notes by James Robson. The Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, London 1953.

المجال الأول: تأليف الكتب.

تعد مؤلفات المستشرقين المتخصصة في علم الحديث قليلة إذا ما قورنت بالكتابات في غيرها من التخصصات، وفيما يأتي عرض لأشهر كتاباتهم في هذا العلم:

١- كتاب: دراسات محمدية "*Muhammadanische Studien*" للمستشرق إجناس جولدتسيهر[١] الذي نشر عام ١٨٩٠م باللغة الألمانية، وترجم فيما بعد إلى اللغة الإنجليزية. ويعد هذا الكتاب من أوائل دراسات المستشرقين التي أولت علم الحديث عناية خاصة. وقد جاء في جزئين، تحدث الجزء الأول منه عن الوثنية والإسلام، وعرض للصراع الذي قام بينهما. أما الجزء الثاني -وهو الجزء الأهم- فقد خصص المؤلف معظمه لعلم الحديث[٢]، حيث قدم فيه صورة لتاريخ الحديث وتطوره، زاعما أن قيمة الحديث تأتي باعتباره مصدراً عظيماً لمعرفة الاتجاهات السياسية والدينية والروحية التي وجدت في تاريخ الإسلام في مختلف العصور، حيث كانت الفرق الإسلامية تستخدم الحديث في نضالها المذهبي مع الفرق الأخرى. فقيمة الحديث عند جولدتسيهر هو ما يكشف عنه من ميول وتيارات استترت وراءه، وليس فيما ينقله من أخبار وتشريعات[٣].

---

[١] إجناس جولدتسيهر "Ignaz Goldzihr" (١٨٥٠-١٩٢١م)، مستشرق يهودي مجري يعد أستاذ المستشرقين ورائدهم في مجال الدراسات الإسلامية، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "دراسات محمدية"، و"العقيدة والشريعة في الإسلام"، و"مذاهب التفسير الإسلامي". رحل إلى سوريا وجالس الشيخ طاهر الجزائري مدة، ثم رحل إلى فلسطين ومصر. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣/٤٠-٤٢. انظر ترجمته في المبحث الخامس من هذا البحث.

[2] Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), translated from the German by C.R. Barber and S.M. Stern, (George Allen & Unwin Ltd., London, 1971), vol. 2, pp. 17-254.

[٣] انظر "جولدتسيهر: ترجمته، مؤلفاته، أهم الردود عليه"، الدكتور ماهر خميس، (موقع الملتقى العلمي للعقيدة والمذاهب المعاصرة)، (http://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=3741)، ٥/١٠/٢٠١٠.

٢- كتاب: أحاديث الإسلام "*The Islamic Tradition*"، للمستشرق ألفرد جليوم[١]، وقد نشر هذا الكتاب عام ١٩٢٤م، وهو من الدراسات المتخصصة في علم الحديث، لكن اعتماد المؤلف فيه على كتابات جولدتسيهر بشكل كبير أفقده القيمة العلمية الخاصة[٢].

٣- كتاب: أصول الشريعة المحمدية "*The Origins of Muhammadan Jurisprudence*"، للمستشرق جوزيف شاخت[٣] الذي قضى عشرة أعوام -كما قيل- في دراسة الأحاديث الفقهية، ونشر نتيجة أبحاثه في هذا الكتاب، عام ١٩٥٠م. وكان خلاصة ما توصل إليه هو الحكم بوضع جميع الأحاديث الفقهية، وأن تلك الأحاديث تعبر عن أقوال الفقهاء وآرائهم الفقهية[٤].

٤- كتاب: أصالة الحديث: مناقشات في مصر الحديثة "*The authenticity of the tradition literature: Discussions in modern Egypt*"، للمستشرق غوتييه

[١] ألفرد جليوم "Alfred Guillaume" (١٨٨٨م-١٩٦٥م)، مستشرق إنجليزي تخرج في جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر، وكان أستاذ اللغة العربية في معهد الدراسات العربية والإفريقية في جامعة لندن، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق، عام ١٩٤٩م، وفي بغداد، عام ١٩٥٠م. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١١٧/٢-١١٨؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٤٨-٤٩. انظر ترجمته في المبحث الخامس من هذا البحث.

[٢] انظر دراسات في الحديث النبوي، للدكتور الأعظمي، ١/ي؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، ص٢٠-٢١.

[٣] جوزيف شاخت "Joseph Schacht" (١٩٠٢-١٩٦٩م)، مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي. عمل محاضرا في الدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد وليدن والجزائر وغيرها، وانتخب عضوا في مجامع وجمعيات عديدة، منها المجمع العربي بدمشق. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٤٦٩/٢-٤٧١؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٢٥٢. انظر ترجمته في المبحث الخامس من هذا البحث.

[٤] انظر دراسات في الحديث النبوي، للدكتور الأعظمي، ١/ي.

جوينبول[1]، وهو في أصله رسالة قدمها لنيل درجة الدكتوراه في جامعة ليدن، وقد طبعت هذه الرسالة في مطبعة بريل في ليدن، عام ١٩٦٩م. وقد استعرض هذا الكتاب المجادلات في مسألة الحديث النبوي، والاحتجاج بالسنة، والتي ظهرت على صفحات المجلات في مصر، كالمنار وغيرها، كما استعرض المعارك الفكرية التي نشأت بسبب كتاب أضواء على السنة النبوية، للأستاذ محمود أبورية، منتقدا كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور مصطفى السباعي. وقد تعرض هذا الكتاب لنقد شديد بسبب ما فيه من جرأة وأوهام، وتحيز للفريق المناوئ للسنة، والمعادي للأحاديث النبوية[2].

٥- كتاب: الأحاديث النبوية: دراسات في تاريخ السنة وبواكير التأليف في الحديث، "*Muslim Tradition: Studies in Chronology, Provenance and Authorship of Early Hadith*"، للمستشرق غوتييه جوينبول. وقد نشر هذا الكتاب عام ١٩٨٣م، ثم أعيد نشره عام ٢٠٠٨م، في ٢٧٣ صفحة. وقد اعترف المؤلف في مقدمته بأنه متأثر بما توصل إليه المستشرقان جولدتسيهر وشاخت، كما أنكر وجود الأحاديث المتواترة، من خلال إنكاره لحديث: (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[3]، حيث يرى أن إثبات بطلان هذا الحديث الذي يعد من أكثر الأحاديث تواترا، يقتضي بطلان غيره

---

[1] غوتييه جوينبول "G. H. A. Juynboll" (١٩٣٥-٢٠١٠م) مستشرق هولندي يهودي معاصر، وهو ابن المستشرق وليم جوينبول "W. R. Juynboll" المتوفى عام ١٩٧٧م، ينتسب إلى عائلة اشتهر أفرادها باشتغالهم بالدراسات الاستشراقية، وله اهتمام خاص بعلم الحديث. انظر ترجمته في المبحث الخامس من هذا البحث.

[2] انظر التعليقات النقدية على كتاب دراسات محمدية، للدكتور الصّدِّيق بشير نصر، (مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق، لندن، ط٢، ٢٠٠٩م)، ص٦٧-٦٨.

[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم ١٠٨، ١/٣٣؛ والإمام مسلم في مقدمة صحيحه، واللفظ له، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، ١/١٠.

من الأحاديث المتواترة[1]. والكتاب تسوده نزعة شك مفرطة تجاه الأحاديث النبوية، حيث يذهب مؤلفه إلى القول بوضع معظم الأحاديث النبوية، وأن القليل من الأحاديث الصحيحة –إن وجد– لا يمكن تمييزه أو التعرف عليه، وأن نقاد الحديث قد فشلوا في التمييز بين الصحيح وغيره من الأحاديث[2].

٦– كتاب: مقدمة في علم الحديث، "*An Intruduction to the Hadith*" باللغة الإنجليزية للمستشرق جون بيرتون[3]، وقد نشرت هذا الكتاب مطبعة جامعة إدنبره، عام ١٩٩٤م، في ٢١٠ صفحات.

المجال الثاني: إعداد الدراسات والأبحاث المتخصصة:

أعد المستشرقون كثيرا من الدراسات والأبحاث حول علم الحديث، ومن هؤلاء المستشرق ليكومت[4]، فقد كتب عددا من الأبحاث المتعلقة بعلم الحديث، ومن ذلك:

١– "من اختلاف الحديث للشافعي إلى مؤتلف الحديث لابن قتيبة"، مجلة الدراسات الإسلامية، ١٩٦٧م.

---

[1] التعليقات النقدية على كتاب دراسات محمدية، للدكتور الصّدِّيق بشير نصر، ص٦٨.

[2] انظر عرضا لهذا الكتاب في موقع جامعة ميتشغن:
(http://www-personal.umich.edu/~beh/hb/juyn), 8/3/2011.

[3] لم أقف على ترجمة له، انظر كتابه:
John Burton, *An Intruduction to the Hadith*, Edinburgh University Press, Edinburgh, U. K., 1994.

[4] ج. ليكومت "G. Lecomte"، مستشرق فرنسي له عناية خاصة بالإمام ابن قتيبة ومصنفاته، وكتاباته كثيرة منها: الاستشهاد بالعهدين القديم والجديد في مصنفات ابن قتيبة، مجلة أربيكا، ١٩٥٨؛ اللغة العربية والحضارة الحديثة، مجلة المدرسة الوطنية للغات الشرقية، ١٩٦٤م؛ ابن قتيبة: الرجل ومصنفاته وأفكاره، من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق عام ١٩٦٥م؛ حول الشعر الجاهلي، مجلة أربيكا، ١٩٦٦م؛ ابن قتيبة، مجلة الدراسات الإسلامية، ١٩٧٠م. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣٧٥/١.

٢- "مصنفات ابن قتيبة في الحديث في القرنين السادس والسابع"، نشرة الدراسات الشرقية، ١٩٦٨م.

ولعل من أشهر المستشرقين المعاصرين في هذا المجال المستشرق جيمس روبسون[١] الذي نشر ثمانية عشر بحثا متخصصا في علم الحديث باللغة الإنجليزية، ومن تلك الأبحاث: الحديث الأصل الثاني في الإسلام، عام ١٩٥١م[٢]؛ والحديث: نقد وتصنيف، عام ١٩٥١م[٣]؛ والإسناد في الحديث عند المسلمين، عام ١٩٥٣م[٤].

وقد تأثرت كتابات هذا المستشرق بكتابات من سبقه من المستشرقين، وبخاصة المستشرق جوزيف شاخت، الأمر الذي أدى به إلى الابتعاد عن فهم الموضوع على حقيقته[٥]، والاعتماد على الآراء والنتائج التي توصل إليها من سبقه من المستشرقين في كثير من الأحيان. لكن الملاحظ أن نظرة التشكيك في الأحاديث عنده أخف مما هي عند أسلافه، لا سيما في مقالاته المتأخرة، حيث بدأ يميل إلى القول بصحة الصورة العامة التي نقلتها الأحاديث عن سيرة النبي ﷺ، وذلك نظرا للتأثير الكبير الذي تركه النبي ﷺ في أصحابه رضوان الله عليهم، مما جعلهم يعتنون بنقل تفاصيل سيرته عليه الصلاة والسلام[٦]. كما أنه ينتقد تعميم المستشرق شاخت في الحكم باختلاق جميع الأسانيد، ويميل إلى قبول الأسانيد التي ذكرها الإمام ابن إسحاق في سيرته على أنها أسانيد حقيقية وغير مختلقة[٧].

---

[١] سبقت ترجمته، وانظر ترجمة مفصلة له مع سرد لجميع مقالاته في علم الحديث في المبحث الخامس.

[2] James Robson, "Tradition, the second foundation of Islam", *The Muslim World*. Hartford. 41, 1951, pp. 22-33.

[3] James Robson, "Tradition: investigation and classification", *The Muslim World*. Hartford. 41, 1951, pp. 98-112.

[4] James Robson, "The Isnād in Muslim Tradition", *Transactions of the Glasgow University Oriental Society*. Glasgow, 15, 1953-54, pp.15-26.

[٥] انظر دراسات في الحديث النبوي، للدكتور الأعظمي، ١/ي-ك.

[6] Cf. James Robson, "The Isnād in Muslim Tradition", p. 20; *The Encyclopaedia of Islām*, new edition, 1960-., vol. 3, p. 27.

[7] Cf. James Robson, "The Form of Muslim Tradition", *TGOS*. 16, 1955/56, p. 39; James Robson, "The Isnād in Muslim Tradition", pp. 20, 21.

المجال الثالث: إعداد الفهارس العلمية:

امتازت مطبوعات المستشرقين عامة بالعناية بوضع الفهارس المرشدة للقارئ أتم عناية، وتفننوا في أنواعها، مرتبة على حروف المعجم، ومن ذلك: فهرس الأعلام، وفهرس الشعراء، وفهرس القبائل، وفهرس الأسانيد، وفهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث النبوية. وصنع الفهارس على هذا النحو ابتكار طريف، وعمل قيم جليل لا يدرك فائدته إلا من ابتلي بالعناء في البحث والمراجعة، وعجز أو وصل إلى ما يريد البحث عنه، فالفهارس مفاتيح الكتب، وللمستشرقين الفضل الأول في تطبيقها على المطبوعات العربية في العصر الحديث، وقد أعانهم على ذلك وجود المطابع وتوافر أدواتها[1].

وقد كان لكتب الحديث نصيب من هذا الجهد، حيث اعتنى المستشرقون بإعداد الفهارس العلمية، التي تيسر الرجوع إلى تلك الكتب، وتعين على الاستفادة منها، بل كانوا من أوائل من قام بذلك في هذا العصر، مقتبسين ذلك من عمل علماء المسلمين الذين سبقوهم في ابتكار هذا النوع التصنيف.

ومن أشهر أعمال المستشرقين في مجال إعداد الفهارس لكتب الحديث ما يأتي:

١- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الذي قام بوضعه المستشرق فنسنك[2] بالتعاون مع بعض المستشرقين الذين باشروا العمل في هذا المعجم سنة ١٩٢٣م، وصدرت منه أربعة مجلدات عام ١٩٣٦-١٩٥٥. وقد أشرف على الطبعة الجديدة المستشرق برنارد

[1] انظر الجامع الصحيح "سنن الترمذي"، مقدمة التحقيق للشيخ أحمد شاكر، ٤٣/١-٤٤؛ وتصحيح الكتب ووضع الفهارس المعجمة، للشيخ أحمد شاكر، ص٤١.

[2] فنسنك "A. J. Wensinck" (١٨٨٢-١٩٣٩م): مستشرق هولندي حصل على الدكتوراه برسالة عنوانها: "موقف الرسول من يهود المدينة". أتقن اللغات السامية، وخلف سنوك هرجرونيه في كرسي العربية حتى وفاته. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣١٩/٢-٣٢٠؛ والإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص١٤.

لويس[1]، وشارل بيلا[2]، وجوزيف شاخت[3]، عام ١٩٥٧. ثم أتبع المعجم بثلاثة تذييلات للأعلام والأماكن والاستشهادات القرآنية، فأوفى على سبعة مجلدات نشرت في ليدن، عام ١٩٣٦-١٩٦٩م.

٢- فهرس الموضوعات للحديث النبوي حسب حروف المعجم، والذي قام بإعداده المستشرق فنسنك، عام ١٩٢٧، ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي باسم "مفتاح كنوز السنة".

وقد لاحظ بعض الباحثين المعاصرين شيئا من القصور في بعض تلك الفهارس، ومن ذلك ما قام به الدكتور سعد المرصفي من دراسة ومراجعة للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث أوقَفَتْه على ٤٧٩ خطأ تتعلق بصحيح مسلم وحده، مع أنه لم يعمد إلى استقصاء جميع الأخطاء. وقد وزع تلك الأخطاء على سبع مجموعات، وهي: التحريف في العبارة، والخطأ في العزو، والخطأ في الإشارة إلى الكتب، والخطأ في الإشارة إلى أرقام الكتاب الواحد، ووضع اللفظ في غير مادته، والمخالفة في الترتيب والتداول، وعدم الاستيعاب[4]. وهذا يؤكد ضرورة مراجعة هذه الأعمال ونقدها، وعدم الاغترار بها أو اعتقاد الكمال لها.

---

[1] سبقت ترجمته.

[2] شارل بيلا "Charles Pellat" (١٩١٤-١٩٩٢م): مستشرق فرنسي ولد في الجزائر، وحصل على الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس. عين أستاذا في معهد مراكش عام ١٩٣٤-١٩٣٥م، وفي جامعة باريس "السوربون" عام ١٩٥٦م، ومديرا لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس عام ١٩٧٢م، ومديرا لدائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الفرنسية عام ١٩٥٦م. أربت آثاره على ١٣٨ عنوانا، وله مقالات كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية تتناول اللغة العربية والأدب العربي، والحضارة العربية، مع اهتمام خاص بالجاحظ وآثاره الأدبية. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣٥٣/١-٣٥٩؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص١١٧-١٢٠.

[3] سبقت ترجمته.

[4] انظر أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، د. سعد المرصفي، (دار القلم، الكويت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)؛ والاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور علي النملة، ص١٠٧-١٠٩.

وقد نبه الشيخ أحمد شاكر على اغترار الناس بصناعة المستشرقين للفهارس، وظنهم بأنه أمر لم يسبقوا إليه، ولم يعرفه علماء الإسلام والعربية، وأن ما عندنا تقليد لهم واقتباس منهم، كما بين سبق علماء المسلمين للمستشرقين في ابتكار الفهارس العلمية وترتيب الألفاظ والأعلام على حروف المعجم بأكثر من عشرة قرون، ومن ذلك ترتيب الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى (٢٥٦هـ/٨٧٠م) الأعلام على حروف المعجم، في الجامع الصحيح، حيث سرد أسماء من شارك في غزوة بدر، فبدأ بالرسول ﷺ، ثم ساق أسماء الصحابة على الحروف[1].

ومن ذلك أيضا الفهارس التي أعدها العلامة ابن الأثير (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) لكتابه جامع الأصول في أحاديث الرسول. فقد رتب المؤلف هذا الكتاب حسب الموضوعات، وقسمه إلى كتب وأبواب، ورتب أسماء الكتب على حروف المعجم، فبدأ بكتاب (الإيمان والإسلام)، وانتهى بكتاب (اليمين)، ورتب الأحاديث داخل كل باب على فصول. ثم صنع فهرسة للأحاديث التي ربما اشتبه موضعها على الطالب، فاستخرج منها الألفاظ المشهورة، ورتبها على حروف المعجم، بحيث يهتدي الطالب إلى الحديث بمعرفة اللفظ المشهور فيه، فيطلبه في حرفه ومادته، ليتم إرشاده إلى كتابه وبابه وفصله. وأتبع ذلك بفهرس للأعلام الذين ذكروا في الكتاب مع تراجمهم[2].

كما ألف علماء الحديث كتب التراجم مرتبة على حروف المعجم، ومن أقدمها كتاب الضعفاء الصغير للإمام البخاري. ومما ابتكره المحدثون في مجال الفهارس كتب الأطراف التي تجمع أحاديث أكثر من كتاب في كتاب واحد، ثم تفرد أحاديث كل صحابي على حدة،

[1] انظر الجامع الصحيح، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب المغازي، باب تسمية من سمي من أهل بدر، ١٤٧٦/٤.

[2] انظر كلمة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن الفهارس العامة، في تصحيح الكتب ووضع الفهارس المعجمة، للشيخ أحمد شاكر، ص٧٧-٨٣.

وترتب أسماء الصحابة على حروف المعجم. وهكذا اقتبس المستشرقون عمل علماء المسلمين في المخطوطات فقلدوه في المطبوعات، مع شيء من التحوير والتنظيم[١].

المحور الثالث: الترجمة:

كان للترجمة نصيب من جهود المحدثين في علم الحديث، فقد ترجموا بعض كتب الحديث الشريف، كما ترجموا عددا من الكتب المتعلقة بعلوم الحديث. ومن ذلك ما يأتي:

١- ترجمة المستشرق الفرنسي وليم مارسيه[٢] لجامع الأحاديث، للإمام البخاري إلى اللغة الفرنسية، عام ١٩٠٣-١٩١٤م[٣]، وذلك في أربعة أجزاء، وقد ساعده في ترجمة الجزأين الأولين المستشرق هوداس[٤]. ويبدو أن الكتاب قد جدد طبعه عام ٢٠٠٧م.

٢- ترجمة المستشرق جيمس روبسون للمدخل إلى علم الحديث، للإمام الحاكم، بعد تحقيقه، عام ١٩٥٣م[٥].

٣- ترجمة "مشكاة المصابيح"، للمستشرق جيمس روبسون في أربعة مجلدات[٦]. وقد نشرت هذه الترجمة عام ١٩٦٣-١٩٦٥م.

---

[١] انظر الجامع الصحيح "سنن الترمذي"، مقدمة التحقيق للشيخ أحمد شاكر، ١/٤٤-٦٠.

[٢] سبقت ترجمته.

[3]Al-Bukhari, *Le Sahih d'Al Bukhari arabe-français*, 4 tomes, Traduit par O. Houdas et W. Marçais, entièrement revu, corrigé et, 1903-14.

[٤] هوداس "O. Houdas" (١٨٤٠-١٩١٦م)، مستشرق فرنسي، كان أستاذا للعربية في الجزائر، ومفتشا عاما للتعليم فيها. صنف كتبا عديدة لتدريس العربية، واستدعي أستاذا للعامية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس. آثاره كثيرة ومتنوعة، فقد حقق وترجم بمعونة أستاذه أرجوزة تحفة الأحكام في نكث العقود والأحكام، لابن عاصم الأندلسي، وهي أرجوزة في فقه الإمام مالك تشتمل على ١٦٩٨ بيتا، وذلك عام ١٨٨٣-١٨٩٣م. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١/٢٠٠-٢٠٢.

[٥] سبقت الإشارة إليه في المحور الأول الخاص بالتحقيق.

[6] al-Khatīb al-Tibrīzī, *Mishkat al-masabih*, English translation with explanatory notes by James Robson, 4 vols, Lahore, 1963-65.

٤- ترجمة مقدمة شرح صحيح مسلم، للمستشرق غوتييه جوينبول[١]. وقد نشرت هذه الترجمة عام ١٩٨٤م.

٥- موسوعة الأحاديث النبوية "*Encyclopedia of the Canonical Hadith*"، للمستشرق غوتييه جوينبول. وهي عبارة عن ترجمة لأحاديث الكتب الستة مع أسانيدها، ومرتبة أبجديا حسب اسم الراوي. وقد تم نشر هذه الموسوعة عام ٢٠٠٧م، في أكثر من ٨٠٠ صفحة.

المطلب الثاني: الموقف من جهود المستشرقين:

تعددت مواقف الكتاب والباحثين من جهود المستشرقين، فقسمها بعضهم إلى موقفين رئيسين[٢]، وهما موقف المعجبين بجهود المستشرقين وإنجازاتهم، وموقف الرافضين المهاجمين لكل ما يمت إلى الاستشراق بصلة. وذهب غيرهم من الباحثين إلى تقسيم تلك المواقف إلى ثلاثة أقسام رئيسة، وهي: موقف القبول المطلق، وموقف الرفض المطلق، وموقف المواجهة الإيجابية، وذلك في محاولة لإبراز الموقف المعتدل من جهود المستشرقين ودراساتهم[٣].

وفيما يأتي عرض لمواقف الكتاب والباحثين من جهود المستشرقين بشيء من التفصيل، حسب التقسيم الآتي: موقف الإعجاب والقبول، وموقف الرفض والتشكيك، وموقف الاعتراف والإنصاف:

---

1 "*Muslim's introduction to his Ṣaḥīḥ*", translated and annotated with an excursus on the chronology of *fitna* and *bid'a*, by G. H. A. Juynboll, *Jerusalem studies in Arabic and Islam*, 5, 1984, pp. 263-311.

٢ انظر الاستشراق والمستشرقون، للدكتور السباعي، ص٩-١٧؛ والمستشرقون، نجيب العقيقي، ٣/٦٠٦-٦٢٣؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، ص٢٨٦ وما بعدها.

٣ انظر مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف، د. علي بن إبراهيم النملة، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص١٨-٣٤؛ والاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور علي النملة، ص٢٠٥-٢٣١.

الموقف الأول: موقف الإعجاب والقبول.

يمثل هذا الموقف الباحثون المعجبون بما بذله المستشرقون من جهود في دراسة لغات الشرق وأديانه وثقافاته، والمفرطون في الثقة في دراسات المستشرقين والاعتماد عليها. وقد بالغ أصحاب هذا الموقف في موقفهم الإيجابي من حركة الاستشراق، فكالوا المديح للمستشرقين في كل موقف وقفوا فيه، وعملوا على تبرئتهم من كثير من الأخطاء التي وقعوا فيها، والأهداف المشبوهة التي سعوا إليها، كما وقفوا في مواجهة كل من حاول انتقاد جهود المستشرقين ودراساتهم حول الإسلام والمسلمين.

ومن أشهر أصحاب هذا الموقف الأستاذ نجيب العقيقي، الذي ألف كتابا مستقلا يترجم فيه للمستشرقين، وفاء لبعض دَيْنهم علينا، فقد شُغلوا بنا عشرة قرون في جميع أصقاع الأرض وبسائر اللغات، وتناولوا جميع ما للشرق من دين وحضارة وثقافة بألوف المصنفات، "فلا أقل أن نشكر لهم فضلهم على العربية بالعربية، ونذيعه في كتاب وإن لم يكن في مثل دقة كتبهم وعمقها وشمولها وجدتها، هو: المستشرقون"[1].

ويؤكد أهمية دراسات المستشرقين وأثرها في نهضة الأمة بقوله: "كما وازنا بين عنايتهم بتراثنا واكتشافه وصونه وتحقيقه، وبين ما قمنا نحن في سبيله فرأيناها تكاد تكون متساوية. ووازنا كذلك بين ترجمة أحدهم وآثاره، وبين ترجمة أحد أعلامنا وآثاره، فوجدناه يضاهيه خلقا علميا وعدد كتب، وأن لا غنى لنا عن معظمها في علومنا وآدابنا وفنوننا، ولا سبيل إلى جحد فضلها في فتح عيون الشرقيين والغربيين على ما في تراثنا من ثراء، ثم على نهضتنا التي كانوا من دعائمها"[2].

كما يعترف بفضلهم على العرب والمسلمين، فيقول: "لقد كان للمستشرقين ولأساتذة الغرب الذين أخذنا عنهم المنهج العلمي الذي تميزت به ثقافة العصر أثر في أساليب تعليمنا، وتحقيق تراثنا وترجمته ودراسته والتصنيف فيه، وتقييمه بالنسبة إلى التراث العالمي، على

---

[1] المستشرقون، نجيب العقيقي، ٣/٦٠٥.

[2] المرجع السابق، ٣/٦٠٥.

جرأة في التفكير والتقدير والجهر بالحق أو ما يعتقد حقا"[1]. ويرى أن معظم المستشرقين كانوا منصفين للدين الإسلامي، فيقول بعد عرضه لأصناف المستشرقين العلمانيين: "وهكذا نرى أن الذين تعصَّبوا على الإسلام قلة لا تساوي الذين تعصَّبوا له على النصرانية، ولا تُذكر بالنسبة للذين أنصفوه، ولا تحتسب بين مئات المستشرقين الذين تبرَّأ معظمهم منها"[2].

الموقف الثاني: موقف الرفض والتشكيك.

ويمثل هذا الموقف عدد من الباحثين المهاجمين لكل ما يمت إلى المستشرقين بصلة، والمشككين في مصداقية كل ما كتبوه ونشروه من أبحاث ودراسات. ويرفض أصحاب هذا الموقف مناقشة المستشرقين أو الحوار معهم، ويوصون بالابتعاد عن دراسة أفكارهم. وقد بالغ أصحاب هذا الموقف في موقفهم السلبي تجاه حركة الاستشراق، وتجاهلوا عددا من جهودهم العلمية في دراسة العلوم الإسلامية، مبتعدين عما يقتضيه مبدأ الإنصاف الذي يأمرنا بالعدل مع الآخرين، والتمييز بين الجوانب التي أحسنوا فيها والجوانب التي أساؤوا فيها.

ومن أشهر أصحاب هذا الموقف الدكتور أحمد فارس الشدياق الذي يرى أن هؤلاء المستشرقين "لم يأخذوا العلم عن شيوخه... وإنما تطفلوا عليه تطفلا، وتوثبوا توثبا. ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسس... ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام، أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه، وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله"[3].

ويقول الأستاذ أنور الجندي، في معرض تقييمه لدراسات المستشرقين حول الإسلام والمسلمين: "فما زالت أهواؤهم تسيطر على عطائهم، فهم يقدمون السموم والأساطير والآراء الضالة، أو على الأقل يقدمون تجربة مجتمعاتهم الفاسدة، وليست لهم قدرة حقيقية على أن يستوعبوا أحوال مجتمعات المسلمين ليقدموا لها شيئا ينفع، كما أن عطاءهم قليل وغير مجد وغير إيجابي، ويمكن الاستغناء عنه"[4].

---

[1] المرجع السابق، ٣/٦٠٢.

[2] المرجع السابق، ٣/٦٢٢.

[3] انظر الاستشراق والمستشرقون، للسباعي، ص١٥؛ والمستشرقون، للعقيقي، ٣/٦٠٦.

[4] "هزيمة الاستشراق"، للأستاذ أنور الجندي، (ملتقى تونس، دار بوسلامة، ١٩٨٥م)، ص٧-٨. نقلا عن مقال "كنه الاستشراق"، للدكتور علي النملة، ص٦٠.

ويلخص الدكتور وزان كلامه عن نشأة الاستشراق بقوله: "فالاستشراق إنما هو وليد فكرة واحدة، فكرة الغزو الاستعماري والعقائدي الذي ينادي به المبشرون بقصد التمكين للحضارة الغربية المسيحية المادية من السيطرة على الحضارة الإسلامية وإلغاء دورها في الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية، وتشكيك المسلمين بدينهم، ومحاولة إبعادهم وغيرهم عنه"[1].

وممن يمثل هذا التوجه الدكتور عبد العظيم الديب حيث يرى أن عناية المستشرقين "بالتراث كانت وما زالت وستظل من باب "اعرف عدوك". فهذه الكتب التراثية هي الخرائط والصور لعقولنا وعواطفنا ومشاعرنا واتجاهاتنا واهتماماتنا، وحبنا وبغضنا ورضانا، فهي المفاتيح التي عرفوا بها كيف يخططون لتدميرنا ثقافيا واجتماعيا وفكريا وعلميا، بعدما حطمونا عسكريا وحربيا وسياسيا"[2]. ويشير في بحث آخر إلى جهودهم في تحقيق بعض الكتب ونشرها، وإنشاء الفهارس العلمية للأحاديث النبوية، واستفادة الباحثين منها، ثم يعلق قائلا: "ولعلي على حق حين أقول: ليس في ذلك فضل للمستشرقين أي فضل، فالأعمال بالنيات، ونحن في حياتنا اليومية نرفض كثيرا مما يقدم لنا لأننا نشك في نوايا من يقدمه... وإذا أردنا أن نشكر للمستشرقين هذه الجهود، فعلينا أن نشكر للمستعمرين إصلاحاتهم وأعمالهم التعميرية التي قاموا بها في البلاد التي استعمروها"[3].

كما يمكن تلمس هذا الموقف مما كتبه الدكتور عبد الرحمن حبنكة الميداني عن الاستشراق في كتابه "أجنحة المكر الثلاثة"، ومن ذلك قوله: "وفي أعقاب الحروب الصليبية وضعت الخطة لغزو المسلمين بوسائل أخرى غير وسيلة الحرب المسلحة، والأسلحة المادية،

---

[1] الاستشراق والمستشرقون، للدكتور وزان، ص١٩٧.

[2] المستشرقون والتراث، للدكتور عبد العظيم الديب، (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٤٣-٤٤.

[3] مقال "المستشرقون والتاريخ"، للدكتور عبد العظيم الديب، (البعث الإسلامي، ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م)، ص١٤٣-١٤٤.

واقتضت خطة الغزو الجديد التوسع في الدراسات الاستشراقية، لتكون تمهيدا لهذا الغزو"[1]. ويلخص أهداف الاستشراق في تشويه الإسلام، وتشويه التاريخ الإسلامي، ووضع الشبهات وتوجيه الانتقادات الملفقة إلى أحكام الإسلام وشرائعه[2].

ويبدو أن أصحاب هذا الموقف قد صدروا عن رد فعل على الموقف الأول الذي جنح إلى القبول المطلق لجهود المستشرقين، حيث أحسوا بالتهديد الثقافي الذي ينتج عن ذلك، إضافة إلى ما وقفوا عليه من غلبة الطابع السلبي على دوافع المستشرقين وكتاباتهم، الأمر الذي دعاهم إلى اتخاذ هذا الموقف الحاسم غيرة على دينهم وثقافتهم. ومما يؤخذ عليهم التعميم في أحكامهم على حركة الاستشراق، وعدم التفريق بين المنتسبين إليها من حيث دوافعهم ومستوى أخطائهم[3].

الموقف الثالث: موقف الاعتراف والإنصاف.

يتمثل هذا الموقف في الاعتراف بجهود المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، والدعوة إلى النظر في تلك الجهود، والعمل على بيان المجالات التي أحسنوا فيها، وكيفية الاستفادة منها، هذا بالإضافة إلى بيان المجالات التي أخطأ فيها المستشرقون أو أساؤوا، والعمل على مناقشتهم والرد عليهم والتحذير مما وقعوا فيه من أخطاء أو اعتمدوا عليه من مناهج ووسائل غير سليمة.

فلم يقبل أصحاب هذا الموقف كلا من القبول المطلق أو الرفض المطلق لأعمال المستشرقين، بل دعوا إلى إنصاف تلك الجهود، ووضعها في المكان اللائق بها. وقد نبه على ذلك الدكتور مصطفى السباعي بقوله: "في الحق أن كلا من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما تطرقوا إليه من أبحاث، ونحن قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم"[4].

[1] أجنحة المكر الثلاثة، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٨٣.

[2] المرجع السابق، ص٨٤-٨٥.

[3] انظر الاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور علي النملة، ص٢٣٣.

[4] الاستشراق والمستشرقون، للسباعي، ص١٣.

ولعل من الإنصاف أن يقال: إن الأعمال العلمية الاستشراقية قد اتخذت طابعين رئيسين[١]:

الأول: الطابع السلبي، وهو الغالب على تلك الدراسات، فقد تميزت حركة الاستشراق -في عمومها- بالعصبية وعدم الإنصاف إلى حد بعيد من جهة، وبالجهل وعدم الفهم أو التجاهل من جهة أخرى، وبخاصة في أوائل نشأتها إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي تقريبا، فجمهرة المستشرقين -باستثناء القلة القليلة- تقف من الإسلام عقيدة وحضارة موقف العدو المتربص الذي يبحث عن نقاط الضعف، ويتصيد مواطن الزلل، وإذا لم يجدها اختلقها[٢]. وقد كان أبناء هذه الحركة السبب الرئيس في انتشار الصورة المشوهة للإسلام والمسلمين عند الغرب.

الثاني الطابع الإيجابي، ويتمثل في جهود المستشرقين في إحياء التراث الإسلامي، وخدمة العلوم الإسلامية، في وقت غفل فيه المسلمون عن تراثهم، ونسوا واجبهم نحوه، مع ما قد يشوب هذه الجهود من دخن أو أهداف غير مشروعة أو جهل وعدم فهم أحيانا. كما يتمثل في طبقة من المستشرقين الذين بذلوا جهودا كبيرة في مجال الدراسات العربية والإسلامية، مع بعدهم عن تأثير العوامل الدينية والسياسية. وإلى هؤلاء يشير الشيخ أبو الحسن الندوي، حيث يقول: "أعترف بكل وضوح وصراحة أن عددا من المستشرقين كرّسوا حياتهم وطاقتهم على دراسة العلوم الإسلامية، وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل

[١] انظر السنة مع المستشرقين والمستغربين، د. تقي الدين الندوي، ص٦.

[٢] انظر "مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس"، للدكتور مصطفى الشكعة، (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، د.م.، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ٢/٢٧٨.

سياسية أو اقتصادية أو دينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم، وبذلوا فيه جهودا ضخمة. ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التي لم تر ضوء الشمس منذ قرون إلى النشر والإذاعة، وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين، وعاهة الأرضة. وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية لها مكانتها وقيمتها صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم، وقرت بها عيون العلماء في الشرق"[1]. لكن أصحاب هذا الصنف من الدراسات قليلون إذا ما قورنوا بأولئك الذين كان وراء اهتمامهم بالعلوم الإسلامية دوافع دينية وسياسة، فناصبوا الإسلام العداء وكرسوا جهودهم لتشويه صورته، وتزوير حقائقه، وإنكار فضائله، والتجني على رجاله[2]. وهم –كما يقول الدكتور السباعي– "لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة، ولا عامة الباحثين، ومن ثم فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين"[3].

ويقول الدكتور عماد الدين خليل في ختام مقال له حول السيرة النبوية والمستشرقين يبين فيه أخطاءهم المنهجية والموضوعية: "ولكن القوم –إذا توخينا الحكم الدقيق– ليسوا كلهم سواء، فقد شذ عنهم بعض المستشرقين، ولكل قاعدة شواذ. ورغم قلة هؤلاء بالنسبة للتيار الأوسع والأثقل، فإن صوتهم لم يضِع، وقد مارسوا كشفا نقديا طيبا للكثير من أعمال رفاقهم في البحث، وألقوا الضوء على الثغرات والمطبات التي وقعوا فيها، وقد عرضنا لبعض مواقف

[1] الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، للشيخ أبو الحسن الندوي، ص١٣.

[2] انظر "مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس"، للدكتور مصطفى الشكعة، ٢/٢٧٨.

[3] الاستشراق والمستشرقون، للدكتور السباعي، ص٢٥.

هؤلاء: دينيه[١]، واط[٢]، درمنجهم[٣]، أرنولد[٤]. ثم إن هؤلاء أنفسهم ما كانت رؤيتهم تصل أبدا درجة النقاء العلمي المطلوب، فهذا أمر يكاد يكون مستحيلا"[١].

---

[١] آتيين دينيه "Et. Dinet" (١٨٦١-١٩٢٩م) مستشرق فرنسي اعتنق الإسلام وتسمى بناصر الدين، من آثاره كتاب "محمد رسول الله"، ترجمه إلى العربية الأستاذ عبد الحليم محمود، ونشرته الشركة العربية في القاهرة، سنة ١٩٥٩م، وقد رد فيه على الاتهامات التي كالها المستشرق لامانس للنبي ﷺ. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢٢٨/١؛ ومقال "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، (البعث الإسلامي، ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢ﻫ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م)، ص٩٢؛ ومقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١٢٨، ١٤٠.

[٢] مونتجمري واط "Montgomery Watt" (١٩٠٩-٢٠٠٦م) مستشرق إنجليزي، ولد في إسكوتلانده، ودرس في جامعة إدنبره وأكسفورد، وعُين عميدا لقسم الدراسات العربية في جامعة إدنبره، ومن أشهر كتبه: محمد في مكة (١٩٣٥م)، ومحمد في المدينة (١٩٥٦م)، محمد نبي ورجل دولة (١٩٦١م)، العقائد الإسلامية (١٩٩٤م). انظر المستشرقون، للعقيقي، ١٣٢/٢؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥٣-٥٤؛ وموقع موسوعة ويكيبيديا على العنوان التالي:
(http://en.wikipedia.org/wiki/William_Montgomery_Watt), 18. 1. 2011.

[٣] إميل درمنجهم "Emile Dermenghem" مستشرق فرنسي معاصر، عُين مديرا لمكتبة الجزائر. ومن آثاره: حياة محمد، وهو من أفضل ما صنفه مستشرق عن النبي ﷺ. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣٤٨/١. انظر ترجمته في المبحث الخامس من هذا البحث.

[٤] توماس أرنولد "Thomas Arnold" (١٨٦٤-١٩٣٠م). مستشرق بريطاني، تعلم في كامبردج، وانتقل للعمل باحثاً في جامعة (عليكرة) في الهند، حيث أمضى هناك عشر سنوات ألف خلالها كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام)، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور. وفي عام ١٩٠٤م عاد إلى لندن ليصبح أميناً مساعداً لمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وعمل في الوقت نفسه أستاذاً غير متفرغ في جامعة لندن، وكان عضو هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا في طبعتها الأولى. وهو أول من شغل كرسي للدراسات العربية في معهد الدراسات الشرقية في لندن. ومن مؤلفاته: دعوة الإسلام، ١٨٩٨م، والخلافة، ١٩٢٤م. انظر تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية، برنارد لويس، ص٣٥؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٤١؛ والموسوعة الحرة "ويكيبيديا" (http://ar.wikipedia.org)، ٢٠١١/٢/١٠.

والإنصاف يقتضي أن يعطى كل ذي حق حقه، وأن لا تظلم حركة الاستشراق عموما بسبب غلبة الطابع السلبي عليها، وما ظهر فيها من أعمال ذات أهداف مشبوهة، فقد علّمنا القرآن الكريم الإنصاف في الحكم على الآخرين، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨]. ففي الآية دعوة إلى أن لا يكون بغض ما عليه القوم من انحراف عن دين الله، ومعاداة لهديه وشرعه، سببا في ترك العدل وإيثار العدوان على الحق[٢]. فظلم الظالم، واعتداء المعتدي، وكفر الكافر، ينبغي أن لا يكون مانعا من إنصافه والعدل معه، والحكم على النوايا ليس من اختصاص البشر، ما لم يُصرح بها صاحبها، أو تكون هناك قرينة قوية تدل عليها.

وقد أكد الشيخ أحمد شاكر على أهمية اعتماد مبدأ الإنصاف في تقويم جهود المستشرقين، حيث يقول: "معاذ الله أن أبخس أحدا حقه، أو أنكر ما للمستشرقين من جهد مشكور في إحياء آثارنا الخالدة، ونشر مفاخر أئمتنا العظماء، ولكني أريد أن أضع الأمور في مواضعها، وأن أقر الحق في نصابه، وأريد أن أعرف الفضل لصاحبه في حدود ما أسدى إلينا من فضل، ثم لا أجاوز به عن حده، ولا أعلو به عن مستواه"[٣]. كما حذر رحمه الله تعالى من اغترار بعض الباحثين بجهود المستشرقين، وغلوهم في تمجيدهم والإشادة بذكرهم، والاحتجاج

---

[١] مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١٣٣.

[٢] انظر الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني (دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ)، ٦/١٠٩. وتدبر قول الله تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ} المائدة:٢، التي تؤكد أهمية العدل في الإسلام، حتى مع الخصوم والمعتدين.

[٣] الجامع الصحيح "سنن الترمذي"، مقدمة التحقيق للشيخ أحمد شاكر، ١/٢٠.

بكل ما يصدر عنهم من رأي: خطأ أو صواب، والدفاع عنهم وجعل قولهم فوق كل قول، "إذ رأوهم أتقنوا صناعة من الصناعات: صناعة تصحيح الكتب، فظنوا أنهم بلغوا فيما اشتغلوا به من علوم الإسلام والعربية الغاية، وأنهم اهتدوا إلى ما لم يهتد إليه أحد من أساطين الإسلام وباحثيه، حتى في الدين: التفسير والحديث والفقه. وجهلوا أو نسوا، أو علموا وتناسوا أن المستشرقين طلائع المبشرين، وأن جل أبحاثهم في الإسلام وما إليه إنما تصدر عن هوى وقصد دفين، وأنهم كسابقيهم {يحرفون الكلم عن مواضعه}، وإنما يَفضلونهم بأنهم يحافظون على النصوص، ثم هم يحرفونها بالتأويل والاستنباط"[1].

وقد طبق الشيخ أحمد شاكر مبدأ الإنصاف في التعامل مع جهود المستشرقين عمليا، فإذا قرأت مقدمة مفتاح كنوز السنة وجدت إكبارا وثناء للعمل الذي قام به المستشرق فنسنك[2]، ولكن إذا قرأت موضوعا للمستشرق نفسه في "دائرة المعارف الإسلامية" وجدت الشيخ معلِّقا ومعقِّبا ومصحِّحا ومقوِّما، فهذا شيء وذلك شيء آخر[3].

ومما ينبغي التنبه له أن الاعتراف ببعض جهود المستشرقين القيمة والإنصاف في الحكم على أعمالهم لا يقتضي وصف من قام بتلك الأعمال بـ"الإنصاف"، لأن الإنصاف يعني إعطاء الشيء حقه كاملا غير منقوص، يقال: "أنصف فلانا من فلان: استوفى له حقه منه"[4]. والإسلام لا يمكن أن يُنصف ما لم تتم دراسته على أنه وحي من الله تعالى أرسل به

---

[1] المرجع السابق، ١/١٩.

[2] سبقت ترجمته.

[3] انظر السنة مع المستشرقين والمستغربين، د. الندوي، ص٦.

[4] المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، (دون مكان نشر، ودون تاريخ)، مادة نصف، ٢/٩٣٤.

رسوله المصطفى ﷺ لهداية العالم أجمع وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى، ولا يمكن أن ينطلق من ذلك إلا مسلم فهم حقيقة الإسلام وآمن به حق الإيمان. فبالرغم من "محاولات التجرد والموضوعية التي حاولها بعض المستشرقين، وبخاصة من المتأخرين، إلا أن طبيعة دراسة الإسلام والمسلمين –مهما كانت درجة التجرد والموضوعية فيها– تستلزم توافر الانتماء العقدي فيها، الذي يفرض جانبا كبيرا من التوثيق والتوثق من الأخبار والروايات، والتثبت من مصادر المعلومات"[١].

[١] الاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور علي النملة، ص٢٢.

المبحث الثالث

المرتكزات المنهجية الخاطئة لدراسات المستشرقين في علم الحديث

يتناول هذا المبحث الأخطاء المنهجية التي ارتكز عليها المستشرقون في دراسة علم الحديث، والتي يمكن الوقوف عليها من خلال تتبع دراساتهم وأبحاثهم حول هذا العلم، والاطلاع على بعض الدراسات النقدية لأعمالهم. وفيما يأتي عرض لتلك المرتكزات وبيان لآثارها ونتائجها، من خلال المطالب الآتية.

المطلب الأول: التعصب وعدم الموضوعية.

تحذر الدراسات المتخصصة في مناهج البحث العلمي الباحثين من الوقوع في التحيز أو التعصب لفكرة معينة أو ضدها، لأن ذلك يؤدي إلى انحراف البحث العلمي عن مساره الصحيح، ووصفه بالذاتية والتناقض، ويوصل إلى نتائج خاطئة في أكثر الأحيان. ويتجلى التعصب في اعتقاد المرء احتكار الحقيقة أو الفضيلة، وافتقار الآخرين إليها، ومن ثم فهم دائما مخطئون. فالباحث المتعصب لا يكتفي بالانطواء على ذاته ونسبة كل الفضائل إليها، بل يستبعد فضائل الآخرين وينكرها ويهاجمها[1]. والمرء عندما يكون تحت تأثير الهوى والتحيز يميل إلى تصديق ما يرغب في تصديقه، أو ما يرغب أن يكون صحيحا؛ كما يميل إلى إنكار ما يرغب في إنكاره، أو ما يرغب أن يكون غير صحيح[2].

ولتفادي هذه الآثار السلبية على البحث العلمي جاء التأكيد على أهمية الموضوعية في جميع مراحل البحث العلمي. ويقصد بالموضوعية: "الوقوف على الحقيقة، والتعامل معها على ما هي عليه، بعيدا عن الذاتية والمؤثرات الخارجية"[3]، وهي تعين على إدراك الأشياء على

---

[1] انظر التفكير العلمي، الدكتور فؤاد زكريا، (ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٠٨.

[2] انظر التفكير المستقيم والتفكير الأعوج، روبرت ثاولس، ترجمة حسن سعيد الكرمي، (سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص١٨٧.

[3] فصول في التفكير الموضوعي، الدكتور عبد الكريم بكار، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٤٥.

حقيقتها، دون أن يشوبها أهواء أو مصالح أو تحيزات، وتستند الأحكام فيها إلى النظر إلى الحقائق على أساس العقل، بعيدا عن العواطف والأهواء[١]. ولذلك كانت الموضوعية المتمثلة بالعدل والإنصاف من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الباحث حتى مع خصومه ومخالفيه[٢].

ومع اهتمام الباحثين الغربيين بالموضوعية في دراساتهم وأبحاثهم العلمية، إلا أنهم كثيرا ما يحيدون عنها عند دراستهم لعلم الحديث خاصة، ولغيره من العلوم الإسلامية عامة، حيث يعد التحامل على الإسلام والتعصب ضده رائدا لكثير من أبحاثهم ودراساتهم في هذا المجال. ففي الوقت الذي يتصف فيه الباحث الأوربي أثناء دراسته للأديان والحضارات الأخرى بالرصانة والاتزان، نراه يتنكر عند بحثه في الإسلام لهذا المنهج، فتعمل المحاباة العاطفية فعلها في هذه الرصانة الغربية، بصورة تكاد تكون دائمة ثابتة، فتضطرب وتختل[٣]. وقد نبه بعض المستشرقين إلى خطأ هذه المنهجية في دراسة السيرة النبوية، فقد نقل آتيين دينيه[٤] في كتابه "الشرق كما يراه الغرب" عن المستشرق سنوك هرجرونيه[٥] قوله: "إن سيرة محمد الحديثة تدل على أن البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم إذا سخِّرت لأي نظرية أو رأي سابق"[٦].

---

[١] انظر المعجم الفلسفي، الدكتور مصطفى حسيبه، (دار أسامة، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م)، ص٦١٣.

[٢] انظر العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة النبوية، د. خالد بن عبد الله الدريس، ص٩٤.

[٣] انظر الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ط٩، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص١٦-١٧؛ والإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة الدكتور عمر فروخ، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م)، ص٦٠-٦١.

[٤] سبقت ترجمته.

[٥] سنوك هرجرونيه "Snouck Hurgronje" (١٨٥٧-١٩٣٦م) مستشرق هولندي تظاهر بالإسلام، وتسمى بعبد الغفار، وأقام في مكة المكرمة. من أشهر المتخصصين في دراسة الفقه الإسلامي والأصول والحديث والتفسير في أوروبا، ويعد عميد العربية بعد جولدتسيهر، وله كتاب في الفقه الإسلامي. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٣١٥-٣١٦.

[٦] مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١٢١.

وواقع الدراسات الاستشراقية حول الإسلام عامة والحديث النبوي خاصة يظهر أن المستشرقين سايروا في كثير من الأحيان تقاليد معينة، وعملوا على تزويد الجمهور الغربي بما يتوقع منهم أن يمدوه به. كما أن كثيرا منهم بنى موقفه من الإسلام وعلومه على الموقف العام للاستشراق دون نقد أو تمحيص[1].

وهكذا نجد أنفسنا "أمام ظاهرة فكرية نحتاج في تفسيرها إلى تفهم الأسس النفسية لأقدم العلاقات الفكرية بين العالمين الإسلامي والغربي. ذلك لأن ما يفكر الغربيون فيه ويشعرون به نحو الإسلام اليوم متأصل في انفعالات وتأثيرات ترجع إلى خبرات سابقة عميقة الجذور في الفكر الأوروبي. فهي تعود إلى فترة الحروب الصليبية والقرن الذي سبقها مباشرة"[2].

ولعل الدافع إلى الوقوع في هذا الخطأ المنهجي يتمثل في أمرين:

١- الشعور بالخوف من انتشار الإسلام[3]، ونجد التعبير عن هذا الشعور في ثنايا كتابات بعض المستشرقين. ففي مجلة العالم الإسلامي يقول أحدهم: "إن شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسباب منها: أن الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عدديا، بل دائما في ازدياد واتساع، ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب، بل إن من أركانه الجهاد. ولم يتفق قط أن شعبا دخل في الإسلام ثم عاد"[4]. وقد أشار الدكتور زقزوق

---

[1] انظر "منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي"، لمحمد بن عبود، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ٣٦٤/١.

[2] المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م)، ص٤. وانظر الطريق إلى الإسلام، لمحمد أسد، ص١٧.

[3] لعل هذا من باب قول النبي ﷺ: (نصرت بالرعب مسيرة شهر...) والحديث أخرجه الإمام البخاري عن جابر ﷺ، في كتاب التيمم، باب قول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، حديث رقم: ٣٢٨، ١٢٨/١؛ والإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم: ٥٢٣، ٣٧٢/١.

[4] مجلة (*The Muslim World*)، عدد حزيران، ١٩٣٠، نقلا عن مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، د. عماد الدين خليل، ص١١٥.

إلى هذا الشعور بقوله: "ولعل تفسير ذلك يعود إلى أن الإسلام كان يمثل بالنسبة لأوروبا صدمة مستمرة، فقد كان الخوف من الإسلام هو القاعدة. وحتى نهاية القرن السابع عشر كان "الخطر العثماني" رابضا عند حدود أوروبا، ويمثل –في اعتقادهم– تهديدا مستمرا بالنسبة للمدنية النصرانية كلها"[١].

٢– اتخاذ موقف عدائي ضد الإسلام، حيث نجد في كلام بعض المستشرقين وصف الإسلام بالعدو، ووصف العلاقة بين الإسلام والنصرانية بأنها علاقة عدائية. يقول المستشرق المونسيور كولي، في كتابه البحث عن الدين الحق: "برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب. لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق..."[٢]. ويصرح المستشرق الألماني بيكر[٣] بهذا الموقف العدائي قائلا: "إن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدا منيعا في وجه انتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها"[٤].

وينبه محمد أسد إلى أن موقف الأوربيين من الإسلام موقفُ كرهٍ عميق الجذور، يقوم في الأكثر على تعصب شديد؛ كما أنه ليس كرها عقليا فحسب، بل يصطبغ "بصبغة عاطفية قوية. قد لا تقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعلق

[١] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، ص٢٠.

[٢] مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، د. عماد الدين خليل، ص١١٢.

[٣] كارل هينريش بيكر "Carl Heinrich. Becker" (١٨٦٧–١٩٣٣م) مستشرق ألماني، درس اللغات الشرقية جامعات هايدلبرغ وبرلين، وعين أستاذاً لها في جامعة برلين، عام ١٩١٣م. تولى رئاسة مجلة دير إسلام، عام ١٩١٠م، وله عناية خاصة بالتاريخ الإسلامي. حرر عددا من المواد في الطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية، ومن آثاره: نشر مناقب عمر بن عد العزيز ١٨٩٩م؛ الإسلام والنصرانية، ١٩٠٧م. انظر موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:
(http://en.wikipedia.org/wiki/Carl_Heinrich_Becker), 12/4/2011.

[٤] مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، د. عماد الدين خليل، ص١١٦.

بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن، ومبني على التفكير، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب، حتى أن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام. ويظهر في جميع بحوثهم كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته"[1]. ويؤكد المستشرق برنارد لويس[2] وجود هذه الظاهرة في كتابات المستشرقين، فيقول: "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية"[3].

وقد أدى هذا التحامل على الإسلام والبعد عن الموضوعية في دراسات المستشرقين إلى الخروج بنتائج وأحكامٍ مجانبةٍ للحق والصواب، ومن ذلك ما يلي:

١ -الافتراءات والاتهامات التي حاول المستشرقون من خلالها تشويه صورة الإسلام ورسوله وكتابه ومعتنقيه، فكالوا لهم سيلا من التهم والافتراءات[4]. وكلما رجع المرء إلى كتابات المتقدمين من المستشرقين رأى الصورة المشوهة عن الإسلام تزداد حدة ووضوحا، حتى أن جيلبرت دي نوجنت[5] عترف بعدم وجود مصادر مكتوبة لديه، وأن كتاباته عن الإسلام

---

[1] الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ص٥٢-٥٣.

[2] سبقت ترجمته.

[3] العرب في التاريخ، برنارد لويس، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤م)، ص٦٣؛ وانظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٤-٥. وهذا لا يعني أن هذا المستشرق قد تمكن من التخلي عن تلك العصبية، بل لعل دراساته تمثل دليلا على ذلك.

[4] انظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٦-١٧؛ ومقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، د. عماد الدين خليل، ص١١٢-١١٤.

[5] جيلبرت دي نوجنت "Guilbert de Nogent" (١٠٥٥-١١٢٤م) مؤرخ لاهوتي فرنسي، تم اختياره رئيسا لدير صغير في مدينته، عام ١١٠٤م، عاصر الحروب الصليبية، وكتب عن استقبال الحملات الصليبية في فرنسا، كما قدم معلومات مهمة من خلال سيرته الذاتية المفصلة عن الحياة اليومية في القلاع والأديرة، كما قدم تعريفا دقيقا ببعض الشخصيات التي عاصرها، وقد صبغت كتاباته بعواطفه وأحكامه المسبقة. انظر موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:
(http://en.wikipedia.org/wiki/Guibert_of_Nogent), 2/4/2011.

والمسلمين كانت تعتمد على آراء العامة، مع عدم وجود أية وسيلة يميز بها بين الخطأ والصواب، ويبرر ذلك بقوله: "لا جناح على الإنسان إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرأ"[١]. وهكذا تكونت للإسلام ورسوله في أوروبا صورة ذات ملامح بشعة ومشوهة، فاتهم المسلمون بعبادة الأوثان، وأن محمدا [ﷺ] صنمهم الرئيس، أو كبير آلهة السراسنة، وكانت تماثيله تصنع من مواد ثمينة وذات أحجام هائلة[٢]، إلى غير ذلك من الأوصاف التي أملاها الحقد والتعصب الديني، ولا تمت إلى الواقع بأية صلة. فقد كان الهدف من تلك الكتابات الدفاع عن النصرانية، ومقاومة ما يمكن أن يكون للإسلام من تأثير، وإقناع طبقة الكهنوت المسيحية وعامة الشعب بمقاومته، وقد حال كل ذلك دون بذل الجهد الفكري اللازم لفهم الإسلام ورسوله[٣].

ويشير الدكتور عماد الدين خليل إلى هذه الظاهرة في كتابات الغربيين بقوله: "بدأ موقف الغربي من رسول الإسلام يتشكل في إطار ديني مترع بالتعصب والتشنج والانفعال، مليء بالحقد والغضب والكراهية، تحيطه جهالة عمياء متعمدة حينا وغير متعمدة أحيانا، جعلت بين القوم وبين شخصية رسولنا عليه الصلاة والسلام سدا يصعب اختراقه... والنتيجة هو ذلك السيل المنهمر من الشتائم والسباب مارسها رجال دين من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافة، ومارسها رجال علمانيون لا علاقة لهم بالكنيسة من قريب أو بعيد"[٤]. ويؤكد الدكتور عرفان عبد الحميد عدم موضوعية كتابات المستشرقين في القرنين التاسع عشر والعشرين المتعلقة بتاريخ الإسلام وحضارته وعقائده، وإن ادعى أصحابها الموضوعية أو الالتزام

---

[1] R. W. Southern, *Western view of Islam in the middle ages*, (Harvard University Press, 1962), pp. 28f.

نقلا عن مقال "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية"، لمكسيم رودنسون، ٣٤/١.

[٢] انظر مقال "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية"، لمكسيم رودنسون، ٣٥/١.

[٣] انظر المرجع السابق، ٣٠/١.

[٤] مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، د. عماد الدين خليل، ص١١٢.

بروح البحث العلمي البعيد عن الهوى والعصبية، "فالصورة المشوهة القاتمة للإسلام لا زالت قائمة في كلياتها، وإن طرأ تغير جزئي على بعض تفاصيلها، والدراسة التي تتنكب الموضوعية والنزاهة لا زالت هي السائدة الغالبة على هذا الحقل"[١].

٢- التعاطف -في دراستهم للسيرة النبوية- مع العناصر المضادة للإسلام، وبخاصة اليهود، فقد شكك بعض المستشرقين في عدد من الروايات التي تتحدث عن غدر اليهود وخياناتهم، كما هاجموا موقفه ﷺ حيث أجلى اليهود من المدينة المنورة، وخيبر[٢]. ومن ذلك قول المستشرق يوليوس ولهاوزن[٣]: لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر، بل شرع في الأخذ بسياسة

---

[١] المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص١٧.

[٢] انظر تفصيلا حول هذه القضية في "المستشرقون والسيرة النبوية"، د. عماد الدين خليل، ص١٢٢-١٢٥.

[٣] يوليوس ولهاوزن "Julius Wellhausen" (١٨٤٤-١٩١٨م) مستشرق ألماني نصراني وباحث توراتي ناقد للكتاب المقدس ، ولد في هاملين بنواحي هانوفر، وهو ابن قس بروتستانتي. درس اللاهوت في جامعة جوتنجن، وعين أستاذا للدراسات اللاهوتية في جامعة جرايفسفلد، عام ١٨٧٢م، إلى أن استقال منها عام ١٨٨٢م، بسبب ما أثارته كتاباته في نقد الكتاب المقدس من مجادلات. كما عين أستاذا للغات الشرقية في كلية فقه اللغة في جامعة هال، وتم نقله إلى جامعة غوتنغن في ١٨٩٢م، حيث بقي يعمل فيها إلى أن تقاعد عام ١٩١٣م. اشتهر بمساهمته في الكشف عن أصول التوراة (الكتب الخمسة الأولى من الكتاب المقدس)، وله عناية خاصة بالتاريخ الإسلامي، وكان أول المستشرقين استفادة من تاريخ الطبري، ومن آثاره في هذا المجال كتابه الشهير الدولة العربية وسقوطها، الذي نشر عام ١٩٠٢م، وقد ترجم إلى اللغة العربية مرتين، الأولى عن اللغة الإنجليزية، قام بها الدكتور يوسف العش، والثانية عن الألمانية والإنجليزية، قام بها الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة. وكذلك كتاب أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، الذي نشر في برلين عام ١٩٠٣م، وترجمه إلى اللغة العربية الدكتور عبد الرحمن بدوي، ونشرت الترجمة في القاهرة عام ١٩٥٨م. انظر موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٤٠٨-٤١٠؛ وموسوعة ويكيبيديا على الإنترنت: (http://en.wikipedia.org/wiki/Julius_Wellhausen)، ٢٠١١/٣/٩م.

الإرهاب في داخل المدينة... فقد حاول أن يظهر اليهود بمظهر المعتدين الناكثين للعهد، وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية، أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة، حيث كانوا جماعات متماسكة كالقبائل العربية، وقد التمس لذلك أسبابا واهية[1]. أما المستشرق مرجليوث[2] فيظهر عطفه على اليهود، ويرى أن اقتحام خيبر محض ظلم نزل باليهود لا مبرر له على الإطلاق، فلم يرتكب أهلها في حقه ولا في حق أتباعه خطأ يعتبر تعديا منهم جميعا، وأن قتل أحدهم رسول محمد [ﷺ] لا يصح أن يكون ذريعة للانتقام. ثم يشير إلى الغارات التي شنها النبي ﷺ على أعدائه من المشركين واليهود، ويشبهها بما فعله الإسكندر المقدوني في القديم، ونابليون بونابرت في العصر الحديث، ويقول: إن استيلاء محمد [ﷺ] على خيبر يبين مدى خطورة الإسلام على العالم آنذاك[3].

---

[1] انظر الدولة العربية وسقوطها، يوليوس ولهاوزن، ترجمة الدكتور يوسف العش، (مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، ص٢٠-٢١؛ وانظر المرجع السابق، ص١٢٣-١٢٤.

[2] ديفيد صامويل مرجليوث "David Samuel Margoliouth" (١٨٥٨-١٩٤٠م) مستشرق إنجليزي يهودي، ولد في لندن، وتخرج في قسم اللغة الشرقية بجامعة أكسفورد، وأتقن اللغة العربية. عمل أستاذًا بجامعة أكسفورد، عام ١٨٨٩م إلى أن تقاعد عام ١٩٣٧م، وانتخب عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع اللغوي البريطاني والجمعية الشرقية الألمانية وغيرها. نشر مجموعة من الكتب والأبحاث والدراسات عن الإسلام والآداب الشرقية، ومن أشهر مؤلفاته: محمد ونشأة الإسلام، عام ١٩٠٥م؛ والتطورات المبكرة في الإسلام، ١٩١٤م؛ والعلاقة بين العرب واليهود قبل ظهور الإسلام، عام ١٩٢٤م. نشر كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، في ستة مجلدات، عام ١٩٠٧-١٩٢٧م؛ ورسائل أبي العلاء المعري، عام ١٨٩٨م، وقد اتسمت كتاباته بالتعصب وعدم الموضوعية، مما أثار السخط عليه من قبل المسلمين وبعض المستشرقين. انظر موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٥٤٦؛ وموسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:
(http://en.wikipedia.org/wiki/David_Samuel_Margoliouth), 5/3/2011.

[3] انظر أضواء على التاريخ الإسلامي، الأستاذ فتحي عثمان، (د.م. ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) ص١٦٩-١٧٠؛ وانظر "المستشرقون والسيرة النبوية"، د. عماد الدين خليل، ص١٢٤-١٢٥.

المطلب الثاني: المنهج المادي التاريخي.

لعل أبرز خطأ منهجي انحرف بدراسات المستشرقين في علم الحديث عن جادة الصواب هو اعتماد المنهج المادي التاريخي، الذي أرسى دعائمه الفيلسوف الألماني كارل ماركس[1]، وهو "نوع من فلسفة التاريخ يحاول توضيح العادات التي تطورت فيها الجماعات من الماضي البدائي إلى الوقت الحاضر، مع التنبؤ بما سيحدث في وقتنا الحاضر، وكذلك بما سيقع في المستقبل"[2]. ولا يؤمن أصحاب هذا المنهج إلا بما تدركه الحواس، وبما يمكن تحقيقه من خلال المنظور البشري البحت، وبناء على ذلك، يفسرون التاريخ البشري بالاستناد إلى معطيات أرضية وحاجات مادية، متجاهلين العوامل الغيبية والروحية، فأساس التطور الإنساني -في زعمهم – يتلخص في إنتاج الحاجات المادية للشعوب، وعلاقات الإنتاج السائدة هي التي تشكل البناء الاقتصادي والاجتماعي لها.

وقد أدى تبني الغرب لهذه المنهجية إلى اعتماد النظرة المادية التاريخية في دراسة الديانتين اليهودية والنصرانية، وجعلهما خاضعتين لتأثير العوامل التاريخية، وقد نتج عن ذلك تطور نقد هاتين الديانتين، والخروج عن كثير من تعاليمهما، والاندماج في الدوائر العلمانية والإلحادية في الغرب[3].

ومع أن معظم المستشرقين ينتسب إلى الدين اليهودي أو النصراني، فقد عملوا على تطبيق المنهج المادي التاريخي في دراسة ديانات الشرق عامة، والدين الإسلامي خاصة، فنظروا

---

[1] كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م). فيلسوف وسياسي ومنظّر اجتماعي ألماني. ولد بمدينة (ترير) في ولاية (رينانيا) الألمانية، والتحق بجامعة بون عام ١٨٣٣م، حيث درس فيها القانون. قدم رسالة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٨٤٠م، وقام بتأليف العديد من المؤلفات، وقد أكسبته نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال شهرة عالمية. يعد مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي. انظر موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:

(http://en.wikipedia.org/wiki/Karl_Marx), 15/4/2011.

[2] انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، محمد البهي، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص٢٨٢.

[3] انظر أزمة الاستشراق، للدكتور محمد خليفة حسن، ص٦٠.

إليها على أنها ديانات وضعية وأخضعوها للنقد العقلي المادي. وبناء على ذلك رفضوا أي ربط بين السنة النبوية والوحي الإلهي، فالحديث الشريف من وجهة نظرهم جهد بشري محض، وهو في أحسن أحواله صادر عن مصلح اجتماعي أو عبقري فذ، حرر قومه من الظلم الاجتماعي والفقر. أما الوحي فهو مجرد تصور ووهم وظن وخيال.

ولهذ ادعى بعض المستشرقين أن النبي ﷺ مصلح وداعية إلى الحرية والعدل الاجتماعي، وغير ذلك مما يوصف به الزعماء والمصلحون، كما ادعى بعضهم أنه ناثر مبدع ابتكر النثر الفني الأدبي. ويعد الكاتب الإنجليزي توماس كارليل النبي ﷺ واحدا من أبطال التاريخ جاء إلى قوم من العرب يضربون في الصحراء فجعلهم قبلة العالم في العلوم والمعارف، "وكثروا بعد قلة، وعزوا بعد ذلة، ولم يمض قرن من الزمان حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم"[١]. أما مايكل هارت فقد اختار النبي ﷺ ليكون على رأس قائمة الشخصيات المائة الأكثر تأثيرا في التاريخ، ويبرر ذلك بأنه عليه الصلاة والسلام كان "الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح على المستويين الديني والدنيوي. فمع نشأته المتواضعة، أسس واحدا من أعظم أديان العالم، وأصبح قائدا سياسيا فعالا، وما زال أثره قويا وعاما إلى اليوم، حيث مضى ثلاثة عشر قرنا على وفاته"[٢].

وفي مقابل ذلك فقد بالغ بعض المتقدمين من المستشرقين في تشويه صورة النبي ﷺ وتحريفها، ومن أشهرهم المستشرق لامانس[٣] الذي تصدى له آتين دينيه[٤] ورد على كثير من مفترياته، وقال: "لقد اخترت "لامانس" لأن شهرته العلمية خدعت الكثيرين فأحسنوا الثقة به، مع

---

[١] ذكر ذلك في كتابه: "الأبطال وعبادة البطولة" الذي ترجمه الأستاذ محمد السباعي. انظر السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، لعبد المتعال الجبري، ص٩٦-٩٧.

[2] Michael H. Hart, *The 100 A Ranking Of The Most Influential Persons In History*, Coral Publishing Group INC, USA, 1993, p.3.

[٣] هنري لامانس "Henri Lammens" (١٨٦٢-١٩٣٧م) مستشرق بلجيكي الأصل فرنسي الجنسية، له مصنفات وافرة. اتسمت مصنفاته بالتحيز وعدم الإنصاف. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢٩٣/٣-٢٩٦.

[٤] سبقت ترجمته.

أن ما ساقه من أدلة وبراهين في كتبه أغلبها من قبيل التمويه على القارئ والكذب على الحق والتاريخ"[1].

ويقوم هذا التصور للنبي ﷺ عند المستشرقين على عجز عن فهم الوحي ورسالة السماء أو إنكار لهما[2]، ولذلك حرص المستشرقون على نزع وصف النبوة عنه ﷺ أو التشكيك في رسالته. فالمستشرق فوستر يدعي "أن قوم محمد كذبوه لأنهم لم يجدوا فيه صفات النبوة"[3]. ويقول المستشرق سفاري[4]: "أراد محمد أن يظهر أمام أمته وبيده كتاب إلهي، فعكف على نظم القرآن. ونظرا لعلمه بملكة العرب البيانية، فقد حرص على أن يستميلهم بجمال الأسلوب، ويدهشهم بروعة الصور، بدلا من أن يقنعهم بالحجة والبرهان"[5]. أما المستشرق جولدتسيهر فيشكك في ظاهرة الوحي للنبي ﷺ ويفسرها بقوله: "فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية

[1] مقال "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، ص٩١. وانظر مناقشة لآراء هذا المستشرق في السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، لعبد المتعال الجبري، ص١٠٧-١٢٣.

[2] انظر المرجع السابق، ص٩٩. وانظر السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، لعبد المتعال الجبري، ص٨٤.

[3] "فرانك فوستر" مستشرق أمريكي ألف كتاب "تاريخ حياة محمد"، انظر "السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، لعبد المتعال الجبري، ص١٥٠-١٥٢.

[4] المستشرق سفاري (كلود إتْين) "Savary (Claude Etienne)" (١٧٥٠-١٧٨٨م) رحالة فرنسي، زار مصر واليونان، واعتمد على مذكراته في كتابة رسائل عن مصر، ونشرت له ترجمة باللغة الفرنسية للقرآن الكريم، عام ١٧٨٣م، وله كتاب عن قواعد اللغة العربية العامية والفصحى. انظر السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة محمد عبد العظيم علي، نقد وتحقيق وتصويب الدكتور عبد المتعال محمد الجبري، (دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص٧. وفي الكتاب ترجمة لمختصر حياة محمد [ﷺ] الذي أعده المستشرق سفاري في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم، عام ١٧٨٢م.

[5] السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة محمد عبد العظيم علي، نقد وتحقيق وتصويب الدكتور عبد المتعال محمد الجبري، ص٤٣. وقد عمل الدكتور عبد المتعال الجبري في هذا الكتاب على رد شبهات هذا المستشرق وغيره حول النبي ﷺ ورسالته.

والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا... لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرا وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قَوَّته التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا إلهيا، فأصبح –بإخلاص– على يقين بأنه أداة لهذا الوحي"[١].

واعتماد المنهج المادي التاريخي في دراسة السنة النبوية منزلق خطير ينبغي التنبه له والتحذير منه، فهو يشكل مفترق طرق في دراسة الحديث النبوي، فثمة نظرتان متناقضتان، وما يمكن أن يقال بناء على الأولى لا يمكن أن يقبل في الثانية. فالمستشرقون يفصلون بين الحديث والوحي، وينظرون إلى الحديث نظرة مادية بحتة، وقد أدى بهم ذلك إلى نتائج لا يمكن التسليم بها في المنظور الإسلامي، ولعل من أبرز تلك النتائج ما يأتي:

١ – تجاهل المستشرقين لطبيعة الحديث الشريف وكونه وحيا من عند الله عز وجل، الأمر الذي يطبعه بطابع العصمة، والنظر إليه على أنه نتاج بشري محض، فأطلقوا العنان لعقولهم في دراسة الحديث ونقده، دون اعتبار لهذه العصمة، فنسبوا كثيرا من الأحاديث النبوية إلى نصوص التوراة والإنجيل، كما حكموا بوضع كثير من الأحاديث لمجرد كون العقل لا يقبل نسبتها إلى البشر. ومن الأمثلة على ذلك رد المستشرق جيمس روبسون لحديث: (الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِك)[٢]، وزعمه بأن هذا الحديث قد تم وضعه لتأييد وجهة نظر معينة[٣].

٢ – رد المستشرقين للأحاديث التي تتعلق بالنبوءات والإخبار عما سيحدث في المستقبل من حوادث وفتن، لكون مثل هذه الأمور لا يمكن أن تصدر عن البشر. فهم يرون أن هذه

[١] العقيدة والشريعة في الإسلام، إجناس جولدتسيهر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، (دار الكاتب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م)، ص٥-٦. وانظر قول "بروكلمان" وهو يتحدث عن النبي محمد ﷺ وعلاقته بالوحي: "أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من الله"، في المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص١٨.

[٢] أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبوب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، ٥٠٣/٤، وقال: "هذا حديث حسن".

[3] Cf. James Robson, “The Material of Tradition II”, (*The Muslim World*, Hartford, 41, 1951, pp. 257-70), p. 267.

الأحاديث من وضع الأجيال اللاحقة[1]. يقول المستشرق ثيودر جوينبول: "وجملة القول إنهم جعلوه يتنبأ على نحو تمتزج فيه الرؤية بالنبوة بما جرى بعد ذلك من حوادث سياسية وحركات دينية، بل بالظواهر الاجتماعية الجديدة، التي إنما نشأت من الفتوح العظيمة، كازدياد الترف، وكان غرضهم من ذلك تبرير كل أولئك في نظر الجماعة الإسلامية الجديدة. وهناك قسم خاص من هذه الأحاديث التنبئية وضعت في صورة أقوال نسبت إلى محمد [ﷺ] تتعلق بفضل أماكن متعددة ونواح في بلاد لم يفتحها المسلمون إلا في عصر متأخر"[2]. ويضرب المستشرق جولدتسيهر عدة أمثلة لهذا النوع من الأحاديث، ومن ذلك حديث: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ[3])[4].

٣ -رد المستشرقين للأحاديث التي تتحدث عن المعجزات، لأن ما تتحدث عنه يحتاج إلى قدرات خارقة لا يمتلكها البشر. والعقل الغربي –على حد تعبيرهم- يصعب عليه الاعتقاد بأصالة هذا النوع من الأحاديث وأنها قد صدرت عن النبي حقا[5].

ويرى كل من جولدتسيهر وجليوم وروبسون أن هذا النوع من الأحاديث إنما هو اختراع من المسلمين رغبة منهم في أن ينسبوا إلى رسولهم مثل ما ينسب إلى سيدنا عيسى عليه

---

[1] Cf. James Robson, “Hadith”, *The Encyclopaedia of Islam*, (Leiden, new edition, 1960-), vol. 3, p. 26. For more examples see James Robson, “Muslim Tradition: the question of authenticity, (*Memoirs and proceedings of the Manchester Literary & Philosophical Society*, (*Manchester Memoirs*), 93, 1951/52, pp. 84-102), pp. 93, 97.

[2] مقال "حديث"، للمستشرق ثيودر جوينبول، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، (دار الشعب، القاهرة، ١٩٣٣م)، ٣٩١/١٣. وانظر:

Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, vol. 2, p. 121-124; James Robson, “Hadith”, *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 3, P. 26.

[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٥١، ٣/٥؛ والإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم ٢٥٣٣، ١٩٦٣/٤.

[4] Cf. Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, vol. 2, p. 121.

[5] Cf. James Robson, “Hadith”, *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 3, P. 26.

السلام أو غيره من الرسل من خوارق العادات، "فلقد ساد توجه عام عند المسلمين يدعوهم إلى رسم صورة لمحمد لا تقل شأنا عن الصورة النصرانية لعيسى"[1].

٤ -زعم المستشرقين أن الأحاديث التي تتعلق باليوم الآخر والجنة والنار، والمواعظ، إنما هي أحاديث تم اقتباسها مما جاء في الكتب السماوية السابقة. يتحدث المستشرق جولدتسيهر عن هذا النوع من الأحاديث، فيقول: "ما كان يبشر به -خاصا بالدار الأخرى- ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج يقينا، وأقام عليها هذا التبشير. لقد أفاد من تاريخ العهد القديم -وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء- ليُذكِّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سَخِروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم، ووقفوا في طريقهم"[2].

٥ -رد المستشرقين لبعض الأصول والتشريعات الإسلامية إلى أصول يهودية، ومسيحية، ووثنية، وغنوصية شرقية، وفارسية زرادشتية[3]، وذلك اعتمادا على منهج ظاهري أساسه التماس الأشباه والنظائر بين الإسلام وبين الأديان والمذاهب الأخرى، فإذا وجدوا فيما جاء به الإسلام شبها ولو بعيدا بما جاء في تلك الأديان والمذاهب، بادروا إلى القول بأنها هي الأصل الذي اقتبس منه الإسلام هذه الفكرة أو تلك. فالمستشرق جولدتسيهر يرى أن الإسلام عبارة عن مجموعة أفكار تم صهرها في بوتقة واحدة، ويؤكد ذلك بقوله: "إن نمو الإسلام مصطبغ نوعا بالأفكار والآراء الهلينستية، ونظامه الفقهي الدقيق يشعر بأثر القانون الروماني، ونظامه السياسي كما تكوّن في عصر الخلفاء العباسيين يدل على عمل

[1] Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), vol. 2, p. 346. Cf. Alfred Guillaume, *The Tradition of Islam, An Introduction to Study of Hadith Literature*, (Khayat Book & Publishing Company, Beirut, 1966), pp. 135f; James Robson, "The material of Tradition I", (*The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 166-80), p. 174.

[2] العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدتسيهر، ص٩.

[3] انظر المرجع السابق، ص ٥-٦، ١٨-١٩.

الأفكار والنظريات الفارسية، وتصوفه ليس إلا تمثيلا لتيارات الآراء الهندية والأفلاطونية الجديدة الفلسفية"[1].

٦ -تفسير المستشرقين لأحداث السيرة تفسيرا ماديا. فالمستشرق جولدتسيهر يتحدث عن الغزوات، وما كان يحصل عليه المسلمون من الغنائم، ويزعم أن الحاجات المادية كانت الدافع الغالب لتلك الغزوات، مع إشارته إلى وجود من يقاتل بهدف الحصول على ثواب الآخرة، فيقول: "وكانت البواعث الغالبة التي دفعت بالعرب إلى القيام بالفتوحات هي الحاجة المادية والطمع، كما فصل ذلك في دقة عظيمة "ليوني كايتاني" في عدة فقرات من كتابه عن الإسلام، وهو ما يَسْهل تعليله بالنسبة للمركز الاقتصادي لبلاد العرب... وقد هش العرب للدين الجديد ورحبوا به، على اعتبار أنه ذريعة لحركة الفتح هذه، التي كانت تدعو إليها الضرورات الاقتصادية"[2].

وهكذا أدى اعتماد المنهج المادي في دراسة ما جاء به النبي ﷺ من عقائد وتشريعات، إلى اجتهاد المستشرقين في رد تلك العقائد والتشريعات إلى ما حوته النحل والفلسفات القديمة من معتقدات وأفكار، عن طريق تلمس أي شبه بينها.

يتضح مما سبق أن أمام الباحث في الحديث الشريف وعلومه أحد طريقين، لا ثالث لهما:

الطريق الأول: اعتماد المنهج الإسلامي القائم على الإيمان برسالة سيدنا محمد ﷺ، وأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وذلك يقتضي الإيمان بما أخبر به ﷺ من أمور الغيب واليوم الآخر، متى صحت نسبة الخبر إليه عليه الصلاة والسلام.

والطريق الثاني: اعتماد المنهج الغربي القائم على عدم الإيمان بنبوته ﷺ، الأمر الذي يقتضي إنكار الوحي الذي جاء به، والكفر برسالته والخروج عن ملة الإسلام.

---

[1] انظر المرجع السابق، ص ٥-٦.

[2] المرجع السابق، ص١٢٢.

وقد صرح المستشرق نويل كولسون[١]، في ختام مقال له حول منهج نقد الأحاديث، بعدم إمكانية التوفيق بين المنهج الإسلامي والمنهج الغربي في نقد الأحاديث، فقال: "ينبغي الاعتراف بكل صراحة بعدم إمكانية التوفيق بين المنهج الإسلامي والمنهج الغربي في نقد الأحاديث، فكل منهما ينطلق من أرضية مختلفة، وليس ثمة طريق وسط يتسم بالموضوعية بين ما يستلزمه الاعتقاد الديني وما يقتضيه منهج النقد المادي التاريخي"[٢].

المطلب الثالث: تطبيق نظرية التطور على دراسة الأديان.

تُظهر كتابات بعض المستشرقين في علم الحديث تأثرهم بنظرية التطور " Theory of Evolution" المنسوبة إلى دارون. والتطور –في علم الأحياء- عملية ظهور فروع جديدة ومتجددة للكائن الحي من جيل إلى آخر، تؤدي في النهاية إلى تغيير كافة مواصفات النوع الأصلي قيد التطور، مما يؤدي إلى نشوء نوع جديد من الكائنات الحية[٣]. وقد اعتمد الغربيون هذه النظرية في المناهج الدراسية بشكل عام، وعملوا على تطبيقها في مجال دراسة الأديان، وقد أفضى بهم ذلك إلى القول بأن الصيرورة والتحول سنة حتمية، فليس هناك شيء ثابت[٤].

---

[١] المستشرق نويل جيمس كولسون "Noel James Coulson" (١٩٢٨-١٩٨٦م) مستشرق بريطاني، عين أستاذا لكرسي الدراسات القانونية في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية، في جامعة لندن، عام ١٩٧٥م، وذلك خلفا لسلفه المنصر والمستشرق نورمان أندرسون (١٩٠٨-١٩٩٤م)، وهو ثالث شخصية علمية تشغل هذا المنصب منذ تأسيسه عام ١٩٤٦م، انظر مقالا في نعيه للأستاذ إيان إدج:
Ian Edge, "Obituary: Noel Coulson" *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, Vol. 50, No. 3 (1987), pp. 532-535.

[2] N. J. Coulson, “European criticism of Hadith literature”, *Arabic literature to the end of the Umayyad period,* (The Cambridge history of Arabic literature II), Cambridge, 1983, p. 321.

[٣] انظر موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة): (http://ar.wikipedia.org)، ١٣/٢/٢٠١١م.

[٤] أشار الأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد –رحمه الله تعالى- في بعض محاضراته إلى أن اعتماد هذه النظرية هو أحد ثلاثة عوامل تفسر موقف جولدتسيهر من الدين الإسلامي عامة، أما العامل الثاني فهو: التأثر بالمذهب اليهودي الإصلاحي الذي يرفض اتباع أحكام التلمود، والعامل الثالث: اعتماده للمنهج الاجتماعي التاريخي في دراسة النصوص الدينية، والتي تعتبر تلك النصوص صدى لأوضاع بشرية بادت

ونلمح نتيجة التأثر بهذه النظرية في كتابات بعض المستشرقين، ومن أشهرهم المستشرق جولدتسيهر الذي خص موضوع تطور الحديث بالدراسة والبحث في القسم الثاني من كتابه "دراسات محمدية"، وخلص إلى الشك في الأحاديث النبوية عامة، حيث يرى أن القسم الأعظم من الحديث إنما هو نتيجة لتطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي في القرنين الأول والثاني. فالحديث –في نظره– لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في العصور اللاحقة[1]، وبذلك يقدم لنا الحديث صورة الحركة الفكرية التي تطورت في الأمة الإسلامية[2].

وقد حاول جولدتسيهر أن يبرهن على كون الحديث انعكاسا لروح العصر، عن طريق ربط بعض الأحاديث ببعض الأفكار والآراء التي ظهرت في القرون الأولى، زاعما بأن أصحاب هذه الآراء هم الذين اختلقوا تلك الأحاديث ونسبوها إلى النبي ﷺ.

ومن الأمثلة على ذلك تشكيكه في صحة الأحاديث الواردة في النهي عن الكتابة أو الإذن فيها، وزعمه بأنها انعكاس لتطور المجتمع المسلم واختلافه حول مسألة كتابة الحديث. فبعد دراسته للروايات الواردة في المسألة استنتج وجود خلاف بين أهل الحديث وأهل الرأي حولها، فأهل الرأي –في زعمه– يهمهم إثبات عدم تقييد الحديث، ليتخذوا من ذلك حجة على عدم صحته، وهذا القول يضر بخصومهم أهل الحديث، ولذلك لم يتورع الفريقان من وضع الأحاديث تأييدا لما ذهبوا إليه. ويخلص إلى القول بأن "الأحاديث الواردة في تقييد العلم

وانقرضت. انظر مقال "موقف المستشرقين من السنة النبوية: الأهداف والوسائل والنتائج"، للدكتور جمال أحمد بادي، (مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد الأول، يونيو، ٢٠٠٤)، ٢٠٠٤، ص٢٦٢.

[1] انظر تعليق "Pfannmueller" على كتاب جولدتسيهر، كما جاء في كتاب الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود زقزوق، ص١٠١–١٠٢. وانظر:
Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), vol. 2, pp. 18f.

[2] العقيدة والشريعة في الإسلام، ، لإجناس جولدتسيهر، ص٦٩.

أثر من آثار تسابق أهل الحديث وأهل الرأي إلى وضع الأقوال التي تؤيد سابق نزعاتهم في هذا الشأن"[١].

وهكذا يصوّر جولدتسيهر المحدثين والفقهاء بأنهما حزبان متعارضان متخاصمان، يستحلان الكذب على رسول الله ﷺ! وقد أجاب الدكتور العش على هذه الدعوى في مقدمة تحقيقه لكتاب الخطيب البغدادي، وبين أن الخلاف في مسألة جواز الكتابة أو عدمه لم يكن قائما بين أهل الحديث والرأي، فمن أهل الرأي من امتنع عن الكتابة، كعيسى بن يونس (١٨٧هـ)، وحماد بن زيد (١٧٩هـ)، وعبد الله بن إدريس (١٩٢)، وسفيان الثوري (١٦١هـ)؛ ومنهم من أقرها، كحماد بن سلمة (١٦٧هـ)، والليث بن سعد (١٧٥هـ)، وزائدة بن قدامة (١٦١هـ)، ويحيى بن اليمان (١٨٩هـ) وغيرهم. ومن المحدثين من كره الكتابة، كابن عُليَّة (٢٠٠هـ)، وهشيم بن بشير (١٨٣هـ)، وعاصم بن ضمرة (١٧٤هـ) وغيرهم؛ ومنهم من أجازها، كبقية الكَلاعي (١٩٧هـ)، وعكرمة بن عمار (١٥٩هـ)، ومالك بن أنس (١٧٩هـ) وغيرهم[٢].

ومن نتائج الاعتماد على هذه النظرية كذلك تشكيك المستشرق جولدتسيهر في صحة قوله ﷺ: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...)[٣] بحجة كونه مناسبا للأفكار الصوفية المتأخرة، وعدم مناسبته لصدر الإسلام[١].

---

[١] تقييد العلم، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق يوسف العش، (دار إحياء السنة النبوية، د.م.، ط٢، ١٩٧٤)، مقدمة المحقق، ص١٦. وانظر:

Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), vol. 2, PP.183-186.

[٢] انظر تقييد العلم، للخطيب البغدادي، مقدمة المحقق، ص٢١-٢٢. وانظر عرضا ومناقشة لرأي جولدتسيهر في هذه المسألة ص١٦-٢٢.

[٣] جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم: ٦١٣٧، ٥/٢٣٨٤.

ومن المستشرقين الذين تأثروا بنظرية التطور وعملوا على تطبيقها في دراستهم للحديث الشريف المستشرق جوزيف شاخت. فقد كتب كتابا في نشأة الفقه الإسلامي تحدث فيه عن الأحاديث الفقهية وتطورها وخرج بما يمكن أن يُطلق عليه نظرية "تطور الأسانيد". فهو يزعم أن الأسانيد قد ظهرت بشكل بدائي، ونمت وتطورت على يد الأحزاب المختلفة بطريقة عشوائية، ووصلت إلى الكمال في عصر أصحاب الكتب الستة، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري. ويعلق على ذلك بقوله: "ولهذا فمن الصعب علينا أن نشارك علماء المسلمين في ثقتهم بالأسانيد... فبعض الأسانيد التي يثق بها المحدثون، هي في الواقع نتيجةٌ للانتشار الواسع للوضع في الجيل السابق للإمام مالك"[٢]. مع أن دراسة تاريخ الرواية يثبت استخدام الإسناد منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، حيث كان بعضهم يصرح باسم من روى عنه من الصحابة، وقد أشار الإمام النووي إلى وجود أسانيد يروي فيها صحابي عن صحابي آخر وهو كثير، وثلاثة صحابة بعضهم عن بعض، وأربعة صحابة بعضهم عن بعض، وهو قليل جدا، وقد جمع رحمه الله تعالى الرباعيات من الصحابة والتابعين، في أول شرحه لصحيح البخاري[٣]. لكن جرت العادة بعدم التزام الصحابة التصريح بمن رووا عنهم ممن هم في طبقتهم، فهم كلهم عدول، وكان لا يكذب بعضهم بعضا. فقد أخرج الإمام الحاكم عن أنس بن مالك ﷺ أنه حدث بحديث عن رسول الله ﷺ، فقال رجل: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ فغضب غضبا شديدا، وقال: "وَاللَّهِ مَا كُلُّ مَا نُحَدِّثُكُمْ بِهِ سَمِعْنَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنْ كَانَ يُحَدِّثُ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَلَا يَتَّهِمُ بَعْضُنَا بَعْضاً"[٤].

---

[١] انظر العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدتسيهر، ص٤٥.

[2] Joseph Schacht, *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, (the Clarendon Press, Oxford, 1950), p. 163.

[٣] انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ)، ١/٦٣.

[٤] المستدرك على الصحيحين، للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص٣/٦٦٥.

المطلب الرابع: الانتقاء الكيفي وتجاهل الأدلة المضادة.

من الأخطاء المنهجية التي تزري بالبحث العلمي وتصرفه عن مساره الصحيح الانتقاء الكيفي للمعلومات والمصادر العلمية وتجاهل الأدلة المضادة المتعلقة بموضوع البحث. وقد نبهت الدراسات المنهجية على أن تجاهل الأدلة المضادة يعد من أهم العوائق التي تحول بين الباحث وبين الوصول إلى الحقيقة، "فالباحث يبحث عن جوهر الحقيقة دون أن يكون له رأي في بادئ الأمر، ودون أن تلعب به الأهواء أو توجهه الميول، فهو يبدأ دراسته لا ليبرهن على شيء، بل ليكشف شيئا... وهو مستعد أن يغير رأيا يكون قد كونه إذا جاء ما يستدعي هذا التغيير، مهما استلزم ذلك من عناء وتعب"[1]. فبصرف النظر عن مقدار الأدلة التي يمكن التوصل إليها لتأييد فرض من الفروض، فإن بندا واحدا يحمل دليلا معارضا، يمكن أن يثبت بطلان ذلك الفرض[2]. وبناء على ذلك، فإن على الباحث أن يكون كالقاضي النزيه الذي يسعى وراء الأدلة التي تنفي آراءه أكثر من تلك التي تؤيدها[3].

وقد عمل عدد من المستشرقين في دراستهم للدين الإسلامي وما يتعلق به من علوم ومعارف وفق منهج معكوس في البحث العلمي، وهو منهج الانتقاء الكيفي لما يقفون عليه من مصادر ومعلومات، حيث يبيتون فكرة معينة، ثم يبحثون بين تلك المصادر والوقائع والروايات التاريخية على ما يؤيد تلك الفكرة، ليستعينوا به في تأييد ما يذهبون إليه، متجاهلين

[1] كيف تكتب بحثا أو رسالة، للدكتور أحمد شلبي، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢٢، ١٩٩٦م)، ص١٤.

[2] مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ديوبلد ب فان دالين، ترجمة الدكتور محمد نبيل نوفل وزملائه، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م)، ص٢٢٩.

[3] انظر أسس الفلسفة، توفيق الطويل، ص٢٠٦-٢٠٧، نقلا عن فلسفة العلوم، الدكتور بدوي عبد الفتاح محمد، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م)، ص٩٤.

في الوقت نفسه الأدلة والوقائع التي تخالف تلك الفكرة وتنقضها. وقد نبه الأستاذ محمد أسد على ذلك بقوله: "إن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى، أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبدا أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون إليه مبدئيا"[1].

ويشير الشيخ أبو الحسن الندوي إلى هذه الظاهرة في كتابات المستشرقين بقوله: "ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعيِّنون لهم غاية ويقرِّرون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات –من كل رطب ويابس– ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها؛ ويقدمونها بعد التمويه بكل جراءة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في أنفسهم وأذهانهم"[2].

وقد مثّل الأستاذ جواد علي لأصحاب هذا المنهج بالمستشرق الإيطالي كايتاني[3]، وهو من المستشرقين الأوائل الذين كتبوا حول حياة الرسول ﷺ، فكثيرا ما يضع فكرة معينة في السيرة ثم يشرع بإثباتها عن طريق الاستعانة بكل خبر يظفر به، قويا أو ضعيفا[1].

---

[1] الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ص٥٣.

[2] مقال "الإسلام والمستشرقون"، الشيخ أبو الحسن الندوي، (البعث الإسلامي، ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م)، ص١٤.

[3] الأمير ليون كايتاني "Leone Caetani" (١٨٦٩–١٩٢٦م) مستشرق إيطالي ولد في روما وتخرج في جامعتها، وتعلم سبع لغات منها الفارسية والعربية، ورحل إلى الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان. له آثار

ويضرب المستشرق مونتجمري واط[2] مثلا لاعتماد منهج الانتقاء الكيفي وتجاهل الأدلة المضادة، بالمستشرق الفرنسي لامانس، فيقول: "ولكنه –وللأسف يتجاوز الأدلة كثيرا... إذ إن طريقته العابثة في معالجة المصادر ليست طريقة علمية، فهو يرفض هذا الرأي ويقبل الآخر حسب أفكاره الخاصة ومعتقداته، دون أن يعبأ بالموضوعية"[3]. وفي مناقشته لطريقة لامانس في الاستدلال، يقول واط: "ولكن لماذا يفعل لامانس ذلك؟ يبدو أنه يؤكد حقيقة النظرية التي يحاول التدليل عليها"[4].

وانتقاد المستشرق واط للمستشرق لامانس، لا يعني تحرر الأول من المنهج الخاطئ في دراسة السنة والسيرة. فقد خصص الدكتور عماد الدين خليل دراسة نقدية لكتابه في السيرة النبوية "محمد في مكة"، لخص فيها الخلل المنهجي في دراسة هذا المستشرق بقوله: "نزعة نقدية مبالغ فيها تصل إلى حد النفي الكيفي وإثارة الشك حتى في بعض المسلمات، تقابلها نزعة افتراضية تثبت بصيغ الجزم والتأكيد ما هو مشكوك بوقوعه أساسا. وإسقاط للتأثيرات البيئية المعاصرة، وإعمال للمنطق الوضعي في واقعة تكاد تستعصي على مقولات البيئة وتعليلات العقل الخالص"[5].

كثيرة من أشهرها: تاريخ الإسلام، في عشرة مجلدات، (ميلانو ١٩١٢-١٩٢٦م). انظر المستشرقون، للعقيقي، ١/٤٢٩-٤٣٠.

[1] انظر تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، (مطبعة الزعيم، بغداد، ١٩٦١م)، ١/٩٥، نقلا عن مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١٢٠.

[2] سبقت ترجمته.

[3] محمد في مكة، مونتجمري واط، ترجمة سفيان بركات، (المطبعة العصرية صيدا، د.ت.)، ص١٥٤.

[4] المرجع السابق، ص٢٤٣.

[5] "المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات"، د. عماد الدين خليل، ١/١٩٣.

ومن الأمثلة على اعتماد هذا المنهج كذلك ما كتبه المستشرق بروكلمان[1] في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية عن العلاقة بين المسلمين واليهود في عهد النبي ﷺ، فهو "لا يشير إلى دور اليهود في تأليب الأحزاب على المدينة، ولا إلى نقض بني قريظة عهدها مع الرسول ﷺ في أشد ساعات محنته، ولكنه يقول: ثم هاجم المسلمون بني قريظة الذين كان سلوكهم غامضا على كل حال"[2].

ويمكن أن تعد بعض دراسات المستشرقين لظاهرة الإسناد مثالا للانتقاء الكيفي في جانب المصادر، فقد كان لسوء اختيارهم لمصادر دراسة الأسانيد أكبر الأثر في وقوعهم في أخطاء جسيمة، نجمت عن سوء ذلك الاختيار، حيث انتقوا مصادر غير مناسبة للبحث في هذه المسألة.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الدكتور الأعظمي من اعتماد المستشرق شاخت في دراسته للأسانيد على موطأ الإمام مالك، وموطأ الإمام محمد الشيباني، وكتاب الأم للإمام الشافعي، فغني عن القول أن هذه الكتب أقرب إلى الفقه منها إلى الحديث، ومع ذلك عمَّم نتائج دراسته لتلك الكتب، وفرضها على كافة كتب الحديث، وكأنه ليست هناك كتب خاصة بالأحاديث النبوية، وكأنه ليس هناك فرق بين طبيعة كتب الفقه وكتب الحديث[3]. فاختيار شاخت لتلك الكتب التي يمكن أن يجد فيها ما يؤيد وجهة نظره في نشأة الإسناد وتطوره، يدل على منهج انتقائي في اختيار المصادر، يهدف إلى تأكيد آراء مسبقة، مع تجاهل لمصادر

---

[1] كارل بروكلمان "C. Brockelmann" (١٨٦٨-١٩٥٦م) مستشرق ألماني، من تلاميذ المستشرق نولدكه، ومن أشهر المستشرقين في الأدب العربي والتاريخ الإسلامي. عُين أستاذا للغة العربية في عدد من الجامعات، وانتخب عضوا في مجامع وجمعيات عديدة. ومن آثاره: تاريخ الآداب العربية، وتراجم من روى عنهم محمد بن إسحاق (ليدن ١٨٩٠م). انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٤٢٤-٤٣٠.

[2] "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١٢٢.

[3] انظر دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، ٢/٣٩٧-٣٩٨.

وأدل متعددة تناقض ما توصل إليه. وقد أوقع هذا الخطأ المنهجي المستشرق شاخت في خطأ جسيم يتمثل في زعمه الذي أشرت إليه سابقا حول تأخر نشأة الأسانيد وتطورها[1].

المطلب الخامس: الاستقراء الناقص وتعميم نتائجه.

يعد الاستقراء أحد المناهج العلمية الرئيسة في البحث العلمي، والاستقراء التام – القائم على ملاحظة جميع مفردات الظاهرة– هو الذي يوصل الباحث إلى نتائج سليمة يمكن تعميمها على الظاهرة محل الدراسة. فكمال الاستقراء ينعكس على البحث العلمي ونتائجه بشكل إيجابي، بينما يؤثر ضعف الاستقراء على البحث العلمي ونتائجه بشكل سلبي، حيث يوقع الباحث في التعميمات والأحكام الخاطئة[2].

وقد اعتمد المستشرقون أحيانا على الاستقراء الناقص لبعض جوانب القضية المطروحة للبحث من مصادر ومراجع منتقاة، ثم عمموا نتائج هذا الاستقراء وأصدروا الأحكام بناء عليها، وكأنها أحكام عامة توصلوا إليها بعد استقراء وتتبع تامين، مع أنها في الحقيقة نتيجة استقراء ناقص لا يصلح دليلا لإصدار الأحكام وتعميمها.

ومن الأمثلة على تطبيق هذا المنهج من قبل المستشرقين ما توصل إليه المستشرق جولدتسيهر من التشكيك بما ثبت من كتابات في عهده ﷺ وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، فهو قائم على استقراء ناقص للروايات المتعلقة بهذا الموضوع، وتجاهل لروايات كثيرة تثبت وجود عدد من الكتابات للسنة منذ عهده ﷺ[3].

---

[1] انظر تفصيلا لهذه المسألة، ومثالا لها في دراسات المستشرق شاخت حول السنة في العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة، د. خالد الدريس، ص١٠٤–١٠٨، ١١٤–١٢١.

[2] انظر مناهج البحث، د. غازي عناية، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص٨٢؛ والبحث الأدبي: طبيعته مناهجه أصوله مصادره، الدكتور شوقي ضيف، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م)، ص٣٧–٤٠.

[3] انظر عرضا لآراء المستشرقين حول تدوين السنة في دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، ٧٢/١ وما بعدها؛ والمستشرقون والحديث النبوي، الدكتور محمد بهاء الدين، ص٦٦ وما بعدها.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الاستقراء الناقص وتعميم الأحكام زعم المستشرق جوزيف شاخت بأن الاعتماد على أقوال الصحابة هو المنهج الأسبق الذي اعتمده الفقهاء المتقدمون، وأن نظرية سيادة الأحاديث على غيرها فكرة مبتدعة، اعتمدها علماء العراق بشكل غير مكتمل، بينما عمل الإمام الشافعي على تطبيقها بطريقة منتظمة.

وبناء على ذلك، فليس غريبا بالنسبة لفقهاء المدينة والعراق أن تُقدم أقوال الصحابة على أحاديث النبي ﷺ، وأن يُستشهد بهذين النوعين من الأحاديث على أنهما في مرتبة واحدة، وأن تُفسَّر الأحاديث النبوية في ضوء أقوال الصحابة[1].

وقد ناقش الدكتور مصطفى الأعظمي هذه الدعوى ولاحظ أن المستشرق شاخت لا يقبل كلام أصحاب تلك المدارس بأنهم ملتزمون بسنة رسول الله ﷺ؛ ولا يقبل كلام خصوم تلك المدارس الفقهية الذين ينقلون اتفاق أصحاب تلك المدارس على هيمنة سنة رسول الله ﷺ؛ كما أنه يتجاهل ٩٩% من القضايا التي تدل على أخذهم بسنة رسول الله ﷺ. وفي مقابل ذلك يأخذ هذا المستشرق اعتراضات الخصوم بأن صاحب مدرسة ما خالف السنة النبوية في المسألة الفلانية التي لا تمثل ١%، ثم يعمم النتيجة ويحولها إلى ١٠٠%. أو يلتقط بعض الروايات أو الأحكام المنسوبة إلى الإمام مالك، ويعمم تلك النتيجة على كافة علماء المدينة، وكأنه لم يكن في المدينة غير الإمام مالك، أو كأنه لم يكن هناك اختلاف بين علماء المدينة في تلك المسألة. أو يأخذ بعض الأمثلة من مدرسة الأحناف، ويعمم الحكم ليس على الكوفة فحسب، بل على العراق بأكمله. وهذا منهج لا يمت إلى ميدان العلم بصلة[2].

---

[1] Joseph Schacht, *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, pp. 29-30.

[2] انظر "المستشرق شاخت والسنة النبوية"، للدكتور الأعظمي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ١/٨٨؛ والعيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة، للدكتور خالد الدريس، ص١٢٨-١٣١.

ويمكن أن يمثل لهذا المنهج كذلك بدراسة المستشرقين لواقع الاشتغال بعلم الحديث عند المسلمين، والنتائج التي توصلوا إليها فيما يتعلق بطبيعة ذلك الاشتغال، حيث صوَّروا المجتمع المسلم بجميع طوائفه وطبقاته مشتغلا بوضع الحديث، لتأييد الفرق والمذاهب المختلفة، ولتلبية حاجات العصور المختلفة. ومن ذلك قول المستشرق جيمس روبسون: "إن ما حصل بالفعل هو أن مجموعة من المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي اعتنوا بدراسة الأحاديث، بل واختلاقها، ولكن هذا الاختلاق كان لأهداف حسنة غالبا"[1]. ويؤكد أن هذا الواقع ينطبق على جميع طوائف المسلمين، فقد أصبح اختلاق الأحاديث من الممارسات العامة، وذلك من أجل دعم وجهات نظر الطوائف المختلفة، يستوي في ذلك المسلمون الصالحون وغيرهم[2]. وقد صرح بذلك سلفه جوينبول الذي يقول: "وبعد وفاة محمد لم تستطع الآراء والمعاملات الأصلية التي سادت في الرعيل الأول أن تثبت على حالها من غير تغير، فقد حل عهد للتطور جديد... وسرعان ما أدى هذا بالضرورة إلى وضع الأحاديث، فاستباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبي لكي تتفق وآراء العصر التالي"[3].

إن هذه النتيجة التي توصل إليها المستشرقون مبنية على استقراء ناقص، لا يشمل جميع المشتغلين بعلم الحديث، بل يركز على طائفة ممن تعاطى رواية الحديث، ممن يتسم بالزندقة، أو يزعم الزَّهادة والصلاح، أو يحرص على استمالة قلوب العامة ليرقِّقَها في مجالس وعظه وقصصه، وهم الذين عُرفوا في ذلك الوقت بـ"القُصَّاص"، إضافة إلى بعض الجهلة من أتباع الفرق والمذاهب المختلفة التي كثرت في صدر الإسلام. كما أنها تتجاهل جهود المحققين من المحدثين وموقفهم من الحديث الشريف، وقيامهم بالحفاظ عليه من الآثار السلبية لتلك

---

1 Robson, "Tradition: investigation and classification", (*The Muslim World*. Hartford. 41, 1951), p. 98.

2 Cf. James Robson, "Non-Resistance in Islam", (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society. Glasgow*, 9, 1938/39), p. 3; cf. Robson "Tradition: investigation and classification", p. 99.

٣ دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ١٣/٣٩٠.

الطوائف. وقد عمّم المستشرقون نتيجة هذا الاستقراء، وحكموا بها على جميع المشتغلين بعلم الحديث على حد سواء، مع أن واقع تلك الطوائف لا يمكن أن يمثّل بحال من الأحوال الصورة الكاملة، والواقع المتكامل لطبيعة عناية المسلمين بدراسة الحديث الشريف.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المحدثين أنفسهم نبّهوا على خطر تلك الطوائف، وبيّنوا وقوعها في وضع الحديث، وحذّروا الأمة من الأحاديث التي تتداولها وتعمل على نشرها، كما ردُّوا على الشبهات التي يتعلق بها بعضهم في إباحة الوضع لأهداف نبيلة[1].

المطلب السادس: الشك غير المنهجي والاعتماد على الاحتمالات.

الشك هو "التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك... وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما، فإذا ترجح أحدهما على الآخر فهو ظن، فإذا طرحه فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين"[2].

والشك العلمي المنهجي "مرحلة أساسية من مراحل البحث في الفلسفة، وقوامها تمحيص المعاني والأحكام تمحيصا تاما بحيث لا يقبل منها إلا ما ثبت يقينه. ومن أبرز من قال به الإمام الغزالي ثم ديكارت"[3].

ويعد هذا النوع من الشك العلمي من الصفات التي ينبغي توافرها في الباحث، بحيث لا يقبل كل ما يقرأه على أنه حقيقة مسلمة، ولا يتسرع في الحكم عليه، بل يعمل فيه نظره ويقلب فكره، وهو مظهر حضاري لم يصل إليه الإنسان إلا بعد أن قطع أشواطا من العلم

---

[1] انظر تدريب الراوي، للسيوطي، ١/٢٨١-٢٨٦؛ وتأويل مختلف الحديث، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد زهري النجار، (دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م)، ص٢٧٩.

[2] كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص١٢٨.

[3] المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص١٠٣.

والمعرفة[1]. فعلى الباحث "أن يحرر نفسه من الأفكار الخاطئة بالشك، وأن يتروى فيما يعرض له، فلا يتسرع في حكمه، ولا يقبل إلا ما يثبت للعقل بداهة"[2].

يقابل هذا الشك شك غير منهجي مبني على الاحتمالات والأوهام، وليس له مبرر علمي مقبول، ويتمثل هذا النوع من الشك في الإفراط في الشك والاتهام لبعض المسلمات العقلية والحقائق العلمية. وهذا النوع من الشك ينبغي الحذر منه والابتعاد عنه في شؤون الحياة عامة، وفي البحث العلمي خاصة، لكننا نلاحظ أن بعض المستشرقين يعتمدون عليه في دراساتهم للإسلام وعلومه. وقد أدى تطبيق هذا النوع من الشك في دراسة علم الحديث إلى تشكيك المستشرقين في صحة عدد من الأحاديث لمجرد احتمال وجود علاقة بينها وبين واقعة تاريخية معينة، أو اتجاه فكري محدد، دون اتباع منهج علمي لنقد تلك الأحاديث، فإذا وجدوا فيما جاء في الحديث علاقة بتلك الوقائع أو الاتجاهات الفكرية، بادروا إلى التشكيك في هذا الحديث وربطه بها.

ويمكن التمثيل لاعتماد هذا المنهج بتشكيك جولدتسيهر في صحة الأحاديث الآتية:

١- حكمه بالوضع على قوله ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[3]، وقوله عليه الصلاة والسلام عن المرأة التي تصلي الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها: (لا خير فيها، هي في النار)[4]. فقد ادعى أن هذين

---

[1] أضواء على البحث والمصادر، للدكتور عبد الرحمن عميرة، ص٥٥، نقلا عن مناهج البحث والمصادر في الدراسات الإسلامية والعربية، للدكتور محمد السعيد جمال الدين، (دار مرجان للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٢٢.

[2] المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص١٠٣.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، حديث رقم: ١٨٠٤، ٦٧٣/٢.

[4] أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه، كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٣٠٤، ٧٣٠٥، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ١٨٤/٤. وأخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ، بلفظ: (هي في النار). انظر مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت.)، ٤٤٠/٢. وقال الهيثمي: "رواه أحمد والبزار، ورجاله ثقات". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ)، ٣٠٨/٨.

الحديثين موضوعين، لأنهما وغيرهما "من النصوص المماثلة، والتي يسهل علينا جمعها، لا تمثل مجرد وجهات نظر شخصية خاصة بطبقة سامية أخلاقها فحسب، بل إنها لتعبر عن الشعور أو العاطفة العامة لفقهاء الإسلام"[١].

٢- زعمه أن حديث: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)[٢] من وضع الإمام الزهري الذي أوكل إليه عبد الملك بن مروان وضع هذا الحديث، من أجل تشريع الحج إلى بيت المقدس، وذلك خوفا من أخذ عبد الله بن الزبير البيعة من أهل الشام الذين يحجون إلى بيت الحرام في مكة[٣].

فبمجرد وجود احتمال أو ربط بين هذا الحديث وبين واقعة تاريخية معينة، أو توجه فكري محدد، نرى هذا المستشرق يشكك في صحته، ويربط بينه وبين تلك الوقائع والتوجهات، بل يحكم بوضعه، ويتهم بذلك أحد أشهر علماء المسلمين في ذلك العصر وهو الإمام الزهري رحمه الله تعالى.

وهكذا يحكم هذا المستشرق على تلك الأحاديث باحتمالات عقلية مجردة لا ترقى أن تكون دليلا علميا يقوى على رد تلك الروايات، دون أي اعتبار للمنهج العلمي في الحكم على الروايات، والتحقق من صحتها، ومع تجاهل تام لجهود المحدثين في دراسة تلك الأحاديث، وتأكيدهم لتوافر شروط الصحة في أسانيدها ومتونها.

---

[١] العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدتسيهر، ص٤٥.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم: ١١٣٢، ٣٩٨/١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، حديث رقم: ١٢٩٧، ١٠١٤/٢.

[3] Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), vol. 2, pp. 44f.
وانظر مناقشة تفصيلية لنقد المستشرق جولدتسيهر لهذا الحديث في منهج النقد عند المحدثين: نشأته وتاريخه، د. محمد مصطفى الأعظمي، ص١٢٧-١٣١. وانظر كذلك مثالا آخر للشك غير المنهجي عند المستشرق شاخت، حيث يزعم بأن كافة كتب التراجم التي تبحث في ترجمة موسى بن عقبة غير موثوق بها، في دراسات في الحديث النبوي ، للدكتور الأعظمي، ٣٨٨/٢ وما بعدها؛ والعيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة، للدكتور خالد الدريس، ص١١٠-١١٣.

المطلب السابع: الاعتماد على المصادر غير الأصيلة.

الاعتماد على المصادر الأصيلة في كل فن من الفنون متطلب رئيس من متطلبات البحث العلمي، فعلى الباحث أن يحيط بمصادر بحثه الأصلية، وأن يتوخى أصدق المصادر والمراجع تأليفا ومحتوى[١]، بحيث تكون تلك المراجع متخصصة في المسألة التي يبحث فيها، فإذا كان البحث في التفسير فمراجعه الأصلية كتب التفسير وعلوم القرآن، وإذا كان البحث في الحديث فمراجعه الأصلية كتب الحديث وعلومه، وهكذا. وإغفال هذا المتطلب المنهجي يسلب عن البحث صفة العلمية، ويؤدي بالباحث إلى الوصول إلى نتائج غير صحيحة.

ومن الأخطاء المنهجية الرئيسة التي انحرفت بأبحاث المستشرقين عن جادة الصواب في دراساتهم للحديث النبوي خاصة والإسلام عامة، اعتمادهم في بعض الأحيان على المصادر غير الأصيلة، التي لا تناسب موضوع البحث. ومن مظاهر تبني هذا المنهج لدى المستشرقين ما يأتي:

١- اعتماد بعض المستشرقين الدارسين للحديث النبوي على كتب الأدب أو الفقه في تخريج بعض الأحاديث، أو دراستهم للمسائل المتعلقة بعلم الحديث. ويبدو هذا واضحا في كتابات المتقدمين من المستشرقين، فتراهم يستشهدون في دراستهم للحديث وعلومه بكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والحيوان للدميري، وكتاب ألف ليلة وليلة، وغيرها من الكتب الأدبية العامة[٢]. ويمكن التمثيل لذلك باعتماد المستشرق جولدتسيهر على كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري، لتوثيق بعض روايات حديث (لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع)[٣]، وكذلك اعتماده على كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني في عدد من

---

[١] انظر المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح بن حمد العساف، (الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ)، ص٢٧٩.

[٢] انظر مقال "المستشرقون والتاريخ"، للدكتور عبد العظيم الديب، ص١٤٧-١٤٨.

[3] Cf. Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), vol. 2, p. 26.
والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم)، رقم٧٣٢٠، ١٠٣/٩. وقد تتبع الدكتور الصِّدِّيق بشير نصر الرواية التي أشار إليها المستشرق جولدتسيهر في كتاب حياة الحيوان فلم يقف عليها. انظر دراسات محمدية (الجزء الثاني)، إجنتس

المواضع[1]، ومن ذلك الإحالة إليه في توثيق حديث: (مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً[2])[3].

والمستشرقون بفعلهم ذلك يقعون في خطأ منهجي كبير، فلا يخفى ما في هذه الكتب من الروايات الموضوعة والقصص العجيبة الغريبة. وقد أشار الدكتور السباعي إلى هذه الظاهرة بقوله: إن المستشرقين "ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في قضايا الفقه، وهم يصحِّحون ما يقوله الدميري في كتاب الحيوان، ويكذِّبون ما يرويه مالك في الموطأ"[4].

٢- الاستشهاد بالروايات الضعيفة والشاذة لتأييد آرائهم ومزاعمهم، فالمستشرقون وجدوا في تلك الروايات ضالتهم، فكثيرا ما تسعفهم في تأييد مزاعمهم، وتحقيق أهدافهم، بينما لا تسعفهم الرويات الصحيحة في ذلك. ويقرر الأستاذ جواد علي استشهاد المستشرقين بالشاذ والضعيف بقوله: "لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الأحيان، وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ والغريب فقدموه على المعروف المشهور... تعمدوا ذلك لأن الشاذ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشك"[5].

جولدتسيهر، ترجمة الصدّيق بشير نصر، (مركز العالم الإسلامي لدراسات الاستشراق، لندن، ط٢، ٢٠٠٩م)، ص٢٩. ولمزيد من الأمثلة على اعتماد المستشرق جولدتسيهر على المراجع غير الأصيلة، انظر كتابه دراسات محمدية باللغة الإنجليزية والمحال إليه في هذا الهامش، ٢/٢٨-٢٩، ٥٤، ٦٤، وغيرها.

[1] انظر المرجع السابق، ٢/٢٨-٢٩، ٥٤، ٦٤، وغيرها.

[2] أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وقال: "هذا حديث حسن"، رقم ٢٦٧٧، ٥/٤٥.

[3] Cf. Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, vol. 2, pp. 32-33.

[4] مقال "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، ص٩٤.

[5] تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، ١/١١٨، نقلا عن مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١١٧.

٣- اعتماد المستشرقين المعاصرين على أسلافهم من المستشرقين في دراساتهم المتعلقة بالحديث الشريف وعلومه، ونظرة سريعة في كتابات المستشرقين المعاصرين في علم الحديث، نحو المستشرق جيمس روبسون والمستشرق جوينبول المعاصر تثبت تأثرهم الكبير بما تبناه المستشرقان جولدتسيهر وشاخت من آراء ونظريات في هذا الميدان. فمعظم المستشرقين المعاصرين، كما يقول الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: "يستقون نظرتهم إلى الإسلام وحضارته عن أسلافهم السابقين –جيلا بعد جيل- ويستمدون منهم آراءهم وأفكارهم وأحكامهم على الإسلام وتراثه، بل نراهم في كثير من الأحيان ينقلون عنهم دون وعي أو تمحيص... ولو أنهم عكفوا على دراسة الحضارة الإسلامية دراسة واعية أمينة في مصادرها الأولى لصححوا كثيرا من مفاهيمهم الخاطئة أو المبتورة عن تلك الحضارة[١]. ويؤكد ذلك المستشرق نورمان دانيال[٢] حيث يقول: "رغم المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها المعاصرون في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا كليا عنها، كما قد يتوهمون"[٣].

---

[١] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للدكتور محمود حمدي زقزوق، ص٥٢.

[٢] نورمان دانيال "Norman Daniel" (١٩١٩-١٩٩٢م) مستشرق بريطاني، درس في جامعة أكسفورد، وحصل على الدكتوراه من جامعة إدنبره، ثم عمل في المجلس الثقافي البريطاني في كل من بغداد وبيروت والسودان والقاهرة. ومن آثاره الإسلام والغرب، ١٩٥٨م، والعرب وأوروبا القرون الوسطى، ١٩٧٥م. يهتم بتغيير صورة الإسلام التي كانت سائدة في أوروبا القرون الوسطى، ويسعى إلى تحقيق الحوار والتفاهم بين النصارى والمسلمين. انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥٨.

[3] Norman Daniel, *Islam and the West: the making of an image*, p.1.
نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٥.

المبحث الرابع
المنطلقات الفكرية المنحرفة
لدراسات المستشرقين في علم الحديث

قد تختلف وجهات الباحثين في تحديد المنطلقات الفكرية المنحرفة لدراسات المستشرقين في علم الحديث الشريف بين موسِّع ومضيِّق، ولكني أميل إلى عدم التوسع في ذلك، والاقتصار على الأفكار الرئيسة التي بنى عليها المستشرقون دراساتهم في علم الحديث، وتمثل أساسا مشتركا في دراسات كثير منهم، كما أنها في الوقت نفسه تعد سببا في نشأة كثير من الشبهات حول علم الحديث. ويمكن إجمال هذا النوع من المنطلقات في ستة منطلقات، يمكن عرضها من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: التصور الخاطئ عن الرسول ﷺ والدين الذي جاء به.

ينطلق كثير من المستشرقين في دراستهم لعلم الحديث الشريف من تصور خاطئ عن الدين الإسلامي ورسوله محمد ﷺ، تكوّن خلال القرون الوسطى على يد زمرة من متقدمي المستشرقين، الذين صوّروا الرسول ﷺ كاردينالا منشقا عن البابوية طمع في كرسيها، فلما خابت آماله ادعى النبوة. كما وصفوه بكونه ساحرا ودجالا وأنه كان ﷺ أكولا، ونؤوما، إلى غير ذلك من الأوصاف الشنيعة التي تنم عن جهل فاضح، أو حقد دفين. كما صوروا الإسلام بأنه فرقة منشقة عن الكنيسة، ومزيج مشوه مستقى من أصول مسيحية ويهودية، تلقاها الرسول ﷺ من أساتذته أحبار اليهود ورهبان النصارى[1].

---

[1] انظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٦-١٧؛ ومقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، د. عماد الدين خليل، ص١١٢-١١٤، ١٢٨، ١٤٠؛ ومقال "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، ص٩٢؛ ومقال "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية"، لمكسيم رودنسون، ١/٢٧-١٠٠. وانظر:
R. W. Southen, *Western View of Islam in the Middle ages*, pp. 24-25, 30, 31, 38, 74, 81, 94.

وقد صرفت تلك الصورة المشوهة للرسول ﷺ والدين الذي جاء به كثيرا من المستشرقين عن فهم حقيقة الإسلام وحقيقة رسوله عليه الصلاة والسلام، كما صرفتهم عن اعتماد المنهج الصحيح في دراسة الأحاديث النبوية الشريفة. وقد حاول بعض المستشرقين تصحيح بعض جوانب هذه الصورة، ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى التصور الصحيح عن الإسلام ورسوله، وأنه دين سماوي أوحى الله تعالى به إلى نبيه المصطفى ﷺ، وغاية ما توصلوا إليه أن جعلوا النبي ﷺ في درجة المصلحين والعظماء. فالمستشرق غوستاف لوبون يتحدث عن النبي ﷺ، فيقول: "وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم، كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ"[١]، ويقول وليم موير في كتابه حياة محمد: "ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ الناس وأحيى الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد [ﷺ]"[٢].

وقد رد المستشرقون -نتيجة لانطلاقهم من هذا التصور المشوه عن الإسلام ورسوله ﷺ- كثيرا مما جاء في الأحاديث الشريفة من الأصول والتشريعات الإسلامية إلى أصول يهودية، ومسيحية، ووثنية، وغنوصية شرقية، وفارسية زرادشتية[٣]، وذلك اعتمادا على منهج ظاهري أساسه التماس الأشباه والنظائر بين الإسلام وبين الأديان والمذاهب الأخرى، فإذا وجدوا فيما جاء به الإسلام شبها ولو بعيدا بما جاء في تلك الأديان والمذاهب، بادروا إلى القول بأنها هي الأصل الذي اقتبس منه الإسلام هذه الفكرة أو تلك.

فالمستشرق جولدتسيهر يرى أن الإسلام عبارة عن مجموعة أفكار تم صهرها في بوتقة واحدة، فيقول: "تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا"[٤]. أما المستشرق تور أندريه فليس عنده شك في: "أن الأصول الكبرى للإسلام مستقاة من الديانتين

[١] حضارة العرب، غوستاف لوبون، (الترجمة العربية، ط٣، ١٩٦٥م)، ص١١٦.

[٢] انظر هذه الاقتباسات وغيرها في كتاب المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٨-٩.

[٣] انظر العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدتسيهر، ص ٥-٦، ١٨-١٩.

[٤] المرجع السابق، ص٥-٦.

اليهودية والمسيحية، وهذه حقيقة لا يحتاج إثباتها إلى جهد كبير"[1]. ويشاركه في هذا الاعتقاد المستشرق أندرسون فيقول: "ليس من شك في أن محمدا اقتبس أفكاره من مصادر التلمود وكتب الأساطير اليهودية والمصادر المسيحية"[2].

فرد الأصول والتشريعات الإسلامية إلى غيرها من الأصول والتشريعات يعد ظاهرة عامة تطبع دراسات المستشرقين في علم الحديث خاصة، والعلوم الإسلامية الأخرى عامة. يقول الأستاذ جواد علي: "إن معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين أو المتخرجين من كليات اللاهوت، وهم عندما يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني. وطائفة المستشرقين من يهود... يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي وعربي لأصل يهودي، وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء"[3]. ويمكن التمثيل لهذه الظاهرة برد جولدتسيهر لحديث (خلق الله آدم على صورته[4]) إلى سفر التكوين، ١/٢٧[5].

---

[1] Tor. Andrae, *Mohammed, The Man and His Faith*, London, 2nd ed., 1956.
نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٢٣.

[2] J.N.D. Anderson, *The World Religion*, London, 1950, pp. 7-8, 54, 56, 58, 59.
نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٢٤. وقد اقتبس المؤلف عدة نصوص عن المستشرق بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية، وعن المستشرق ترتون "A.S. Tritton" في كتابه (*Islam: Belief and Practice*, London, 1957, pp. 18-19.)، يبين فيها بعض المسائل التي يعتقد المستشرقون أن الرسول ﷺ اقتبسها من اليهودية والنصرانية، ثم ناقشها ورد عليها وبين زيفها. انظر ص٢٤-٢٧.

[3] تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، ١/٩، نقلا عن مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١١٧. وقارن مع مقال "جوينبول" حول الحديث، في دائرة المعارف الإسلامية، النسخة المترجمة إلى العربية، ١٣/٣٩٠-٣٩١.

[4] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب السلام، حديث رقم ٦٢٢٧، ٨/٥٠.

[5] انظر العقيدة والشريعة في الإسلام، لإجناس جولدتسيهر، ص١١٢.

وعلى الرغم من جهود بعض المستشرقين في تصحيح الصورة المشوهة التي أملاها الحقد المقيت والجهل الكبير، والعمل على التخلص من آثارها، والتحلي بالموضوعية، لكن تلك الحركة كانت محدودة النتائج ولم تتمكن من تحقيق هدفها. وهكذا أضحت ملامح تلك الصورة المشوهة حقائق مسلمة يتلقاها كثير من المستشرقين دون بحث أو نظر، وصعب على كثير منهم التخلي عنها، وتجاوز آثارها في دراساتهم حول الإسلام عامة، وحول علم الحديث خاصة. وأكتفي هنا بشهادة اثنين من أشهر المستشرقين:

الشهادة الأولى للمستشرق هاملتون جب[١]، حيث يصرح بأن الأحكام المسبقة على الإسلام والمبنية على دراسات سطحية ما زالت متأصلة في نظرة الباحثين الغربيين المعاصرين إلى هذا الدين، وذلك على الرغم مما قام به هؤلاء من محاولات إيجابية للتعمق في دراسة الدين الإسلامي[٢].

والشهادة الثانية للمستشرق مونتجمري واط[٣]، حيث يقول: "منذ القرن الثاني عشر جد الباحثون من أجل تقويم الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا للإسلام. ولكن ورغم الجهد العلمي المبذول فإن آثار الموقف المجافي للحقيقة والتي ولدتها كتابات القرون الوسطى في أوروبا لا زالت قائمة في العصر الحاضر، فالبحوث والدراسات العلمية المعاصرة لم تقدر على اجتثاثها كليا"[٤].

---

[١] هاملتون جب "Hamilton Gibb" (١٨٩٥-١٩٧١م). مستشرق إنجليزي ولد في الإسكندرية في مصر، وهو من أعلام المستشرقين في القرن العشرين. عُين عضوا في المجمع العلمي بدمشق، وفي المجمع اللغوي في القاهرة، وتولى تدريس اللغة العربية في جامعة لندن (١٩٣٠-١٩٣٧م)، وفي جامعة أكسفورد (١٩٣٧-١٩٥٥م) خلفا للمستشرق مرجليوث، ثم في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن توفي، وله آثار عديدة ومتنوعة. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/١٢٩-١٣١؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥١-٥٢.

[2] Cf. H. R. Gibb, *Mohammedanism, An Historical Survey*, (Oxford University Press, London, Second ed., 1964), p. vi.

وانظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٤-٥.

[٣] سبقت ترجمته.

[4] W. M. Watt, *Muhammad, Prophet and Statesman*, (Oxford University Press, London, 1961), p.3.

وهذا اعتراف صريح من أحد كبار المستشرقين المعاصرين على تأثير الصورة المشوهة للإسلام ورسوله في دراسات المستشرقين المعاصرين، والتي لم يتمكن هو نفسه من التخلص منها. ويكفي لتأكيد ذلك ادعاؤه بأن النبي ﷺ كان يصعد إلى غار حراء ليتبرد من حر مكة، إذ لم يكن يتمكن لفقره من الصعود إلى الطائف للاصطياف، كما كان يفعل أغنياء مكة[1]. وهو بذلك يتجاهل ما أجمعت عليه كتب السنة والسيرة أنه ﷺ كان يفعل ذلك من أجل التحنث أو التعبد، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء"[2].

المطلب الثاني: إنكار كون الحديث مصدرا من مصادر التشريع في صدر الإسلام.

يرى بعض المستشرقين أن السنة لم تكن مصدرا للتشريع في صدر الإسلام، وإنما اضطر المسلمون إلى اعتمادها مصدرا تشريعيا في وقت متأخر، وذلك بعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، وتجدد المشكلات وتنوعها، وشعور المسلمين بالحاجة إلى مصدر تشريعي إضافي، حيث لم يعد القرآن الكريم يفي بمتطلباتهم، ونتيجة لذلك تم -في زعمهم- إضفاء

---

1 Cf. Montgomery Watt, *Muhammad at Mecca*, (Oxford University press, Karachi, 1979), p. 44.

وانظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٥.

وانظر الاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور النملة، ص٣١-٣٢.

٢ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم ٣، ١/٤؛ والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم١٦٠، ١/١٣٩.

صفة الوحي على السنة النبوية، واعتمادها مصدرا رئيسا للتشريع الإسلامي. ويؤرخ بعض المستشرقين لذلك بعصر الإمام الشافعي رحمه الله تعالى (١٥٠-٢٠٤هـ)، الذي دعم القول بحجية السنة، وناقش من ينكر حجيتها ورد حججهم ودحض شبهاتهم[١].

وقد أدى إنكار المستشرقين لكون السنة مصدرا للتشريع في صدر الإسلام، إلى زعمهم بأن الأحاديث كانت تُروى في ذلك العصر لمجرد التسلية وملء أوقات الفراغ والتأثير في المسلمين الجدد، واستجابة لرغبة الناس في التعرف على شخصية هذا الرجل العظيم[٢]، ولذلك لم تكن هناك حاجة لدراستها، وتمحيص رواتها، ونقد ما جاء فيها.

كما أدى إنكارهم لأهمية السنة في صدر الإسلام إلى إثارة الشبهات حول بداية تدوين السنة، فقد ذهب المستشرق وليم موير[٣] إلى قبول خبر الزهري بأنه أول من دون الحديث، لكنه شكك في وجود مجموعة كتابية موثوقة قبل منتصف القرن الثاني[٤]، بينما يرى المستشرق ألفرد جليوم[٥] بأن الخبر المتعلق بأولوية تدوين الزهري للسنة غير صحيح. وفي مقابل ذلك يميل المستشرق شبرنجر[٦] إلى القول بوجود كتابة الحديث منذ عصر النبي ﷺ، وذلك نتيجة اكتشافه لكتاب "تقييد

---

[1] Cf. Joseph Schacht, *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, p. 40; James Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 84.

[2] Cf. James Robson, "Tradition, the second foundation of Islam", (*The Muslim World*, Hartford, 41, 1951, 22-32), pp. 23-25; James Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 86.

[٣] وليم موير "S. William Muir" (١٨١٩-١٩٠٢م) مستشرق إنجليزي شديد التعصب للنصرانية، درَس الحقوق في جامعتي جلاسجو وإدنبره، ودرَّس في جامعة إدنبره، كما عُين رئيسا لها. ومن آثاره حياة محمد، وتاريخ الإسلام، ومصادر الإسلام، ونشأة الخلافة وانحطاطها وانهيارها. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٥٩/٢؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور بدوي، ص٥٧٨-٥٧٩؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٣٩-٤٠. وانظر ترجمة له في المبحث الخامس من هذا البحث.

[٤] انظر دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، ٧٢/١. وانظر:
- Guillaume, Alfred. *The Tradition of Islam*, p.19.

[٥] سبقت ترجمته

[٦] سبقت ترجمته

العلم" للخطيب البغدادي، سنة ١٨٥٥م[١]. وقد اعتمد المستشرق جولدتسيهر ما ذهب إليه شبرنجر، وأثبت خطأ ما اشتهر من القول بأن الحديث كان يتم تناقله حفظا[٢].

وفيما ذهب إليه المستشرقون من نزع صفة التشريع عن السنة في صدر الإسلام تجاهل لنصوص الكتاب والسنة التي تأمر المسلمين بطاعة الرسول الله ﷺ واتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والتي جعلت طاعته ﷺ طاعة لله عز وجل، ومعصيته معصية له سبحانه[٣]. فقد اعتمد المسلمون الأوائل، من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، السنة مصدرا رئيسا من مصادر التشريع، ويشهد لذلك الآثار المروية عنهم، وتطبيقهم العملي لذلك على المستويين العام والخاص، والرسمي وغير الرسمي. أما ما ذكر عن جهود الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في دعم حجية السنة، ومناقشة منكريها، فقد كان ذلك بسبب ظهور بعض الطوائف التي لم تكن موجودة في صدر الإسلام، كالمعتزلة ونحوهم، ولم يكن بهدف إقناع المسلمين اعتماد السنة النبوية مصدرا رئيسا من مصادر التشريع، فإن المسلمين بمختلف مذاهبهم وطوائفهم إلى عهد الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، لم ينكروا حجية السنة إذا ما ثبتت عن رسول الله ﷺ، ولكن الخلاف بينهم كان حول الطرق التي تثبت بها السنة[٤].

---

[١] انظر عرضا لآراء المستشرقين حول تدوين السنة ومناقشتها في دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، ٧٢/١ وما بعدها؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، ص٦٦ وما بعدها.

[٢] انظر تقييد العلم، للخطيب البغدادي، مقدمة المحقق، ص١٦.

[٣] قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ (النساء: ٨٠). فالسنة المطهرة، في مجمل أحكامها وتشريعاتها –من حيث وجوب العمل بها– بمنزلة كتاب الله تعالى، واتباعها أمر من الله عز وجل وتكليف، قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر: ٧).

[٤] انظر مناقشة تفصيلية لادعاء المستشرقين تأخر اعتماد السنة مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، في كتاب للباحث بعنوان:

- Fathiddin Beyanouni, *The Noble Hadith In the early days of Islam: a critical study of a western approach*, Research Center, International Islamic University Malaysia, 2005, pp. 45-70.

المطلب الثالث: دعوى افتقار عملية رواية الأحاديث في صدر الإسلام إلى المنهج العلمي.

يزعم كثير من المستشرقين أن عملية الرواية في القرن الهجري الأول لم يكن لها أي ضابط تسير في إطاره، بل كانت تمضي حرة دون أي قيد أو شرط، الأمر الذي أدى –في زعمهم– إلى الزيادة في الروايات والمبالغة فيها، بل إلى اختلاق القصص والأخبار عن النبي ﷺ، وإضافة معلومات وحوادثَ غير واقعية إليها، وذلك من أجل إثارة إعجاب المسلمين الجدد بالنبي محمد ﷺ، وحثهم على التمسك بالدين الذي جاء به[١].

ويرى المستشرق جيمس روبسون أن عدم التنظيم والفوضى في عملية الرواية في صدر الإسلام، أدى إلى وضع الكثير من الروايات وانتشارها في المجتمع، وقد استلزم هذا الواقع إيجاد ضوابط تنظم عملية الرواية وتحكم على نتائجها، وتضع حدا لحركة الوضع والاختلاق التي صبغت رواية الحديث[٢].

ولعل من أبرز الشبهات الناتجة عن هذه الدعوى ما يأتي:

١ –اتهام الرواة عامة باختلاق الأحاديث. حيث يدعي عامة المستشرقين أن رواة الحديث لم يجدوا حرجا في إضافة أي قول إلى النبي ﷺ، إذا ما رأوا مصلحة في ذلك.

فالمستشرق جيمس روبسون يصور واقع عملية الرواية في صدر الإسلام بقوله: "إن ما حصل بالفعل هو أن مجموعة من المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي اعتنوا بدراسة الأحاديث، بل واختلاقها، ولكن هذا الاختلاق كان لأهداف حسنة غالبا"[٣]. ويؤكد أن هذا الواقع ينطبق على جميع طوائف المسلمين، فقد أصبح اختلاق الأحاديث من الممارسات العامة، وذلك من أجل دعم وجهات نظر الطوائف المختلفة، يستوي في ذلك المسلمون الصالحون وغيرهم[٤].

---

[1] James Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 86.

[٢] انظر مقدمة روبسون لكتاب مشكاة المصابيح الذي قام بترجمته إلى اللغة الإنجليزية، ص٦–٧. وانظر:

- James Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 88.
- James Robson, "Standards applied by Muslim traditionists", (*Bulletin of the John Ryland Library*, Manchester, 43, 2, 1961, pp. 459-79), p. 459.

[3] James Robson, "Tradition: investigation and classification", (*The Muslim World*. Hartford. 41, 1951, pp. 98-112), p. 98.

[4] Cf. James Robson, "Non-Resistance in Islam", p. 3; cf. James Robson, "Tradition: investigation and classification", p. 99.

ويؤكد المستشرق ثيودر جوينبول اتهام الرواة بوضع الحديث، فيقول: "وبعد وفاة محمد لم تستطع الآراء والمعاملات الأصلية التي سادت في الرعيل الأول أن تثبت على حالها من غير تغير، فقد حل عهد للتطور جديد... فاستباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل، ونسبوها إلى النبي، لكي تتفق وآراء العصر"[١].

٢- شبهاتهم حول الإسناد وتأخر نشأته، حيث يذهب "كايتاني" إلى أن الإسناد لم يكن معروفا في القرن الهجري الأول، وإنما بدأ استخدامه بين زمن عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤هـ، ومحمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ. وبناء على ذلك يزعم بعض المستشرقين أن الجزء الأكبر من الأسانيد الموجودة في كتب الحديث إنما هو من وضع المحدثين في نهاية القرن الثاني أو في بداية القرن الثالث الهجري[٢]. وذهب المستشرق جوزيف شاخت إلى أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي، ونمت وتطورت على يد الأحزاب المختلفة بطريقة عشوائية، ووصلت إلى الكمال في عصر أصحاب الكتب الستة، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وبناء على ذلك يرى أنه من الصعب على المستشرقين أن يشاركوا علماء المسلمين في ثقتهم بالأسانيد، ويؤكد بأن "بعض الأسانيد التي يثق بها المحدثون، هي في الواقع نتيجةٌ للانتشار الواسع للوضع في الجيل السابق للإمام مالك"[٣].

أما المسشترق جوزيف هورفيتز[٤] فيرى أن استعمال الإسناد بدأ في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري[١]، ويميل المستشرق روبسون إلى القول بأن البدايات الأولى للإسناد يمكن إرجاعها إلى منتصف القرن الهجري الأول[٢].

---

[١] مقال "حديث"، "جوينبول"، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ١٣/٣٩٠.

[2] Cf. James Robson, "The *Isnād* in Muslim Tradition", (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society*. Glasgow. 15, 1953-54, 15-26), p. 18.

[3] Joseph Schacht, *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, p. 163.

[٤] جوزيف هورفتز "Joseph Horvitz" (١٨٧٤-١٩٣١): مستشرق ألماني تولى تدريس اللغة العربية في جامعة عليكرة بالهند (١٩٠٧-١٩١٤م)، وكان متخصصا في الإسلام في الهند وخبيرا بالمخطوطات لدى الحكومة. نشر كتاب المغازي للواقدي، والجزأين الأولين من الطبقات الكبرى لابن سعد (١٩٠٤-١٩١٨م). انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٤٣٢-٤٣٣؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٦٢١-٦٢٢. وانظر ترجمة له في المبحث الخامس من هذا البحث.

والمستشرقون في زعمهم عدم وجود منهج لرواية الأحاديث في القرن الهجري الأول يتجاهلون تعاليم القرآن والسنة وما حوته من أصول وآداب للرواية ونقل الأخبار عامة[٣]، والأمر عند نقل سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام أكثر خطورة وأشد، لأن في ذلك تبليغا عن الله عز وجل ورسوله ﷺ. كما أن في زعمهم هذا تجاهلا لواقع عملية الرواية في ذلك العصر، وما أثر عن الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، الذين تربوا على منهج القرآن والسنة في تحمل الروايات وأدائها، وطبقوا هذا المنهج وأفادوا منه في عملية رواية الأحاديث، وحفظها سالمة من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل[٤].

ويمكن إجمال أصول الرواية في عهد الصحابة والتابعين فيما يأتي[٥]:

١- تجنب الكذب في الحديث.
٢- عدم الإكثار من الرواية.
٣- الحرص على عدالة الراوي.
٤- الحرص على ضبط الراوي.
٥- استخدام الإسناد في الرواية.
٦- المذاكرة.
٧- مراعاة أهلية طالب الحديث.
٨- اختيار الوقت المناسب للرواية.

---

[1] Cf. James Robson, "The *Isnād* in Muslim Tradition", p. 19.

[٢] المرجع السابق، ص٢١. انظر مناقشة لآراء المستشرقين حول نشأة الإسناد في دراسات في الحديث النبوي، للدكتور الأعظمي، ٣٩٣/٢ وما بعدها؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، ص٩٤ وما بعدها.

[٣] انظر دراسة للباحث، بعنوان "ضوابط الرواية في ضوء القرآن الكريم"، تثبت وجود أصول وضوابط دقيقة لعملية الرواية تحفظها من الخطأ والتحريف. (مجلة "معالم القرآن والسنة"، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، السنة الأولى، العدد الأول، ٢٠٠٥م)، ص١٦٩-٢٠٩.

[٤] انظر مناقشة تفصيلية لادعاء المستشرقين افتقار عملية الرواية في صدر الإسلام إلى المنهج العملي، في كتاب للباحث بعنوان:

- Fathiddin Beyanouni, *Methodology of Learning and Evaluating Hadīth in the First Century of Islam*, Research Center, International Islamic University Malaysia, 2006, pp. 2-11, 25-32, 53-70.

[٥] المرجع السابق، ص٥٣-٧٠.

المطلب الرابع: شبهة تأخر ظهور منهج نقد الروايات.

إن مسألة نشأة علوم الحديث عامة ومنهج النقد عند المحدثين خاصة، تمثل أحد النقاط الرئيسة التي توقف عندها الكتاب الغربيون على وجه الخصوص. فبينما يذهب علماء المسلمين إلى وجود منهج دقيق لدراسة الروايات ونقدها منذ صدر الإسلام، وأن علم أصول الحديث الشريف نشأ مع ظهور الحاجة إليه وتطور بتطورها، يرى كتاب الغرب أن الأمر لم يكن كما يصوره علماء المسلمين.

فهم يزعمون أن علم أصول الحديث المشتمل على مبادئ النقد وقواعده لم يبدأ في الظهور إلا في وقت متأخر، بعد أن اختلط الصحيح بالسقيم، والأصيل بالدخيل، بل بعدما غلبت سمة الوضع على الروايات الحديثية، بحيث لم يعد ممكنا التمييز بين الصحيح والموضوع[1]. ويؤرخ المستشرق روبسون لنشأة هذه القواعد والضوابط بقوله: ومع بداية القرن الهجري الثاني ظهر نظام صارم للحكم على الروايات بناء على نقد أسانيدها، وحذر علماء الحديث من الرواة غير الثقات، إلا أن هذا النظام كان في مراحله الأولى آنذاك، وبحاجة إلى التطوير والترتيب[2].

ومن نتائج ما ذهب إليه المستشرقون من تأخر ظهور منهج نقد الروايات ما يأتي:

١ -زعمهم عدم قدرة قواعد علم الحديث على التمييز بين الصحيح والموضوع من الروايات، وذلك بسبب الانتشار الواسع للروايات الموضوعة قبل ظهور تلك القواعد، الأمر الذي جعل التعرف على الأحاديث الصحيحة شبه مستحيل. فالمستشرق جوزيف شاخت يصرِّح بعدم كفاءة منهج النقد عند المحدثين بقوله: إن من المسلَّم به بشكل عام أن منهج نقد الروايات الذي يمارسه علماء المسلمين غير واف، ومع أن كثيرا من الأحاديث الموضوعة قد تم التخلص منها بواسطته، فإن كتب الحديث المعترف بها تحوي عددا كبيرا من الأحاديث التي لا يمكن أن تكون صحيحة[3].

---

[1] Cf. James Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 98.
[2] Cf. James Robson, "Tradition, the second foundation of Islam", p. 27; James Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 92; Muhammad b. ‘Abd-Allah al-Khatīb al-Tibrīzī, *Mishkat al-Masabih*, (English translation with explanatory notes, by James Robson), 4 vols., Lahore, 1963-65, the introduction, by the translator, p. 6.
[3] Schacht, Joseph, *The origins of Muhammadan jurisprudence*, p. 4.

ويتحدث المستشرق جيمس روبسون عن مدى فاعلية قواعد علوم الحديث وقدرتها على التمييز بين الروايات، فيقول: إن هذا النظام النقدي الصارم ظهر بعد فوات الأوان، فقد تم وضع الكثير من الروايات، كما تم نشر تلك الروايات المختلقة عن طريق تزويدها بأسانيد موثوقة، لا يمكن الشك فيها[١].

٢ -تشبيههم علم أصول الحديث ونقد الروايات –والذي كان من أروع ما ابتكره المسلمون في مجال الدراسات النقدية– بواجهة فخمة تزين مبنى غير مستقر الدعائم والأصول. فالمستشرق روبسون يصرح بأن علم مصطلح الحديث، بتفاصيله الدقيقة والمتنوعة أشبه ما يكون بواجهة فخمة تزين صرح علم الحديث الذي لم يبن على أسس سليمة وثابتة، كما قد يوحي مظهره العام[٢]. وبهذا يجرد المستشرقون علم أصول الحديث من أهميته، وأثره في الحفاظ على الأحاديث النبوية الشريفة سالمة من أي تحريف أو زيادة أو نقص.

٣ -التشكيك في روايات الحديث عامة. فقد صرح المستشرقون بالتشكيك بالحديث الشريف في معظم كتاباتهم حوله، بحيث لا تكاد تخلو منه دراسة من دراساتهم حول علم الحديث، ومن ذلك قول المستشرق جيمس روبسون: "إن البحث عن مواد قد تكون أصيلة بين الروايات الحديثية يواجه صعوبة بالغة، فمع أن المرء لا يجرؤ على التصريح بعدم وجود مثل هذه المواد، فإن البحث عنها في هذه الكمية الضخمة من الروايات أشبه بالبحث عن إبرة معدنية في كومة من القش"[٣].

والمستشرقون في زعمهم عدم وجود منهج لدراسة الأحاديث ونقدها في القرن الهجري الأول يتجاهلون تعاليم القرآن والسنة وما أشارت إليه من قواعد لدراسة الروايات ونقدها، فقد حوت نصوص الكتاب والسنة أصول منهج نقد الأخبار وقواعده الرئيسة، والتي أفاد منها الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، كما أفاد منها علماء الحديث بعدهم في

[1] Cf. James Robson, "The material of Tradition I", p. 169.
[2] Cf. James Robson, "Standards applied by Muslim traditionists", p. 479.
[3] James Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 98.

دراسة الأحاديث ونقدها، وتشييد بنيان علم أصول الحديث[1]. فلم يكد ينقضي القرن الأول الهجري حتى ظهرت معالم منهج دقيق لنقد الروايات، يمكن إجمالها فيما يأتي[2]:

١- السؤال عن الإسناد.
٢- التأكد من عدالة الراوي.
٣- التأكد من ضبط الراوي.
٤- نقد متن الحديث.

المطلب الخامس: دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث.

تعد دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث أو الاكتفاء بالنقد الخارجي (نقد السند)، وعدم الاهتمام بالنقد الداخلي (نقد المتن)، للحكم على الحديث بالقبول أو الرد، إحدى المنطلقات الرئيسة لدراسات المستشرقين في السنة النبوية، تكاد تتفق عليها كتاباتهم وأبحاثهم حول السنة النبوية. فهم يزعمون أن منهج نقد الروايات عند المحدثين لم يكن شاملا بحيث يغطي سند الحديث ومتنه، وإنما كان مقتصرا على العناية بسند الحديث، فمتى صح الإسناد حكم المحدثون بصحة الحديث، دون العناية بالنقد الداخلي للحديث، والذي يختص بدراسة المتن وتحليله للتعرف على مدى صحته ومناسبته للعصر الذي ينسب إليه.

ولعل من أوائل من أظهر دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث، المستشرق وليم موير[3]، حين تحدث عن نقاد الحديث، فقال: "إنهم كان يكفيهم لصحة الحديث أن يكون رواته عدولا مع اتصال السند إلى الصحابي، ولو كان المضمون يستبعده العقل. إنهم لم يخوضوا غمار النقد بحرية وشمول، بل تمسكوا بتلك القاعدة الوحيدة، فلم يجرؤوا على نقد الحديث بناء على الشهادات الداخلية"[4].

---

[1] انظر "معالم نقد الروايات في القرآن الكريم"، للباحث، بحث مقدم لملتقى نقد المتن الحديثي، ٢-٣/١٠/٢٠٠٤م، عمّان، الأردن.

[2] Cf. Fathiddin Beyanouni, *Methodology of Learning and Evaluating Hadīth in the First Century of Islam*, pp. 12-24, 33-41, 71-90.

[3] سبقت ترجمته.

[4] انظر "تاريخ تدوين الحديث"، للدكتور محمد زبير صديقي، ص١٥٩، نقلا عن اهتمام المحدثين بنقد الحديث، للدكتور محمد لقمان السلفي، (د.ن، الرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، ص٤٧١.

كما تبنى المستشرق جولدتسيهر هذه الدعوى، وقام بنشرها في مقالاته وكتبه، حيث يقول في معرض حديثه عن منهج نقد الروايات عند المحدثين: "ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا، التي تجد مجالا كبيرا في النظر في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا"[١]. ويؤكد ذلك في موضع آخر فيقول: "فالنقدة المسلمون أنفسهم لم يحتاجوا إلى استعمال كثير من الذكاء لكي يستشفوا أساس هذه الاختلافات التي لا تتفق وظروف الزمان الموجودة في تلك الأخبار، أو تلك الحالات التي تستدعي النظر والتفكير، أو تلك التهم الموجهة إلى صحة قسم كبير من الحديث، عند مقارنة هذه الأخبار المختلفة"[٢].

ويوضح تلك الشبهة في كتاب آخر، فيقول: "إن وجهات النظر المعتمدة في النقد الإسلامي للسنة –بغض النظر عن موضوعية بعض الأفراد– لم تكن قادرة على تنقية الأحاديث إلا من بعض الاختلاقات الواضحة جدا، فالنقد الإسلامي يعتمد على عوامل شكلية للحكم على الأحاديث، يتم من خلالها دراسة الأحاديث ونقدها بناء على الشكل الخارجي للحديث. وبناء على ذلك فإن صحة المتن تعتمد على صحة الإسناد، فمتى كان الإسناد –الذي نقلت به فكرة مستحيلة أو متناقضة– ناجحا في اختبار النقد الشكلي، بحيث يقدم سلسلة كاملة من الرواة الموثوقين، مع إمكان لقاء كل منهما بالآخر، فإن الحديث يعد عند ذلك صحيحا، ولا يُسمح لأحد بالقول: أشك في صحة الإسناد لأن متن الحديث يتضمن استحالة منطقية أوتاريخية"[٣].

[١] العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدتسيهر، ص٤١-٤٢.

[٢] المرجع السابق، ص٤٥.

[3] Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), vol. 2, pp. 140f.

ويقول في موضع آخر من هذا الكتاب: "يقف النقد الإسلامي فاترا أمام المناقضات التاريخية الواضحة، مادام الإسناد صحيحا، والامتياز النبوي لمحمد [ﷺ] كان وسيلة للتغلب على مثل هذه المشكلات"[١].

وبما أن النتائج التي توصل إليها هذا المستشرق تعد عند كثير من المستشرقين نتائج حاسمة ونهائية[٢]، فقد تناقل هذه الدعوى عدد من المستشرقين بعده، فها هو المستشرق "ليون كايتاني"[٣]، يعيد نشر هذه الشبهة، في نهاية الفقرة الخامسة عشرة من المجلد الأول من كتابه "تاريخ الإسلام"[٤]، ويعلل انصراف علماء الحديث عن نقد متن الحديث بقوله في الفقرة الثامنة عشرة: "إن علماء الحديث والنقاد المسلمين انتقدوا الأسانيد، واجتنبوا نقد المتن، لأنهم رأوا أن نقد المتن يؤدي بهم إلى نقد الصحابة، وهذا يعني هدم أساسيات الإسلام"[٥].

وهكذا انتشرت هذه الدعوى في كتب المستشرقين[٦] حتى أضحت منطلقا رئيسا لكتاباتهم في علم الحديث.

---

[١] المرجع السابق، ص١٤١.

[٢] انظر تاريخ التراث العربي، فؤاد سيزكين، ترجمة: محمود فهمي حجازي، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ١/١/١١٧.

[٣] ليون كايتاني "L. Caetani" مستشرق إيطالي (١٨٦٩-١٩٢٦)، من أشهر المستشرقين في التاريخ الإسلامي. رحل إلى الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان، وهو يجيد سبع لغات منها الفارسية والعربية. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١/٤٢٩-٤٣٠.

[4] L. Cetani, *Islam Tarihi*, Mut.Hueyin Cahid, Istanbul, 1924, vol.1, p. 85.
والكتاب ترجمة باللغة التركية لكتابه "الحوليات الإسلامية" باللغة الألمانية، وقد ترجم لي هذا النص الأستاذ الدكتور أحمد سعاد يلدرم.

[٥] المرجع السابق، ١/٩٢-٩٣. وهذا النص من ترجمة الأستاذ الدكتور أحمد سعاد يلدرم.

[٦] نحو المستشرق غاستون ويت، انظر السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٢٤٥؛ والمستشرق الأمريكي ألبرت كنت كراج "A. K. Cragg"، انظر دائرة المعارف البريطانية"، (*The new Encyclopedia Britannica*, Chicago, 1768)، ٨/٥٢٧؛ والمستشرق نويل كولسون "N. J. Coulson"، انظر في تاريخ التشريع الإسلامي، ترجمة: د. محمد أحمد سراج، (دار العروبة، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص١٣٥.

والمستشرقون في ادعائهم اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث، يتجاهلون الجهود الكبيرة التي بذلها العلماء النقاد، في نقد الروايات الحديثية سندا ومتنا، حيث أعطوا كل جانب من جوانب الحديث –السند والمتن– ما يستحقه من الدراسة والتحقيق. لقد كانت عناية المحدثين بالسند كبيرة جدا، وذلك نظرا لطبيعة الحديث وكونه نوعا من أنواع الوحي، فلا يمكن مقارنته مع غيره من كلام البشر، أو دراسته ونقده من خلال مناهج لا تنسجم مع طبيعته. كما أن نقد سند الحديث يتصل اتصالا وثيقا بنقد متن الحديث، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فهما معا يشكلان المنهج المتكامل في نقد الروايات عند المحدثين [١].

ومع ما بذله المحدثون من جهد واسع في دراسة الأسانيد، فإنهم لم يغفلوا دراسة المتن، بل إن الإمام ابن القيم أفرد كتابا مستقلا في بيان القواعد والمقاييس التي يمكن من خلالها الحكم على الحديث من خلال دراسة متنه، ودون النظر إلى إسناده[٢]. فلم يكتف المحدثون بالنقد الشكلي للحديث اعتمادا على نقد سنده، بل نبهوا إلى ضرورة التحقق من صحة المتن وإن صح سنده. فمن القواعد المسلَّمة عندهم أن صحة السند شرط من شروط

---

[١] انظر في مناقشة هذه الشبهة في: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور السباعي، ص٢٦٩–٢٧٩؛ ومنهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين عتر، (دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٤٦٧؛ وعناية المحدثين بمتن الحديث كعنايتهم بسنده، للدكتور محمود بن أحمد الطحان، (مكتبة دار التراث، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)؛ ومقاييس نقد متون السنة، للدكتور مسفر الدميني، (الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)؛ واهتمام المحدثين بنقد الحديث، للدكتور محمد لقمان السلفي؛ ومنهج مقارنة الروايات عند المحدثين، للباحث، (رسالة ماجستير، قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٨١–١١٢.

[٢] انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

صحة الحديث، ولكنها لا توجب صحته، فقد يصح الإسناد أو يحسن دون المتن بسبب شذوذ أو علة في متنه. يقول الإمام ابن الجوزي في بيان هذه القاعدة: "وقد يكون الإسناد كله ثقات، ويكون الحديث موضوعا، أو مقلوبا، أو قد جرى فيه تدليس، وهذا من أصعب الأمور، ولا يعرف ذلك إلا النقاد"[1].

المطلب السادس: عدم الثقة برواة الحديث من الصحابة والتابعين.

الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان هم الذين نقلوا إلينا سنة النبي ﷺ، ولذلك لا نعجب إذا رأينا سهام بعض المستشرقين قد توجهت إليهم، وعملت على التشكيك في مصداقيتهم. ويُعد المستشرق لامانس[2] مثالا صارخا للمستشرقين الذين اهتموا بتشويه صورة النبي ﷺ وصحابته رضوان لله عليهم. وقد بين آتيين دينيه جنوح لامانس وانحرافه في هذا المجال، بدليل أنه إذا تحدث عن النبي ﷺ وأصحابه، لم يسلم أحد من غمزاته وطعناته، أما إذا تحدث عن أعداء الإسلام، كأبي جهل وأبي لهب والمنافقين، فإنه يشيد بهم ويمدحهم[3].

وقد كان للصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ من شبهات المستشرقين النصيب الأكبر، ولعل ذلك لكونه أكثر الصحابة رواية، فعملوا على كيل التهم له، والتشكيك فيما رواه من الأحاديث والآثار. يقول المستشرق جولدتسيهر: "ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائما، قد أثار الشك في قلوب الذين أخذوا عنه مباشرة، والذين لم يترددوا في

---

[1] الموضوعات، للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد بن عثمان، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة)، ١/٩٩-١٠٠.

[2] سبقت ترجمته.

[3] انظر مقال "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، ص٩٢؛ ومقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١٢٨، ١٤٠.

التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساحر. كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك، وقد وصفه "شبرنجر" بأنه المتطرف في الاختلاق ورعا"[1].

أما في جيل التابعين، فلم يسلم الإمام الزهري كذلك من اتهام المستشرقين له بالوضع، حيث يزعم المستشرق جولدتسيهر أن عبد الملك بن مروان أوكل إليه وضع حديث يشرع فيه الحج إلى بيت المقدس، وذلك خوفا من أخذ عبد الله بن الزبير البيعة من أهل الشام الذين يحجون إلى بيت الحرام في مكة، فوضع له حديث: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى)[2].

وقد سبقت الإشارة إلى اتهام المستشرق ثيودر جوينبول رواة الحديث عامة بوضع الحديث، حيث يزعم أنهم استباحوا لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبي ﷺ، لكي تتفق وآراء العصر[3].

---

[1] مقال "أبو هريرة"، للمستشرق جولدتسيهر، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ٢٦/٢. وانظر مقال "حديث" في الدائرة نفسها، للمستشرق ثيودر جوينبول، ٣٩٣/١٣. وانظر ردا على هذا الاتهام وغيره في تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على مقال "حديث" في دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى العربية، ٤٠٤/١٣-٤٠٥؛ والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور السباعي، ص٣٢٠-٣٧٣؛ ودفاع عن أبي هريرة، لعبد المنعم صالح العلي (دار القلم، بيروت، ١٩٨١م)؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، ١٩٧-٢٠٥. وتجدر الإشارة إلى أن دائرة المعارف في طبعتها الجديدة باللغة الإنجليزية قد استبدلت بهذا المقال عن أبي هريرة، مقالا آخر من إعداد المستشرق جيمس روبسون، انتقد فيه اتهام شبرنجر لهذا الصحابي الجليل بالوضع. انظر:

- *The Encyclopaedia of Islam*, new edition, vol. 1, P. 129.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم: ١١٣٢، ٣٩٨/١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، واللفظ له، حديث رقم: ١٢٩٧، ١٠١٤/٢.

[3] انظر مقال "حديث"، "جوينبول"، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ٣٩٠/١٣.

ومن نتائج عدم ثقة المستشرقين برواة الحديث من الصحابة والتابعين تشكيكهم في روايات الحديث، حتى أصبح ذلك أمرا مشتركا فيما بينهم، فالمستشرق جولدتسيهر -مثلا- ينص على أن الجزء الأكبر من الأحاديث إنما هو نتيجة للتطور الديني والتاريخي والاجتماعي للإسلام خلال القرنين الأول والثاني الهجري، وبناء على ذلك لا يمكن أن يعد الحديث النبوي وثيقة تاريخية تعكس الواقع الديني في صدر الإسلام[١].

وهكذا يتهم المستشرقون الصحابة والتابعين بوضع الحديث، ويعممون هذا الوصف على المجتمع المسلم بشكل عام. وقد أشرت فيما سبق إلى أن السبب في وصولهم إلى هذه النتيجة، اعتمادهم على خطأ منهجي يتمثل في الاستقراء الناقص وتعميم نتائجه[٢]. فهذا الوصف الذي رمى به المستشرقون الصحابة وعلماء التابعين يصدق على طوائف "الزنادقة"، و"الزهاد"، و"القُصَّاص"، إضافة إلى بعض الجهلة من أتباع الفرق والمذاهب المختلفة، لكنه لا يعكس واقع جهود المحققين من المحدثين وموقفهم من الحديث الشريف، وقيامهم بالحفاظ عليه من الآثار السلبية لتلك الطوائف. وبذلك يتجاهل المستشرقون أبسط قواعد البحث العلمي المنصف ونتائجه، التي تشهد بالأمانة العالية للصحابة وعلماء التابعين، وغيرهم من الرواة الثقات، حيث كان التحري في الرواية وخشية الوقوع في الخطأ، معلما رئيسا من معالم منهج الرواية عندهم.

[1] Ignaz Goldziher, *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), vol. 2, p. 19.

[٢] انظر ما سبق من الكلام حول اعتماد المستشرقين منهج الاستقراء الناقص، في المبحث الثالث من هذا البحث.

المبحث الخامس

تعريف بأشهر المستشرقين المهتمين بعلم الحديث

يعرف هذا المبحث بأشهر المستشرقين المهتمين بدراسة علم الحديث الشريف في العصر الحديث، الذين كانت وفاتهم في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أو في القرن العشرين، إضافة إلى بعض المستشرقين المعاصرين الذين كان لهم اهتمام واضح بهذا العلم. وفيما يأتي عرض لتراجمهم مرتبة حسب تاريخ الوفاة لمن توفي منهم، أو حسب تاريخ الميلاد أو الحصول على شهادة الدكتوراه بالنسبة للمعاصرين، مع التركيز على جهودهم في علم الحديث.

١- **المستشرق شبرنجر** "Aloys Sprenger" (١٨١٣-١٨٩٣م)[١]:

مستشرق نمساوي الأصل بريطاني الجنسية. حصل على درجة الماجستير في اللاهوت من جامعة ليدن "Leyden" بهولندا، برسالة عنوانها: أصول الطب العربي في عهد الخلافة. أرسلته شركة الهند الشرقية إلى الهند طبيبا (١٨٤٢م)، وولته الحكومة رئاسة الكلية الإسلامية في دلهي، عام ١٨٤٤م، وظل في هذا المنصب لمدة أربع سنوات. وكان قد بدأ خلال إقامته في الهند في إعداد كتاب "حياة محمد"، بعد أن سافر إلى مصر والشام والعراق للاطلاع على المخطوطات المتعلقة بالسيرة النبوية. وقد صدر القسم الأول من هذا الكتاب في الهند، عام ١٨٥١م، بعنوان: "*Life of Mohammad from original sources*". وفي عام ١٨٥٧م غادر الهند نهائيا وعاد إلى بلاده، حيث عُين أستاذا للغات الشرقية في جامعة بِرن "Bern".

وقد أصدر خلال عمله في الجامعة كتاب: حياة محمد وتعاليمه "*Leben und Lehre des Mohamed*"، في ثلاثة أجزاء، باللغة الألمانية، ويبدو أنه الكتاب نفسه الذي كان قد شرع في كتابته أثناء إقامته في الهند. ويعد هذا الكتاب أهم إنتاج علمي للمستشرق شبرنجر لاعتماده على المصادر العربية المتعلقة بالسيرة النبوية، يبدأ الجزء الأول منه بالحديث عن الحركات الدينية في شمال الجزيرة العربية، قبل النبي ﷺ، ويبدأ الجزء الثاني بالهجرة إلى الحبشة، بينما يبدأ الجزء الثالث بعرض للنظم الدينية والسياسية في المدينة المنورة قبل الهجرة

---

[١] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٢٧٧-٢٧٨؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور بدوي، ص٢٨-٣٢.

وحتى معركة بدر الكبرى. ومع أهمية هذا الكتاب في أوساط المستشرقين، واشتهار المؤلف به، إلا أنه حافل بالأحكام المسبقة، والتصورات الزائفة، فهو بعيد عن الإنصاف والموضوعية، وفيه تحامل على النبي ﷺ، وتأثر بتصورات من سبقه من المستشرقين في تفسير ظاهرة الوحي، وتصور عدد من أحداث السيرة، مع محاولة للحط من أثر النبي ﷺ في نشر رسالة الإسلام، ووصفه بالضعف والتساهل، مقابل تعظيم لجهود الصحابيين الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في إخضاع العرب وتأسيس الدولة الإسلامية[1].

ومن آثار هذا المستشرق نشره لكتاب إرشاد القاصد لابن الأكفاني (١٨٤٩م)، وهو أول من نشر كتاب الإتقان للسيوطي، والإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (١٨٥٦-١٨٧٣م)، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، واصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشاني، المطبوع في كلكتا، عام ١٨٤٤م، كما كتب عددا من المقالات في السنة النبوية.

٢- **المستشرق كريل** "Ludolf Krehl" (١٨٢٥-١٩٠١م)[2]:

مستشرق ألماني، وهو ابن لأستاذ علم اللاهوت البروفيسور أوغست كريل " August Krehl" (١٧٨٤-١٨٥٥م). تخرج في جامعة لايبزيغ "Leipzig" على يد المستشرق هاينرتش فلايشر[3]، وتعلم اللغات الشرقية في باريس، ثم تابع دراسته في سان بطرسبرغ، وحصل على الدكتوراه في الدراسات الشرقية، عام ١٨٤٦م. عُين أمينا للمكتبة الملكية في

---

[1] انظر موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٣١-٣٢.

[2] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٣٧٦؛ وموقع جامعة لايبزيغ على الإنترنت:
(http://www.uni-leipzig.de/unigeschichte/professorenkatalog/leipzig/Krehl_1260), 7/3/2011.

وموسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:
http://de.wikipedia.org/wiki/Ludolf_Krehl_(Orientalist), 12/1/2011.

[3] هاينرتش فلايشر "Heinrich Leberecht Fleischer" (١٨٠١-١٨٨٨م): مستشرق ألماني، أحد مؤسسي الدراسات العربية الحديثة في ألمانيا، وواحد من أشهر المستشرقين زمانه. انظر موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:
(http://de.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Leberecht_Fleischer), 27/3/2011.

درسدن في ألمانيا، عام ١٨٥٢م، ثم عاد إلى جامعة لايبزغ أستاذا للغات الشرقية، وأمينا لمكتبتها الجامعية، عام ١٩٦١م. شغل منصب عميد كلية الحقوق في جامعة لاييزيغ، عام ١٨٧٦-١٨٧٧م، وأحيل إلى التقاعد عام ١٨٩٩م، بسبب مرض في عينيه.

نشر الأجزاء الثلاثة الأولى من صحيح البخاري (ليدن ١٨٦٢-١٨٧٢م)، ونشر الجزء الرابع المستشرق ثيودر جوينبول (ليدن ١٩٠٨م)، كما نشر الجزأين الأولين من نفح الطيب للمقري (١٨٥٥-١٨٦١م).

٣- **المستشرق وليم موير** "William Muir" (١٨١٩-١٩٠٥م)[١]:

مستشرق بريطاني إسكوتلاندي الأصل، ولد في جلاسجو، ودرَس الحقوق في جامعتي جلاسجو وإدنبره، ودرَّس في جامعة إدنبره، ثم عُين رئيسا لها. واشتغل في الإدارة المدنية لشركة الهند الشرقية، فأمضى فترة طويلة في الهند في مناصب إدارية رفيعة، من عام ١٨٣٧-١٨٧٦م، حتى أصبح السكرتير الخارجي لحكومة الهند عام ١٨٦٥م، ونائب الحكومة للولايات الشمالية الغربية عام ١٨٦٨م. تعلم اللغة العربية أثناء عمله الإداري وعني بالتاريخ الإسلامي، وكان شديد التعصب للنصرانية، وشارك في أعمال التنصير التي تقوم بها البعثة التنصيرية العاملة في أكرا بشمال الهند.

دعاه بفاندر إلى أن يكتب كتابا في السيرة النبوية ليعين البعثة التنصيرية في عملها، فنشر عدة مقالات في مجلة كلكتا "*Calculta Review*" في عامي ١٨٦٣-١٨٦٤م، تناول فيها تاريخ العرب قبل الإسلام، ومصادر السيرة النبوية، وحياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى الهجرة، كتبها بروح متعصبة بعيدة عن الموضوعية، وبهدف ديني تنصيري. وقد جمع تلك المقالات وأصدرها في كتاب ضخم في أربعة مجلدات، بعنوان: حياة محمد وتاريخ الإسلام "*The life of Mahomet and History of Islam*"، في لندن، عام ١٨٥٦-١٨٦١م.

[١] انظر تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية، برنارد لويس، ص٣٠؛ والمستشرقون، للعقيقي، ٥٩/٢؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٣٩-٤٠؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور بدوي، ص٥٧٨-٥٧٩.

كانت له عناية خاصة بالتاريخ الإسلامي، حيث أعد فيه كتابا بعنوان حوليات الخلافة "*Annals of the Caliphate*" تناول فيه عصر الخلفاء الراشدين وعصر بني أمية، ثم أضاف إليه عصر الدولة العباسية إلى عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م، وطبعه طبعة ثانية في لندن، بعنوان: الخلافة، نشأتها وانحطاطها وسقوطها "*The Caliphate, its Rise, Decline and Fall*"، وتسود هذا الكتاب نزعة تنصيرية شديدة التعصب[١].

ومن أبحاثه كذلك: القرآن: تأليفه وتعاليمه (١٨٧٧م)، والجدال مع الإسلام (١٨٩٧م). وتعد مؤلفاته عن الرسول ﷺ وعن التاريخ الإسلامي من المراجع التي يرجع إليها في الجامعات الإنجليزية والهندية إلى اليوم.

٤- **المستشرق إجناس جولدتسيهر** "Ignaz Goldziher" (١٨٥٠-١٩٢١م)[٢]:

مستشرق يهودي مجري يعد أستاذ المستشرقين ورائدهم في مجال الدراسات الإسلامية، ولد في مدينة اشتولفيسنبرج من بلاد المجر في أسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير. قضى سني دراسته الأولى في بودابست، وتخرج في جامعة ليبتسك، وكان أستاذه في الدراسات الشرقية المستشرق فلايشر[٣]، وعلى يديه حصل جولدتسيهر على درجة الدكتوراه، عام ١٨٧٠م. ثم عاد إلى بودابست، وعين مدرسا مساعدا في جامعتها، عام ١٨٧٢م، وأرسل في بعثة دراسية إلى الخارج، فارتحل إلى الشرق عام ١٨٧٣م، فأقام في القاهرة مدة، ثم سافر إلى سوريا وجالس الشيخ طاهر الجزائري مدة، ثم رحل إلى فلسطين، وعاد بعد ذلك إلى جامعة بودابست أستاذا للغات السامية، عام ١٨٩٤م.

---

[١] انظر موسوعة المستشرقين، للدكتور بدوي، ص٥٧٨.

[٢] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣/٤٠-٤٢؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور بدوي، ص١٩٧-٢٠٣.

[٣] سبقت ترجمته.

كان باكورة أبحاثه في العلوم الإسلامية كتاب الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم، الذي ظهر عام ١٨٨٤م، تناول فيه أصول المذاهب الفقهية المختلفة، والصلة بين تلك المذاهب ومذهب الظاهرية، والفروق التي بينها. ولعل أشهر كتبه وأهمها كتاب دراسات إسلامية، الذي صدر في جزأين، عام ١٨٨٩-١٨٩٠م، تحدث في الجزء الأول منه عن الوثنية والإسلام، عارضا للصراع القوي بين الروح الوثنية الجاهلية وبين الروح الإسلامية، الذي انتهى بانتصار الروح الإسلامية التي تنادي بالمساواة بين الأجناس، وتنكر عصبية الدم، وتنزع نزعة الديمقراطية. أما الجزء الثاني من الكتاب فقد خصص معظمه لدراسة علم الحديث، وكان مقدمة لسلسلة خطيرة من الأبحاث التي تلته في هذا الموضوع، حيث عرض لتاريخ الحديث وتطوره، ورأى فيه مصدرا لمعرفة الاتجاهات السياسية والدينية والروحية عامة التي وجدت في الإسلام في مختلف العصور. كما تحدث في هذا الجزء عن تقديس الأولياء في الإسلام، وطبيعة هذا التقديس، وصلته بالتصورات الوثنية.

ومن أبحاثه المشهورة كذلك كتاب محاضرات في الإسلام، المطبوع بمدينة هيدلبرغ، عام ١٩١٠م، ولعله الكتاب المترجم بعنوان: العقيدة والشريعة في الإسلام؛ وكتاب اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين أو مذاهب التفسير الإسلامي، المطبوع بمدينة ليدن، عام ١٩٢٠م. وكان قد نشر قبل ذلك كتاب المعمَّرين لأبي حاتم السجستاني، عام ١٨٩٩م، وقدم له ببحث في هذا النوع من المؤلفات، ذكر فيه من كتب كتبا من هذا النوع باللغة اليونانية، أمثال لوقيان وفليجون.

وقد ذكر الدكتور السباعي المستشرق جولدتسيهر في معرض حديثه عن تشكيك المستشرقين بالسنة، فقال: "ولعل أشد المستشرقين خطرا، وأوسعهم باعا، وأكثرهم خبثا وإفسادا في هذا الميدان هو المستشرق اليهودي المجري جولدتسيهر"[١].

[١] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور مصطفى السباعي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص١٨٩.

٥- **المستشرق ثيودر نولدكه** "Th. Noldeke" (١٨٣٦-١٩٣٠م)[١]:

مستشرق ألماني مشهور، وشيخ المستشرقين الألمان، ولد في مدينة هاربورج "Harburg"، في أسرة عريقة شغل أفرادها مناصب علمية وإدارية كبيرة، وهي أسرة واسعة الانتشار في شمال غرب ألمانيا. حصل على درجة الدكتوراه برسالة عن تاريخ القرآن، عام ١٨٥٦م، وبعدها تنقل خارج ألمانيا، فذهب إلى فيينا وبعدها إلى ليدن عام ١٨٧٥، حيث المخطوطات العربية الوفيرة، والأساتذة المستشرقون المشهورون، نحو دوزي[٢]، وثيودر جوينبول. ثم انتقل إلى برلين وعكف على مخطوطاتها.

كانت تساوره فكرة الانتقال إلى الشرق، غير أن هذه الرغبة لم تتحقق، فلم يرحل إلى البلاد العربية والإسلامية مطلقا، رغم أن تخصصه وعمله كله يتعلق بلغات تلك البلاد وآدابها وتاريخها وجغرافيتها، وطالما اعتراه الندم على عدم تمكنه من التعرف على الشرق بنفسه.

أقبل على دراسة الشعر العربي القديم، مستعينا بما نسخه من مخطوطات إبان رحلاته في أوروبا، وكان ثمرة ذلك عدة مقالات جمعت في كتابه: أبحاث لمعرفة شعر العرب القدماء. ثم بدأ يهتم اهتماما خاص بالنحو العربي والنحو المقارن للغات السامية، وكان يتقن ثلاث لغات: العربية والسريانية والعبرية.

عيِّن أستاذا في جامعة ستراسبورج عام ١٨٧٢م، وأحيل إلى التقاعد عام ١٩٠٦، وبقي في هذه المدينة يتابع أبحاثه ويلقي المحاضرات العلمية حتى عام ١٩٢٠م، على الرغم من الدعوات المتكررة التي جاءته من جامعات برلين وفيينا وليبتسك، وكانت تلك الفترة الطويلة

---

[١] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣٧٩/٢-٣٨٠؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور بدوي، ص٥٩٥-٥٩٨؛ والمستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، جمع وإعداد صلاح الدين المنجد، (دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨م)، ١١٥/١-١٢٤.

[٢] دوزي "R. P. A. Dozy" (١٨٢٠-١٨٨٣م): مستشرق هولندي من أسرة فرنسية، عُين أستاذا للعربية في جامعة ليدن (١٨٥٠-١٨٧٨م). كتب عن ابن رشد وابن بطوطة، وله آثار علمية كثيرة. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣٠٨/٢-٣١٠.

التي بلغت قريبا من نصف قرن هي فترة استقرار مكانته ودراساته. وقد أصبحت مدينة ستراسبورغ بفضل جهود هذا المستشرق مركزا للدراسات الشرقية على مستوى العالم. بعد ذلك انتقل إلى مدينة كالرزروهه فأقام فيها مع ابنه إلى أن توفي، وقد قضى تلك الفترة في يقظة فكرية تامة.

له كتاب تاريخ النص القرآني تحدث فيه عن الحديث النبوي، وهو في الأصل رسالته للدكتوراه، عمل على تطويرها والتوسع فيها مستعينا بأحد تلاميذه. كما أعان شبرنجر في تأليف كتابه حياة محمد، وأسهم في نشر تاريخ البلدان للطبري (١٨٨٦-١٩٠١م). وله بحث بعنوان: الكلمات الشرقية في اللغة الألمانية، ١٩٢٠، ١٩٢٤م.

أصدر أول ترجمة كاملة لألف ليلة وليلة باللغة الألمانية في ستة أجزاء، عام ١٩٢١-١٩٢٨م، ١٩٥٢-١٩٥٤م. كما أسندت إليه كتابة معظم المواد المتعلقة بالشرق والشرقيين في دائرة المعارف البريطانية، ودائرة معارف الكتاب المقدس. وقد بلغ عدد منشوراته العلمية ما يقارب السبعمائة بحث أو رسالة تتعلق بلغة الشرق وآدابه وتاريخه ودياناته.

٦- **المستشرق جوزيف هورفتس** "Joseph Horovitz" (١٨٧٤-١٩٣١م)[١]:

مستشرق ألماني تعلم في جامعة برلين، وعُين مدرسا فيها عام ١٩٠٢م. عمل مدرسا للغة العربية في كلية عليكرة الإسلامية في الهند، عام ١٩٠٧-١٩١٤م، وكان متخصصا في الإسلام في الهند وخبيرا بالمخطوطات لدى الحكومة. وحين عاد إلى ألمانيا عين مدرسا للغات السامية في جامعة فرانكفورت، واستمر في هذا المنصب من عام ١٩١٤م حتى وفاته عام ١٩٣١م.

كان عضوا في مجلس إدارة الجامعة العبرية في القدس، منذ إنشائها عام ١٩٢٥، وهو الذي أنشأ قسم الدراسات الشرقية فيها، وصار مديرا له، واقترح القيام بجمع الشعر العربي القديم في الجاهلية وصدر الإسلام. كانت رسالته للدكتوراه الأولى عن كتاب المغازي للواقدي، عام ١٨٩٨م، وتولى تحقيق جزئين من كتاب طبقات ابن سعد يتعلقان بغزوات النبي ﷺ.

---

[١] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٤٣٢-٤٣٣؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٦٢١-٦٢٢. وموسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:
(http://en.wikipedia.org/wiki/Josef_Horovitz), 2/3/2011.

تركز اهتمامه في فترة أستاذيته في جامع فرانكفورت على الدراسات المتعلقة بالقرآن والسيرة النبوية، ومن أشهر مؤلفاته كتاب مباحث قرآنية "*Koranische Untersuchungen*"، الذي نشر عام ١٩٢٦م، وفيه شيء من المغالاة وعدم الموضوعية. له مقالان حول المصادر الأولى للسيرة النبوية ومؤلفيها[١]، وقد طبعا في كتاب مستقل بعنوان: "*The earliest biographies of the prophet and their authors*"، في ١٥٨ صفحة، عام ٢٠٠٢م[٢]. وله مقالان آخران حول نشأة الإسناد، الأول بعنوان: " Origin and Reliability of the Isnad: The antiquity and origin of the Isnad"؛ والثاني بعنوان: "Further on the origin of the Isnad"[٣]، وقد زعم فيهما أن نشأة الإسناد عند المسلمين تأثرت بما كان معروفا في النصوص اليهودية، محاولا إثبات ذلك بما وقف عليه من أدلة تؤيد ذلك حسب رأيه.

٧- **المستشرق فنسنك** "A. J. Wensinck" (١٨٨٢-١٩٣٩م)[٤]:

مستشرق هولندي أتقن اللغات السامية، وخلف سنوك هرجرونيه في كرسي العربية عام ١٩٢٧م حتى وفاته. كان أول إنتاجه العلمي رسالته التي حصل بها على الدكتوراه بعنوان: محمد واليهود في المدينة "*Mohammed en de Joden te Medina*" باللغة الهولندية، عام ١٩٠٨م.

---

[1] J. Horovitz: “The Earliest Biographies of the Prophet and Their Authors", translated from the German by Marmaduke Pickthall, *Islamic Culture*, vol 1, 1927, pp.535-559; vol. 2, 1925, pp. 22-50, 164-182 and 495-523.

[2] Josef Horovitz, *The earliest biographies of the prophet and their authors*, Lawrence I. Conrad, Darwin Press in Princeton, N.J., 2002.

[٣] نشر هذان المقالان في كتاب الحديث: النشأة والتطور، ضمن سلسلة صياغة العالم الإسلامي التقليدي، ج٢٨: *Hadith: Origins and Developments*, (The Formation of the Classical Islamic World Series, vol. 28), Edited by Harald Motzki, Ashgate Publishing, Aldershot, U.K. 2004.

[٤] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٣١٩-٣٢٠؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور بدوي، ص٤١٧-٤١٨؛ والإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، للندوي، ص١٤.

وفي عام ١٩١٦م أعلن عن عزمه على وضع معجم مفهرس بحسب الألفاظ، وبالترتيب الهجائي للأحاديث الواردة في الكتب الستة وفي مسند الإمام الدارمي ومسند الإمام أحمد وموطأ الإمام مالك، وذلك في مجلة ("*ZDMG*" ج٧٠، ص٥٧٠). وقد استعان لإنجاز هذا العمل بثمانية وثلاثين باحثا من مختلف البلدان، وأعانته ماليا أكاديمية العلوم في أمستردام ومؤسسات هولندية أخرى وعدد من أكاديميات البلاد الأوروبية. وقد بدأ العمل في هذا المعجم سنة ١٩٢٣م، بالتعاون مع ثيودر جوينبول وجوزيف هورفتس وغيرهم. وفي عام ١٩٤٢م أصبح هذا المشروع تحت رعاية الاتحاد الأكاديمي الدولي. وقد نشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في سبعة مجلدات في ليدن (١٩٣٦-١٩٦٩م).

والمستشرق فنسنك هو صاحب فهرس الموضوعات للحديث النبوي حسب حروف المعجم الذي نشر عام ١٩٢٧م، والذي نقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي باسم "مفتاح كنوز السنة"، عام ١٩٣٤م.

ومن آثاره كذلك: العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخي، باللغة الإنجليزية؛ وفِكر الغزالي باللغة الفرنسية.

٨- **المستشرق ثيودر جوينبول** "Th. W. Juynboll" (١٨٦٦-١٩٤٨م)[١]:

مستشرق هولندي، تخرج في جامعة ليدن، بدأ بدراسة القانون، ثم درس اللغة العربية على يد المستشرق خويه[٢] وله اهتمام خاص بعلمي الحديث والفقه، وهو كاتب مقال حديث

---

[١] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣١٧/٢؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٦٣٥.

[٢] ما يكل دي خويه "Michael Jan de Goeje" (١٨٣٦-١٩٠٩م): مستشرق هولندي، تخرج في جامعة ليدن وتخصص في الدراسات الشرقية على يد المستشرق ثيودر جوينبول "Th. W. Juynboll" (١٨٦٦-١٩٤٨م)، والمستشرق رينهارت دوزي "Reinhart Pieter Anne Dozy " (١٨٢٠-١٨٨٣م)، وحصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٦٠م، برسالة بعنوان: نموذج من الكتابات الشرقية في وصف المغرب، مأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي، حيث نشر فيها النص العربي للكتاب، مع ترجمة لاتينية، وإيضاحات جغرافية وتاريخية. ترقى إلى درجة الأستاذية في جامعة ليدن عام ١٨٦٩م، وأحيل إلى التقاعد عام ١٨٦٩م، وعمل بعد ذلك على تحقيق المصنفات التاريخية والجغرافية العربية. فقد أشرف وشارك في تحقيق تاريخ الإمام الطبري، حيث وضع خطة للعمل، ووزع العمل بين مجموعة من المستشرقين،

في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها القديمة، والتي تم ترجمة بعض أجزائها إلى العربية. حصل على درجة الدكتوراه برسالتين، الأولى بعنوان: القواعد العامة لمذهب الشافعي في الرهن، مع بحث عن نشأته وتأثيره في الهند الهولندية، عام ١٨٩٣م؛ والثانية بعنوان: الارتباط التاريخي بين المهر في الإسلام وبين الطابع القانوني للزواج في الجاهلية، عام ١٨٩٤م.

نشر الجزء الرابع من صحيح البخاري (١٩٠٨م)، استكمالا لجهد المستشرق كريل الذي نشر الأجزاء الثلاثة الأولى (١٨٦٢م). وكان من المفترض أن يصدر مجلدا خامسا يشتمل على مقدمة وإلحاقات وتصحيحات وفهارس ومعاجم، ولكنه لم يصدر.

وفي ميدان الفقه الإسلامي أصدر كتاب المدخل إلى معرفة الشريعة الإسلامية بحسب مذهب الشافعي، عام ١٩٠٣م، قدم فيه عرضا نقديا لمصادر التشريع الإسلامي. كما نشر كتاب الخراج ليحيى بن آدم عام ١٨٩٦م.

٩- **المستشرق وليم مارسه** "William. Marcais" (١٨٧٤-١٩٥٦م)[١]:

مستشرق فرنسي من ذوي الثقافات الواسعة والميل إلى فقه اللغات عامة وفقه اللغة العربية خاصة، وله اهتمام خاص باللغة البربرية واللهجة العربية المغربية. اختارته حكومة الجزائر مديرا لمدرسة تلمسان وأستاذا فيها، عام ١٨٩٨م، وعندما انتقل إلى باريس عُيِّن في مدرسة الدراسات العليا الملحقة بالسوربون، ثم في الكوليج دي فرانس عام ١٩٢٧. وهو متقن للغة العربية كتابة وخطابة، وكان يتردد على تونس أسابيع في كل سنة لإلقاء دروس بالعربية.

=كما تولى بنفسه قسما كبيرا منه، وراجع تحقيقات زملائه، وتوج عمله بمجلدين يشتملان على مقدمة، ومعجم، وفهارس، وقد صدر العمل في ثلاثة عشر مجلدا أصليا ومجلدين ملحقين، وذلك في ليدن، عام ١٨٧٩-١٩٠١م. كما حقق ونشر مجموعة فريدة من كتب الجغرافيا العربية في ثمانية مجلدات، ضمن سلسلة بعنوان: مكتبة الجغرافيين العرب، عام ١٨٧٠-١٨٩٤م. انظر موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٢٣٠-٢٣٧؛ وموسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:
(http://en.wikipedia.org/wiki/Michael_Jan_de_Goeje), 13/1/2011.

[١] انظر المستشرقون، للعقيقي، ١/٢٥١-٢٥٢؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٥٤٧.

نشر كتاب التقريب للإمام النووي (١٩٠١م)، وترجم جامع الأحاديث للبخاري في أربعة أجزاء (١٩٠٢-١٩١٤م). له آثار كثيرة يتناول معظمها اللغة العربية والأدب العربي، ومن ذلك: أصول النثر الأدبي العربي ١٩٢٧م؛ وكيف تعَرَّب شمال إفريقيا، ١٩٣٩م؛ والمعاجم العربية، ١٩٤٠م؛ والمرأة في ألف ليلة وليلة، ١٩٤٦م.

١٠- **المستشرق ألفرد جليوم** "Alfred Guillaume" (١٨٨٨م-١٩٦٥م)[١]:

مستشرق إنجليزي تخرج في جامعة أكسفورد، حيث درس اللاهوت واللغات الشرقية، وعمل في فرنسا ومصر، وكان أستاذ اللغة العربية في معهد الدراسات العربية والإفريقية في جامعة لندن، ورئيس قسم دراسات الشرق الأوسط في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن. ثم أصبح أستاذا زائرا للغة العربية في جامعة برينستون في نيوجيرسي. وخلال الحرب العالمية الثانية دعاه المجلس الثقافي البريطاني ليكون أستاذ زائرا في الجامعة الأمريكية ببيروت، حيث وسع دائرة معارفه من المسلمين.

انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق، عام ١٩٤٩م، وفي بغداد، عام ١٩٥٠م، وعمل أستاذا زائرا للغة العربية في جامعة برنستون، عام ١٩٥٥-١٩٥٧م، كما اختارته جامعة استانبول ليكون أول محاضر أجنبي في النصرانية والإسلام.

من آثاره: كتاب الحديث في الإسلام الذي نشره باللغة الإنجليزية في أكسفورد، عام ١٩٢٤م، بعنوان: " *The traditions of Islam: an introduction to the study of the Hadith literature*"؛ وأثر اليهودية في الإسلام (١٩٢٧م)؛ وكتاب الإسلام، "*Islam*" الذي طبع عام ١٩٥٠م؛ وكتاب حياة محمد، وهو ترجمة لسيرة ابن

---

[١] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/١١٧-١١٨؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٣٦٦-٣٦٨؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٤٨-٤٩؛ وموسوعة ويكيبيديا على الإنترنت: (http://en.wikipedia.org/wiki/Alfred_Guillaume)، ٢٠١١/٤/٣م. وانظر مقالا في نعيه في مجلة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية، وقد اعتمدت عليه في تحديد تاريخ وفاته: (*Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London,* vol. 29, 2, 1966).

إسحاق، وقد نشره عام ١٩٥٥م في أكسفورد، بعنوان: " *The Life of Muhammad.* A translation of Ishaq's *"Sirat Rasul Allah"*"؛ وأضواء جديدة على حياة محمد "*New Light on the Live of Muhammad*"، المنشور عام ١٩٦٠م.

١١- **المستشرق جوزيف شاخت** "Joseph Schacht" (١٩٠٢-١٩٦٩م)[١]:

مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي، حصل على الدكتوراه من جامعة برسلاو عام ١٩٢٣م، ثم عين مدرسا في جامعة فرايبورغ غرب ألمانيا. وفي عام ١٩٣٤م انتدب للتدريس في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) لتدريس فقه اللغة العربية واللغة السريانية، بقسم اللغة العربية في كلية الآداب، واستمر أستاذا فيها إلى أن انتقل إلى لندن عام ١٩٣٩م، مع بداية الحرب العالمية الثانية، حيث عمل في الإذاعة البريطانية (BBC) لحساب بريطانيا وحلفائها، ضد وطنه ألمانيا. ولم تكافئه بريطانيا على ذلك، فلم يعين أستاذا في الجامعات البريطانية، بل دَرَس في جامعة أكسفورد، وحصل على الماجستير عام ١٩٤٨م، والدكتوراه عام ١٩٥٢م. وانتقل بعد ذلك إلى هولندا حيث عين أستاذا في جامعة ليدن عام ١٩٥٤م، إلى أن غادرها إلى نيويورك عام ١٩٥٩م، حيث عين أستاذا في جامعة كولومبيا، واستمر في هذا المنصب إلى تاريخ وفاته.

عمل محاضرا في الدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد وليدن والجزائر وغيرها، وشارك خلال عمله في ليدن في الإشراف على الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية، وانتخب عضوا في مجامع وجمعيات عديدة، منها المجمع العربي بدمشق.

يعد خليفة المستشرق جولدتسيهر في مجال الدراسات الإسلامية، وقد كان لآرائه أثر كبير في كتابات من جاء بعده من المستشرقين، ومن أشهرها نظريته في تطور الأسانيد التي سبق الحديث عنها في المباحث السابقة.

---

[١] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٤٦٩/٢-٤٧١؛ وموسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص٢٥٢.

له آثار كثيرة ومتنوعة بين دراسة وتحقيق وتأليف، كما كانت له عناية بدراسة بعض المخطوطات الموجودة في إستانبول والقاهرة. كما نشر عدة مخطوطات فقهية، نحو كتاب الحيل والمخارج للخصاف، عام ١٩٢٣م، وكتاب الحيل في الفقه لأبي حاتم القزويني، عام ١٩٢٤م، وكتاب المخارج في الحيل للشيباني، عام ١٩٣٠م، وكتاب اختلاف الفقهاء للطبري.

من أشهر مؤلفاته كتاب نشأة الفقه الإسلامي، في ٣٥٠ صفحة، ركز فيه على دراسة مذهب الإمام الشافعي، اعتمادا على كتاب الرسالة، ونشره عام ١٩٥٠م. كما ألف مدخلا إلى الفقه الإسلامي، باللغة الإنجليزية، وطبع في أكسفورد عام ١٩٥٦م. هذا بالإضافة إلى عدد من الأبحاث العلمية المتعلقة بالفقه الإسلامي.

١٢- **المستشرق يوهان فوك** "Johann W. Fuck" (١٨٩٤-١٩٧٤م)[١]:

مستشرق ألماني بدأ دراساته في جامعة هاله مع المستشرق كارل بروكلمان عام ١٩١٣م، ثم انتقل إلى فرانكفورت، وهناك نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة، ببحث أدبي تاريخي عن ابن اسحق مؤلف سيرة النبي ﷺ " *Muhammad Ibn Ishaq, Literachistorische Untersu chungen*"، بإشراف المستشرق جوزيف هورفتس، عام ١٩٢١م. لبى دعوى للقيام بالتدريس لمدة خمس سنوات في دكا عاصمة جمهورية بنجالادش حالياً، عام ١٩٣٠-١٩٣٥م، ثم عاد إلى مدينة هاله في ألمانيا أستاذاً لفقه اللغات السامية والعلوم الإسلامية بجامعتها، عام ١٩٣٨م، إلى أن تقاعد عام ١٩٦٢م.

[١] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٤٦٣/٢-٤٦٤؛ ومقال "عرض تأريخ الإسلام وحضارته في مؤلفات كارل بروكلمان ويوهان فوك" للأستاذ الدكتور مانفريد فلايشهامر "Manfred Fleischhammer"، (مجلة التراث العربي، دمشق العدد الثامن، السنة الثانية، تموز "يوليو" ١٩٨٢م)، (http://awu-dam.org/trath/08/turath8-022.htm)، ٢٠١١/٣/١٢م؛ وموسوعة ويكيبيديا على الإنترنت (http://de.wikipedia.org/wiki/Johann_F%C3%BCck)، ٢٠١١/٣/١٢م.

يعد من أشهر المستشرقين الدارسين للقرآن الكريم والأدب العربي القديم، وقد تم اختياره عضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما منحته الحكومة الألمانية جائزة الدولة، عام ١٩٥٦م، تقديرا لجهوده العلمية.

من أشهر مؤلفاته كتاب "الدراسات العربية في أوروبا إلى بداية القرن العشرين " *Die arabischen Studien in Europa bis in den Anfang des 20. Jahrhunderts*"، الذي نشر عام ١٩٥٥م. وقد رسم في هذا الكتاب صورة واضحة لتطور الدراسات الاستشراقية، وعرض فيه الآراء المختلفة حول الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، ابتداء من العصور الوسطى في أوروبا، ومرورا بعصر الإصلاح الديني والتنوير والرومانسية، إلى بدايات القرن العشرين الميلادي. وقد نشر هذا الكتاب باللغة العربية بعنوان: تاريخ حركة الاستشراق، عام ١٩٩٦م.

نشر عددا من المقالات في المجلات العلمية، من أشهرها ما يأتي:

- "أصالة النبي العربي"[1]، عام ١٩٣٦م، وفيه تحليل نقدي للكتابات الاستشراقية في السيرة النبوية، التي كانت تسعى إلى إثبات تبعية النبي محمد ﷺ للديانتين السماويتين اليهودية والنصرانية، مع محاولة لإنصاف شخصية النبي ﷺ وتعاليمه التي جاء بها، والدفاع عن أصالته وأهمية تعاليمه، والتأكيد على أن الاستمرار والنجاح اللذين أتيحا للإسلام وحضارته عبر القرون خير دليل على أصالة التجديد الذي دخل التاريخ بظهور النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

- "دور النقل في الإسلام"[2]، عام ١٩٣٩م، وفيه بيان لأهمية مبدأ النقل في تاريخ الإسلام وتوضيح فعاليته. ويقصد المستشرق فوك بالنقل نظرة المسلم الدائمة إلى السنة النبوية وإلى مبدأ الأسوة الحسنة، على أنهما خير دليل يجب اتباعه في الحياة، مؤكدا كون هذا المبدأ أحد العوامل الرئيسة في الوحدة الشاملة للحضارة الإسلامية على الرغم من اختلاف الزمان والمكان.

---

[1] J. Fuck, "Die Originalitat des arabischen Propheten", *Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, 90, 1936.

[2] J. Fuck, "Die Rolle des Traditioalismus im Islam", *Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, 93, 1939.

- "محمد: شخصية وتأسيس دين"[1]، عام ١٩٥١م، تناول هذا المقال مجموعة من المسائل المتعلقة بأصالة النبي ﷺ، مع التأكيد على الملامح التي تميز بها الرسول ﷺ والدين الإسلامي الذي بشر به.

وقد أشار العقيقي إلى ثلاثة أبحاث لهذا المستشرق في علم الحديث، وهي: الحديث، عام ١٩٣٥م؛ وحديث البخاري، عام ١٩٣٨م[2]؛ ومكانة المحدثين في الإسلام، عام ١٩٣٩م. ولم أقف على أية معلومات عن البحثين الأول والثالث.

١٣- **المستشرق جيمس روبسون** "James Robson" (١٨٩٠-١٩٨١م)[3]:

مستشرق بريطاني إسكوتلاندي من مدينة جلاسكو في بريطانيا، حصل على شهادة الدكتوراه من كلية الثالوث في جامعة جلاسجو، ومنح شهادة الدكتوراه الفخرية في الإلهيات من جامعة سينت أندروز. عمل مساعدا لأستاذ كرسي الدراسات العبرية في جامعة جلاسكو، عام ١٩١٥-١٩١٦م، كما درّس اللغة الإنجليزية في لاهور عام ١٩١٨-١٩١٩م، وعُيِّن محاضرا للغة العربية في جامعة جلاسكو عام ١٩٢٨-١٩٤٨م، وشغل منصب أستاذا الدراسات العربية في جامعة مانشستر عام ١٩٤٩-١٩٥٨م.

التحق بجمعية الشبان النصارى في الهند وبلاد ما بين النهرين، عام ١٩١٦-١٩١٨م، وشارك في الحملة التنصيرية في اليمن، عام ١٩١٩-١٩٢٦م. كما كان عضوا في

---

1 J. Fuck, "Muhammed - Personlichkeit und Religionsstiftung", *Saeculum*, III, 1951.

2 Johann Fück, "Beiträge zur Überlieferungsgeschichte von Buhārīs Traditionssammlung", *Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, 92, 1938, pp. 60-87.

وقد ترجم هذا البحث إلى اللغة الإنجليزية بعنوان: " On the transmission of Bukhari's collection of traditions" ونشر في كتاب: التعليم والتعلم في صدر الإسلام، " *Education and Learning in the Early Islamic World*"، الذي نشر في فرنسا عام ٢٠١١م.

3 Cf. "*Who's Who*", an annual biographical dictionary, London, A&C Black Publisher Ltd., 1981; "*Who Was Who*", vol. viii, (1981-1990), London, A&C Black Publisher Ltd., 1991; "*The Writers Directory*" (1974-76), London, St. James Press; New York, St. Martin's Press, 1973.

الجمعية الاستشراقية في جامعة جلاسكو، عام ١٩٢٢-١٩٧٤م، وأمينا عاما لها، عام ١٩٥٩-١٩٦٨م، وعضوا في الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا، عام ١٩٣٣-١٩٧٩م، وعضوا في هيئة تحرير مجلة العالم الإسلامي، المتخصصة في الدراسات الإسلامية والعلاقات الإسلامية النصرانية في الماضي والحاضر، عام ١٩٤٧-١٩٨٠م.

له عناية خاصة بعلم الحديث، فقد عمل على تحقيق كتاب المدخل إلى علم الحديث، للإمام الحاكم، وترجمه إلى اللغة الإنجليزية[١]، ونشره عام ١٩٥٣م. كما ترجم كتاب مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، ونشره في أربعة مجلدات عام ١٩٦٣-١٩٦٥م[٢]. وهو كاتب مقال "حديث" وغيره من المقالات المتخصصة في علم الحديث في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية.

وقد نشر هذا المستشرق ثمانية عشر بحثا متخصصا في علم الحديث باللغة الإنجليزية في عدد من الدوريات العلمية المتخصصة في الدراسات العربية والإسلامية، وهي كما يأتي: رواية صحيح مسلم، عام ١٩٤٩م[٣]؛ الحديث الأصل الثاني في الإسلام، عام ١٩٥١م[٤]؛ والحديث: نقد وتصنيف، عام ١٩٥١م[٥]؛ ومواد الحديث (الجزء الأول)، عام ١٩٥١م[٦]؛

[1] Al-Ḥākim al-Naysabūrī, *al-Madkhal fī ‘ilm al-Ḥadīth*. being *al-Madkhal ilā ma‘rifat al-Iklīl*, edited with introduction, translation and notes by James Robson. (The Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, London 1953).

[2] al-Tibrīzī, Muḥammad b. ‘Abd Allah al-Khaṭīb. *Mishkat al-masabih*, (English translation with explanatory notes, by James Robson.), 4 vols, Lahore, 1963-65.

[3] James Robson, "The transmission of Muslim’s Sahīh". *Journal of the Royal Asiatic Society*, London, 1949, pp. 46-60.

[4] James Robson, "Tradition, the second foundation of Islam". *The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 22-33.

[5] James Robson, "Tradition: investigation and classification". *The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 98-112.

[6] James Robson, "The material of Tradition I". *The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 166-80.

ومـواد الحـديث(الجـزء الثـاني)، عـام ١٩٥١م[1]؛ والحـديث النبـوي: مسـألة الأصـالة، عـام ١٩٥٢م[2]؛ وروايـة سـنن أبي داود، عـام ١٩٥٢م[3]؛ والإسـناد في الحـديث، عـام ١٩٥٣م[4]؛ وروايـة جـامع الترمـذي، عـام ١٩٥٤م[5]؛ والغـزالي والسـنة، عـام ١٩٥٥م[6]؛ واسـتخدام ابـن إسحاق للإسناد، عام ١٩٥٥م[7]؛ وصورة الحديث عند المسلمين، عام ١٩٥٦م[8]؛ ورواية سنن النسائي، عام ١٩٥٦م[9]؛ ورواية سنن ابن ماجه، عام ١٩٥٨م[10]؛ والمقاييس المستخدمة من قبل المحدثين، عـام ١٩٦١م[11]؛ وحـديث الآحـاد، عـام ١٩٦٤م[12]؛ وأنـواع الحـديث الحسـن، عام ١٩٦٦م[13]؛ والأحاديث القدسية عند الشيعة، عام ١٩٦٨م[1].

---

1 James Robson, "The Material of Tradition II". *The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 257-70.

2 James Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity". *Memoirs and proceedings of the Manchester Literary & Philosophical Society (Manchester Memoirs)*, 93, 1951/52, pp. 84-102.

3 James Robson, "The Transmission of Abū Dāwūd's Sunan". *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*. London, 14, 1952, pp. 579-88.

4 James Robson, "The Isnād in Muslim Tradition". *Transactions of the Glasgow University Oriental Society*, Glasgow, 15, 1953-54, pp.15-26.

5 James Robson, "The Transmission of Tirmidhī's Jāmi'". *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, London, 16, 1954, pp. 258-70; *Islamic Literature*, 7, (5), 1955, pp. 39-52.

6 James Robson, "al-Ghazalī and the Sunna". *The Muslim World*, Hartford, 45, 1955, pp. 324-333.

7 James Robson, "Ibn Ishāq's use of the Isnād". *Bulletin of the John Rylands Library*, Manchester, 38, 1955/56, pp. 449-65.

8 James Robson, "The Form of Muslim Tradition". *Transactions of the Glasgow University Oriental Society*, Glasgow, 16, 1955/56, pp. 38-50.

9 James Robson, "The Transmission of Nasā'ī's Sunan". *Journal of Semitic Studies*, Manchester, 1, 1956, pp. 38-59.

10 James Robson, "The Transmission of Ibn Mājah's Sunan". *Journal of Semitic Studies*, Manchester, 3, 1958, pp. 129-41.

11 James Robson, "Standards applied by Muslim traditionists". *Bulletin of the John Rylands Library*, Manchester, 43, 2, 1961, pp. 459-79.

12 James Robson, "Varieties of the Hasan Tradition". *Journal of Semitic Studies*, Manchester, 6, 1966, pp. 47-61.

13 James Robson, "Tradition from individuals". *Journal of Semitic Studies*, Manchester, 9, 1964, pp. 327-40.

وقد عمل الباحث على حصر تلك المقالات ودراستها خلال إعداده لرسالة الدكتوراه في جامعة جلاسجو، بريطانيا، عام ١٩٩٠-١٩٩٤م[٢].

ويعد المستشرق جيمس روبسون من أكثر المستشرقين إنصافا واعتدالا، ودراساته في الحديث أكثر عمقا ممن سبقوه وممن جاؤوا بعده على السواء. ويعود ذلك إلى دراسته لمسائل علوم الحديث دراسة تفصيلية، ومن ذلك دراسته لمسألة الإسناد، كما خصص جزءا من أبحاثه لدراسة صحيح الإمام مسلم وكتب السنن الأربعة[٣]. وقد سبقت الإشارة إلى أن نظرة التشكيك في الأحاديث عنده أخف مما هي عند أسلافه، وإلى مخالفته المستشرق شاخت في مسألة نشأة الإسناد.

١٤- **المستشرق إميل درمنجهم** "Emile Dermenghem" (١٨٩٢م-؟؟؟)[٤]:

مستشرق فرنسي معاصر ولد في باريس، وتخصص في الدراسات اللاهوتيه والفلسفية، وعمل بوزارة الخارجية الفرنسية، وأجرى بعض الدراسات في تاريخ المسيحية وحياة الرهبنة. وحين انتقل إلى الجزائر وعمل مديراً لمكتبتها، حدث التحول في حياته، حيث اتسعت ثقافته لتشمل تاريخ الإسلام، وتعامل مباشرة مع الثقافة الإسلامية في مصادرها الأولى، حتى صار

---

[1] James Robson, "A Shīʻa collection of divine traditions". *Transactions of the Glasgow University Oriental Society*, Glasgow, 22, 1967/68, pp. 1-13.

[٢] أعدت الرسالة في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة جلاسجو، في بريطانيا، ١٩٩٤م، بإشراف الأستاذ الدكتور جون ماتوك "J. N. Mattock"، وكانت بعنوان: الحديث وعلومه في صدر الإسلام، دراسة نقدية لفهم غربي.

Hadith and its Principles in the Early Days of Islam: A Critical Study of a Western Approach.

[٣] انظر التعليقات النقدية على كتاب دراسات محمدية، للدكتور الصِّدّيق بشير نصر، ص٦٤-٦٥.

[٤] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣٤٨/١. وانظر "إميل درمنجم.. زلات حب"، حلمي النمنم، (جريدة الاتحاد الإماراتية، ٢٠٠٩/١١/١٢م):

(http://www.alittihad.ae/details.php?id=36451&y=2009),20/4/2011.

واحداً من المستشرقين المتميزين في المعرفة والكتابة عن تاريخ الإسلام والمسلمين. شُغل بأوضاع الجزائر ومنطقة شمال إفريقيا، فأصدر كتاب قصص من فاس، عام ١٩٢٦م، وفي عام ١٩٤٩م أصدر ذكريات الأمير عبدالقادر، قائد المقاومة الجزائرية عام ١٨٣٠م ضد الفرنسيين.

من أشهر مؤلفاته كتاب حياة محمد، الذي يقول فيه مقدمته: "أردت أن أؤلف سيرة ناطقة صادقة للنبي، مستندا إلى أقدم المصادر العربية، غير غافل عما جاء في المؤلفات الحديثة، وقد شئت أن أرسم للنبي صورة مطابقة لما وصف به في كتب السيرة، ولما يجول في نفوس أتباعه". وقد طبع هذا الكتاب في باريس عام ١٩٢٩م، وأعيد طبعه عام ١٩٥٠م، وقد ترجمه إلى العربية الكاتب الفلسطيني محمد عادل زعيتر[1]، ونشر بالقاهرة عام ١٩٤٥م، ثم أعيد نشره في الستينيات من القرن الماضي، كما نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ١٩٨٨م.

وقد كان هذا الكتاب ملهماً للدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد، الذي صدر عام ١٩٣٥م، وفقد قرأه بالفرنسية فور صدوره، ثم بدأ كتابة تعليقات عليه في صحيفة السياسة الأسبوعية التي كان يترأس تحريرها، ثم وضع كتاباً كاملاً يحمل العنوان نفسه. ويعد هذا الكتاب أهم الكتب التي ألفها الغربيون عن الرسول ﷺ وأدقها، لكنه لم يخل من زلات في عدة مواطن.

ولهذا المستشرق أيضا كتاب بعنوان: محمد والسنة الإسلامية الذي طبع عام ١٩٥٥م باللغة الفرنسية، وهو مترجم إلى اللغة الإنجليزية. كما نشر مجموعة من الأبحاث في المجلات العلمية، يتعلق كثير منها بالتصوف الإسلامي، وبعض رموزه.

---

[1] عادل بن عمر بن حسن زعيتر (١٨٩٥-١٩٥٧م) شيخ المترجمين العرب، وأحد أبرز المفكرين العرب في القرن العشرين. انظر ترجمة له مفصلة في موقع موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت: (http://ar.wikipedia.org)، ٢٠١١/١/٢م.

١٥- **المستشرقة نابيا أبوت** "Nabia Abbott" (١٨٩٧-١٩٨١م)[١]:

مستشرقة معاصرة ولدت في تركيا، وانتقلت مع أسرتها إلى الهند، حيث درست في المدارس البريطانية، وبقيت في الهند حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وبعدها عاشت فترة في العراق، ثم غادرتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وفي عام ١٩٣٣م أصبحت أول عضو هيئة تدريس أنثى في معهد الدراسات الشرقية، في جامعة شيكاغو، وكانت متخصصة في فك رموز البرديات الإسلامية المبكرة.

ألفت سبعة كتب، ونشرت عشرات المقالات في المجلات العلمية، ولها اهتمام كبير بالتاريخ الإسلامي والمخطوطات الإسلامية، وشيء من الاهتمام بعلم الحديث.

من مؤلفاتها: عائشة حبيبة محمد [ﷺ]، والذي نشرته مطبعة جامعة شيكاغو، في ٢٣٠ صفحة، عام ١٩٤٢م؛ وطبع بعد ذلك أكثر من مرة؛ عام ١٩٧٣م، ١٩٨٥م، ١٩٩٨م.

ومن مقالاتها المتخصصة في علم الحديث، مقال: تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي، الذي نشر في كتاب دراسات في أوراق البردي العربية في الأدب العربي، عام ١٩٦٧م[٢]؛ ومقال جمع الحديث وروايته، الذي نشر في كتاب التراث الإسلامي إلى نهاية عصر بني أمية، الذي نشرته جامعة كامبردج، عام ١٩٨٣م[٣].

---

[١] انظر ترجمة مختصرة لها في موقع مكتبة الأمازون على الإنترنت:

(http://www.amazon.com/Aisha-Beloved-Mohammed-Nabia-Abbott/dp/0863560075), 28/3/2011.

[2] Nabia Abbott, "Early Development of Written Tradition", *Studies in Arabic Literary Papyri II: Qur'anic Commentary and Tradition* (University of Chicago Press, 1967)

[3] Nabia Abbott, "Collection and trasnmision of Hadīth", *Arabic literature to the end of the Umayyad period*, (The Cambridge history of Arabic Literature [I]), Cambridge, 1983, pp. 289-298.

١٦- **المستشرق جيرارد ليكومت** "Gerard Lecomte" (١٩٢٦-١٩٩٧م)[١]:

مستشرق فرنسي معاصر، حصل على شهادة الدكتوراه في الآداب، عام ١٩٦٥م، وكان أستاذ اللغة العربية في المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية، وأستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة السوربون، كما شغل منصب رئيس تحرير مجلة أربيكا، وشارك في صياغة مشروع الموسوعة الإسلامية. عني بدراسة الإمام ابن قتيبة ومصنفاته، فتناول شخصيته ومصنفاته وأفكاره، ونشر كتاب إصلاح الأغلاط لابن قتيبة، مع مقدمة وتعليق، عام ١٩٦٨م.

وكتاباته كثيرة منها: الاستشهاد بالعهدين القديم والجديد في مصنفات ابن قتيبة، وهو منشور في مجلة أرابيكا، عام ١٩٥٨م؛ والوصية المنسوبة إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المنشور في مجلة الدراسات الإسلامية، عام١٩٦٠م؛ واللغة العربية والحضارة الحديثة، المنشور في مجلة المدرسة الوطنية للغات الشرقية، عام ١٩٦٤م؛ وابن قتيبة: الرجل ومصنفاته وأفكاره، وهو من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق عام ١٩٦٥م؛ وقضية أبي عبيد: خواطر عن الأخطاء التي ينسبها إليه ابن قتيبة، المنشور في مجلة أرابيكا، عام ١٩٦٥م؛ ومن اختلاف الحديث للشافعي إلى مؤتلف الحديث لابن قتيبة، المنشور في مجلة الدراسات الإسلامية، عام ١٩٦٧م؛ ومصنفات ابن قتيبة في الحديث في القرنين السادس والسابع، وقد نشر في نشرة الدراسات الشرقية، عام ١٩٦٨م.

وله ترجمة لكتاب تأويل مختلف الحديث، للإمام ابن قتيبة، نشرت عام ١٩٦٢م[٢].

---

[١] انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣٧٥/١، وقد ذكره باسم ليكونت. وانظر ترجمة مختصرة له في موسوعة ويكيبيديا باللغة الفرنسية:

(http://fr.wikipedia.org/wiki/G%C3%A9rard_Lecomte), 27/2/2011.

[2] Ibn Qutayba, *Ta'wil mukhtalif al-hadith*, ed. Muhammad Zuhri al-Najjar (Cairo, 1386/1966), 15; trans. Gerard Lecomte, *Le Traite des divergences du hadith d'lbn Qutayba* (Damascus, 1962).

١٧- **المستشرق مئير قسطر** "Meir Jacob Kister" (١٩١٤-٢٠١٠م)[١]:

مستشرق يهودي معاصر ولد في غاليسيا الواقعة في أوكرانيا حاليا، وفي عام ١٩٣٩م انتقل إلى فلسطين بينما بقي والداه في بولندا. درس في الجامعة العبرية عام ١٩٤٠م، وعين ملحقا إعلاميا للحكومة البولندية في دمشق وبيروت، عام ١٩٤٥-١٩٤٦م. ثم عمل مدرسا للغة العربية في إحدى مدارس حيفا، عام ١٩٤٦-١٩٥٨م. وحصل خلال تلك الفترة على شهادة الماجستير، عام ١٩٤٩م، وحصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٦٤م، حيث تخصص في فترة ما قبل الإسلام، وقدم رسالة حول قبيلة تميم، وفي السنة نفسها عين أستاذا في الجامعة العبرية حيث بقي فيها لعدة سنوات. حصل على الأستاذية عام ١٩٧٠م، وكان قد أسس قسم اللغة العربية في جامعة تل أبيب بالتعاون مع البروفسور جدعون غولدنبرغ، عام ١٩٦٩م، كما كان أحد مؤسسي قسم اللغة العربية في جامعة حيفا، وكان تقاعده عام ١٩٨٣م.

أصدر دورية الدراسات الشرقية الإسرائيلية، ودورية دراسات أورشليم في اللغة العربية والإسلام. وأخرج كتاب آداب الصحبة، لأبي عبد الرحمن السلمي، عام ١٩٥٤م. كما أخرج كتاب أنساب الأشراف، للبلاذري، الذي عمل على تحقيقه المستشرق "Max Schloessinger" في الأربعينيات، ونشر الكتاب عام ١٩٧١م، بعد مراجعته والتعليق عليه.

حرر عددا من المواد في دائرة المعارف الإسلامية "*The Encyclopaedia of Islam*" وفي الموسوعة القرآنية "*The Encyclopaedia of Qur'ān*"، وله اهتمام خاص بعلم الحديث، حيث نشر عددا من الأبحاث العلمية يتعلق كثير منها بدراسة الأحاديث النبوية.

ومن مقالاته في علم الحديث: الأثر السياسي والاجتماعي لثلاثة أحاديث في كتاب الخراج ليحيى بن آدم، عام١٩٦٠م[١]؛ ومقال حول حديث (فوالله لا يخزيك الله أبدا)، عام

---

[١] انظر سيرته الذاتية على الإنترنت، على العنوان التالي:
(http://www.kister.huji.ac.il/content/prof-mj-kisters-biography), 13. 3. 20011.

١٩٦٥م[٢]؛ ومقال حول حديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)، عام ١٩٦٩م[٣]؛ ومقال حول حديث (رجب شهر الله)، عام ١٩٧١م[٤]؛ ومقال حول حديث (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، عام ١٩٧٢م[٥]؛ ومقالان حول صحيفة وهب بن منبه، عام ١٩٧٤م[٦]، وعام ١٩٧٧م[٧]؛ ومقال حول حديث (شعبان شهري)، عام ١٩٧٩م[٨]؛ ومقال حول حديث (قلم أظافرك)، عام ١٩٧٩م[٩]؛ ومقال حول التلبية (لبيك اللهم لبيك)، عام ١٩٨٠م[١٠]؛

[1] M. J. Kister, "The Social and Political Implications of Three Traditions in the Kitāb Al-Kharādj of Yahya b. Adam", *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, 3, (1960), 326-34.
[2] M. J. Kister "God will never disgrace thee.' (The interpretation of an early hadīth).' Journal of the Royal Asiatic Society, 1/2, (1965), 27-32. Reprinted in: *Studies in Jāhiliyya and Early Islam*. London: Variorum, 1980: VII.
[3] M. J. Kister, "You Shall Only Set out for Three Mosques'. A Study of an Early Tradition', *Le Muséon*, 82, (1969), 173-96. Reprinted in: *Studies in Jāhiliyya and Early Islam*. London: Variorum, 1980: III.
[4] M. J. Kister, "Rajab Is the Month of God.' A Study in the Persistence of an Early Tradition', *Israel Oriental Studies*, 1 (1971), 191-223. Reprinted in: *Studies in Jāhiliyya and Early Islam*. London: Variorum, 1980: XII.
[5] M. J. Kister, "Haddithū 'an Banī Isrā'īla wa-lā Haraja: A Study of an Early Tradition", *Israel Oriental Studies*, 2, (1972), 215-39. Reprinted in: *Studies in Jāhiliyya and Early Islam*. London: Variorum, 1980: XIV.
[6] M. J. Kister, 'On the Papyrus of Wahb b. Munabbih', *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 37, (1974), 547-71.
[7] M. J. Kister, 'On the Papyrus of Wahb b. Munabbih: An Addendum', *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 40, (1977), 125-27.
[8] M. J. Kister, "'Sha'bān is My Month...". A Study of an Early Tradition', *Studia Orientalia Memoriae D. H. Baneth Dedicate*, Jerusalem, The Magnes Press & Institute of Asian and African Studies, (1979), 63-70. Reprinted in: *Society and Religion from Jāhiliyya to Islam*. Aldershot: Variorum (1990): XI.
[9] M. J. Kister, 'Pare Your Nails: A Study of an Early Tradition', *Journal of the Ancient Near Eastern Society*. Columbia University, (Bravmann Memorial Volume), 11, (1979), 63-70. Reprinted in:
- *Society and Religion from Jāhiliyya to Islam*. Aldershot: Variorum (1990): X.
- *Hadīth: Origins and Developments*. Ed. Harald Motzki. Aldershot: Ashgate (2004), 279-286.
[10] M. J. Kister, 'Labbayka, Allāhumma, Labbayka…' On a Monotheistic Aspect of a Jāhiliyya Practice', *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, 2, (1980), 33-57. Reprinted in: *Society and Religion from Jāhiliyya to Islam*. Aldershot: Variorum (1990): I.

ومقال حول حديث (اللهم اشدد وطأتك على مضر)، عام ١٩٨١م[١]؛ ومقال حول الأحاديث في فضل بيت المقدس، عام ١٩٨١م[٢]؛ والتواضع والسلوك، دراسة في الحديث النبوي، عام ١٩٨٢م[٣]؛ ومقال حول حديث (إلا بحقه)، عام ١٩٨٤م[٤]؛ ومذبحة بني قريظة: إعادة النظر في الحديث، عام ١٩٨٦م[٥]؛ والأساطير في كتب التفسير والحديث: الروايات المتعلقة بخلق آدم، عام ١٩٨٨م[٦]؛ ومقال حول أحاديث النهي عن تشبه المسلمين بغيرهم، عام ١٩٨٩م[٧]؛ وملكية الأراضي وتشريع الجهاد: دراسة لبعض الأحاديث المتعلقة بالموضوع،

[1] M. J. Kister, 'O God, Tighten Thy Grip on Mudar...' Some Socio-Economic and Religious Aspects of an Early Hadīth', *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, 24, (1981), 242-73. Reprinted in: *Society and Religion from Jāhiliyya to Islam*. Aldershot: Variorum (1990): VII.

[2] M. J. Kister, 'A Comment on the Antiquity of Traditions Praising Jerusalem'. *The Jerusalem Cathedra*. Jerusalem, Yad Itzhak Ben Zvi, (1981), 185-6.

[3] M. J. Kister, 'On 'Concessions' and Conduct. A Study in Early Hadīth'. *Studies on the First Century of Islamic Society*. Ed. G.H.A. Juynboll. Carbondale and Edwardsville: Southern Illinois University Press, (1982), 89-107, 214-230. Reprinted in: *Society and Religion from Jāhiliyya to Islam*. Aldershot: Variorum (1990): XIII.

[4] M. J. Kister, "...Illā Bi-Haqqihi...': A Study of an Early Hadīth', *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, 5, (1984), 33-52. Reprinted in: *Society and Religion from Jāhiliyya to Islam*. Aldershot: Variorum (1990): IX.

[5] M. J. Kister, 'The Massacre of the Banū Qurayẓa: A Re-Examination of a Tradition', *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, 8, (1986), 61-96. Reprinted in: *Society and Religion from Jāhiliyya to Islam*. Aldershot: Variorum (1990): VIII.

[6] M. J. Kister, 'Legends in tafsīr and hadīth Literature: The Creation of Ādam and Related Stories', *Approaches to the History of the Interpretation of the Qur'ān*. Ed. Andrew Rippin, Oxford, Clarendon Press, 1988, 82-114.

[7] M. J. Kister, "Do Not Assimilate Yourselves..." La tashabbahu..., *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, 12, (1989), 321-71. Reprinted in:

- *Concepts and Ideas at the Dawn of Islam*. Aldershot: Ashgate (1997): VI.

عام ١٩٩١م[1]؛ و(لا تقرؤوا القرآن على المصحفيين، ولا تحملوا العلم عن الصحفيين): تعليقات حول رواية الحديث، عام ١٩٩٨م[2]؛ وغير ذلك من المقالات المتخصصة في الحديث النبوي[3].

- *Muslims and Others in Early Islamic Society*. Ed. Robert Hoyland. Aldershot: Ashgate (2004): 125-157.

[1] M. J. Kister, 'Land Property and Jihād: A Discussion of Some Early Traditions', *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, 34, no. 3, (1991), 270-311. Reprinted in: *Concepts and Ideas at the Dawn of Islam*. Aldershot: Ashgate, (1997), IV.

[2] Meir J. Kister, 'Lataqraul-Qurana ala mushafiyyin wa-la tahmilu l-ilma ani l-sahafiyyin: Some Notes on the Transmission of Hadith', *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, 1998, 22, 127–62.

[3] Cf. - M. J. Kister, "A Booth Like the Booth of Moses..' a Study of an Early Hadīth", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 25, (1962), 150-55.

- M. J. Kister, "A Bag of Meat': A Study of an Early Hadīth', *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 33, (1970), 267-75. Reprinted in *Studies in Jāhiliyya and Early Islam*. London: Variorum, 1980: VI.

- M. J. Kister, 'Call Yourselves by Graceful Names'. Lectures in Memory of Professor Martin M. Plessner. *Jerusalem: Institute of Asian and African Studies*, The Hebrew University, 1975, 3-25. Reprinted in: *Society and Religion from Jāhiliyya to Islam*. Aldershot: Variorum (1990): XII.

- M. J. Kister, 'Ādam: A Study of Some Legends in Tafsīr and Hadīth Literature', *Israel Oriental Studies*, 13, (1993), 113-74. Reprinted in: *Concepts and ideas at the dawn of Islam*. Aldershot: Ashgate (1997): IX.

- M. J. Kister, 'The Locust's Wing: Some Notes on Locusts in the Hadīth', *Le Muséon*, 106, no. iii-iv, (1993), 347-59. Reprinted in: *Concepts and ideas at the dawn of Islam*. Aldershot: Ashgate (1997): VIII.

- M. J. Kister, '"...And he Was Born Circumcised... ": Some Notes on Circumcision in Hadīth', *Oriens* 34 (1994): 10-30. Reprinted in: *Concepts and Ideas at the Dawn of Islam*. Aldershot: Ashgate (1997): VII.

- M. J. Kister, '"Exert Yourselves, O Banū Arfida!": Some Notes on Entertainment in the Islamic Tradition', *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, 23, (1999), 53-78.

- M. J. Kister, "The Crowns of This Community": Some Notes on the Turban in the Muslim Tradition, *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, 24, (2000), 217-45.

١٨- **المستشرق غوتييه جوينبول** "Gautier. H. A. Juynboll" (١٩٣٥-٢٠١٠م)[١]:

مستشرق هولندي معاصر من أشهر المستشرقين المعاصرين المهتمين بدراسة الإسلام عامة، وعلم الحديث خاصة، بعد جولدتسيهر وشاخت، جعل من جامعة ليدن مقصدا لطلبة الدراسات الإسلامية. وهو ابن المستشرق وليم جوينبول "W. R. Juynboll" المتوفى عام ١٩٧٧م، ينتسب إلى عائلة اشتهر أفرادها بعنايتهم بالدراسات الاستشراقية.

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة ليدن، عام ١٩٦٩م، وعمل في جامعة ليدن في هولندا، وجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، وجامعة إكستر في بريطانيا. وتوفي في منزله في ليدن، يوم الأحد، التاسع عشر من شهر ديسمبر، عام ٢٠١٠م، حسب الخبر المنشور في موقع جامعة ليدن على الإنترنت[٢].

نشر عددا من المقالات في دائرة المعارف الإسلامية، ومن أشهر جهوده في علم الحديث ما يأتي:

- كتاب: أصالة الحديث: مناقشات في مصر الحديثة "*The authenticity of the tradition literature: Discussions in modern Egypt*"، وهو رسالة قدمها لنيل درجة الدكتوراه في جامعة ليدن، وقد طبعت هذه الرسالة في مطبعة بريل في ليدن، عام ١٩٦٩م.

- كتاب: الأحاديث النبوية: دراسات في تاريخ السنة وبواكير التأليف في الحديث، "*Muslim Tradition: Studies in Chronology, Provenance and Authorship of Early Hadith*"، وقد نشر هذا الكتاب عام ١٩٨٣م، ثم أعيد نشره عام ٢٠٠٨م، في ٢٧٣ صفحة.

---

[١] تم اقتباس بعض المعلومات عنه من عدد من المقالات والمكتبات في الإنترنت، ومن سيرة مختصرة لوالده المستشرق وليم جوينبول في الموقع التالي:

(http://www.dictionaryofarthistorians.org/juynbollw.htm), 9/3/2011.

إضافة إلى مقال في نعيه للدكتور ليون بسكنز في موقع جامعة ليدن:

Leon Buskens, "Overlijdensbericht Dr G. H. A. Juynboll (1935-2010)", (http://www.hum.leidenuniv.nl/lucis/actueel/juynboll.html), 9. 3. 2011.

[٢] انظر موقع الجامعة على الإنترنت:

(http://www.hum.leidenuniv.nl/lucis), 10/3/2011.

- ترجمة مقدمة شرح صحيح مسلم، "*Muslim's introduction to his Saḥīḥ*"، والتي نشرت عام ١٩٨٤م، مع تعليقات وملحق حول نشأة مصطلحي الفتنة والبدعة[1].

- كتاب: دراسات في نشأة الحديث الإسلامي واستعمالاته، "*Studies on the Origins and Uses of Islamic Hadith*". جمع المؤلف فيه أحد عشر مقالا حول نشأة الحديث وطريقة توظيف المسلمين له، ونشره عام ١٩٩٦م.

- موسوعة الأحاديث النبوية "*Encyclopedia of the Canonical Hadith*". وهي من أهم جهوده في علم الحديث وأشهرها، حيث ترجم فيها أحاديث الكتب الستة مع أسانيدها، ورتبها ترتيبا أبجديا حسب اسم الراوي. وقد تم نشر هذه الموسوعة عام ٢٠٠٧م، في أكثر من ٨٠٠ صفحة.

هذا بالإضافة إلى عدد من المقالات العلمية، نحو: تاريخ الفتنة الكبرى، عام ١٩٧٣م[2]؛ ومكانة نافع مولى ابن عمر في علم الحديث، عام ١٩٩٣م[3]؛ وشرح بعض طرق

---

[1] "Muslim's introduction to his *Sahīh*", translated and annotated with an excursus on the chronology of *fitna* and *bid'a*, *Jerusalem studies in Arabic and Islam*, 5, 1984, pp. 263-311.

ومن جهوده في الترجمة ترجمة الجزء الثالث عشر من تاريخ الإمام الطبري، المتعلق بفتح العراق وجنوب غرب بلاد فارس ومصر، من عام ١٥-٢٢هـ، إلى اللغة الإنجليزية. وقد نشرته جامعة نيويورك، عام ١٩٨٩م. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن تاريخ الإمام الطبري قد تمت ترجمته كاملا إلى اللغة الإنجليزية في أربعين جزءا (٤٧٠٠ صفحة).

[2] Gautier Juynboll, 'The Date of the Great Fitna', *Arabica*, 1973, 20, 142-59.

[3] G. H. A. Juynboll, 'Nafi, the Mawla of Ibn Umar, and his Position in Muslim Hadith Literature', *Der Islam*, 1993, 70, ii, 207–44.

وقد ناقش هذا المقال المستشرق هيرالد موتزكي وبين ضعف النتائج التي توصل إليها، ومن ذلك حكمه على الأحاديث التي أخرجها الإمام مالك عن نافع بأنها من وضع الإمام مالك رحمه الله تعالى. انظر:

- Harald Motzki, "Whither hadith-studies? A Critical examination of G.H.A. Juynboll's 'Nafi' the mawla of Ibn 'Umar, and his position in Muslim *Hadith* –Literature Part 2" trans. Frank Griffel. *Der Islam* 73 (1996): 1.

تحليل الإسناد من خلال دراسة عدة نصوص حديثية تقلل من مكانة المرأة، عام ١٩٩٦م[1]؛ ودراسة بعض المصطلحات في علوم الحديث، عام ٢٠٠١م[2].

وقد أعد الطالب محبوب أكبر رسالة ماجستير باللغة الإنجليزية تناقش آراء هذا المستشرق ومعاصره هيرالد موتزكي في الحديث النبوي، من خلال برنامج القادة الإندونيسيين الشباب، الذي تشرف عليه وزارة الشؤون الدينية وجامعة ليدن، عام ٢٠٠٨م[3].

١٩- **المستشرق جون بيرتون** "John Burton"[4].

مستشرق بريطاني إسكوتلاندي معاصر، كان أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية، في جامعة إدنبره في إسكوتلاندا.

ومن مؤلفاته: جمع القرآن، "*The collection of The Qur'ān*" الذي نشرته جامعة كامبردج في ٢٨٤ صفحة، عام ١٩٧٩م؛ ومصادر التشريع الإسلامي: نظرية النسخ في الإسلام "*The Sources of Islamic Law: Islamic Theories of Abrogation*"، الذي نشرته جامعة إدنبرة في ٢٧٢ صفحة، عام١٩٩٠م؛ ومقدمة في علم الحديث "*An Intruduction to the Hadith*" الذي نشرته جامعة إدنبرة في ٢٤٠ صفحة، عام ١٩٩٥م.

---

[1] Gautier Juynboll, 'Some *Isnād*-Analytical Methods Illustrated on the Basis of Several Women-demeaning Sayings from *Ḥadīth* Literature,' in *Studies on Origins and Uses of Islamic Ḥadīth* (Aldershot: Variorum, 1996), 352.

[2] Gautier Juynboll, '(Re)appraisal of Some Technical Terms in Hadith Science', *Islamic Law and Society*, 2001, 8, 3, 303–49.

[3] تفاصيل الرسالة كما يأتي:

Mahbub Hefdzil Akbar, *On Muslim Traditions in Western Scholarship: A Study on the Views of G.H.A. Juynboll and Harald Motzki*, 2008.

انظر موقع البرنامج على الإنترنت على العنوان التالي:

(http://www.indonesianyoungleaders.org/index.php?page=1), 4/2/2011.

[4] لم أقف على ترجمة له، وما ذكر في ترجمته مقتبس مما وقفت عليه من معلومات خلال البحث عن كتاباته في شبكة الإنترنت.

أخرج كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام في ٣٢٨ صفحة، عام ١٩٨٧م، كما نشر عددا من المقالات في المجلات العلمية، منها: مقال "تلك الغرانيق العلى"، عام ١٩٧٠م[١]؛ و"نظرة جديدة في السنة الإسلامية"، عام ١٩٨٤م[٢]؛ و"الأخطاء اللغوية في القرآن"، عام ١٩٨٨م[٣].

٢٠- أ. **د. ويليم جراهام** "William A. Graham"[٤]:

مستشرق أمريكي معاصر، ولد في نورث كارولينا، عام ١٩٤٣م. حصل على شهادة الماجستير في تاريخ الأديان المقارن، قسم الدراسات الإسلامية، عام ١٩٧٠م، وحصل على شهادة الدكتوراه من كلية الآداب والعلوم، عام ١٩٧٣م، كما حصل على درجة الأستاذية عام ١٩٨٥م. تقلد العديد من المناصب الإدارية والعلمية، وهو أستاذ الدراسات الشرق أوسطية في جامعة هارفارد، ومهتم بتاريخ الإسلام الديني في القرون الأولى. عُيِّن مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط، عام ١٩٩٠-١٩٩٦م، ورئيسا لقسم حضارات ولغات الشرق الأدنى، عام ١٩٩٧-٢٠٠٢م، ثم عميدا لكلية اللاهوت في جامعة هارفارد، عام ٢٠٠٢م.

له العديد من المؤلفات والمقالات الأكاديمية والمراجعات العلمية، ومن كتاباته المتعلقة بعلم الحديث، مقال: الحديث والقرآن، عام ١٩٩٠م[٥]؛ وكتاب: الوحي الإلهي والكلام النبوي

---

[1] John Burton, "Those Are the High-Flying Cranes". *Journal of Semitic Studies*, 15, 1970, pp. 246-264.

[2] John Burton, ‘Notes Towards a Fresh Perspective on the Islamic Sunna’, *Bulletin of the British Society for Middle Eastern Studies*, 1984, 11, 17-31.

[3] John Burton, ‘Linguistic Errors In The Qur'ān’, *Journal Of Semitic Studies*, Volume XXXIII(2), Autumn 1988, pp. 181-196.

[4] Cf. William A. *Graham, Islamic and Comparative Religious Studies* (Ashgate Contemporary Thinkers on Religion: Collected Works), 2010, pp. xi-xii.

وانظر سيرته الذاتية على الإنترنت:

(http://www.hds.harvard.edu/faculty/cvs/graham2010.pdf), 12/2/2011.
(http://www.hds.harvard.edu/faculty/graham.cfm), 21/2/2011.

[5] William A. Graham, "Koran und Hadīth", Chapter 2 of *Orientalisches Mittelalter, ed. Wolfhart Heinrichs*. Vol. 5 of *Neues Handbuch der Literaturwissenschaft*, ed. Klaus von See, 25 vols. Wiesbaden, Athenaion, 1990, pp. 166-185.

في صدر الإسلام: إعادة النظر في المراجع مع الإشارة إلى الحديث القدسي، وقد طبع في ٢٦٦ صفحة، عام ١٩٧٧م[1]. ومن أواخر مؤلفاته كتاب دراسات إسلامية ودينية مقارنة، والذي نشر في ٤٠٠ صفحة، عام ٢٠١٠م[2].

٢١- **د. ليونارد ليبراند** "Leonard T. Librande"[3]:

مستشرق كندي معاصر درس اليونانية والرومانية، وكذلك المخطوطات العربية في جامعة سينت لويس وفي جامعة بنسلفانيا، وحصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة ماكجيل، في كندا، عام ١٩٧٦م، وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان: التناقضات في أقدم مرجعين في علوم الحديث: بدايات ظهور النوع "***Contrasts in the*** *two Earliest Manuals of 'Ulūm al-Hadīth: The Beginnings of the Genre*".

يعمل أستاذا مشاركا في قسم الأديان، كلية العلوم الإنسانية، جامعة كارلتون في كندا، وله عناية خاصة بعلم الحديث، ويتركز اهتمامه حاليا على كتابات ابن أبي الدنيا، وبخاصة ما يتعلق بالرحلات والأخلاق.

ومن أبحاثه المنشورة في علم الحديث: العالي والنازل: تأملات في الكتابة والرحلة في الإسلام، عام ١٩٧٨م[4]؛ ومقال الذهبي: أمصار ذوات الآثار، عام ١٩٨٠م[5]؛ وعلماء الحديث والضبط، عام ١٩٨٨م[6]. وله بحث قيد النشر في مجلة "***Studia Islamica***"، بعنوان: ابن أبي الدنيا: اليقين والأخلاق "Ibn Abi al-Dunya: Certainty and Morality".

---

1 William A. Graham, "*Divine Word and Prophetic Word in Early Islam: A Reconsideration of the Sources, with Special Reference to the Divine Saying, or So-called "Hadīth Qudsī"*", Walter de Gruyter, Berlin and New York, 1977.

2 William A. Graham, *Islamic and Comparative Religious Studies* (Ashgate Contemporary Thinkers on Religion: Collected Works), 2010.

٣ انظر الصفحة الخاصة به في موقع جامعة كارلتون الكندية:

http://www2.carleton.ca/chum/religion/religion/leonard-t-librande/

4 Leonard T. Librande, 'The Categories High and Low as Reflections on the Rihlah and Kitaba in Islam', *Der Islam*, 1978, 267–80.

5 Leonard T. Librande, "Al-Dhahabi's essay Amsar dhawat al-athar, *Bulletin d'études orientales*, vols. 32-33, 1980-81, pp. 113-160. Includes Arabic text.

6 Leonard T. Librande, 'The Scholars of Hadith and the Retentive Memory', *Cahiers d'Onomastique Arabe*, 1988–92, 1993, 39–48.

٢٢- **د. ليا كينبرغ** "Leah Kinberg"[١]:

مستشرق يهودي معاصر، تخرج في الجامعة العبرية في القدس، حيث حصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، وأكمل دراساته العليا في جامعة ميتشغن في أمريكا، وحصل على شهادة الدكتوراه في دراسات الشرق الأدنى، وكانت رسالته للدكتوراه دراسة نقدية لكتاب المنام لابن أبي الدنيا "*Ibn Abi al-Dunya, Kitab al-Manam*: A Critical Edition and Study". يعمل أستاذا في قسم تاريخ الدراسات الشرق الأوسطية والإفريقية في جامعة تل أبيب، منذ عام ١٩٨٦م.

له عدد من الكتب والأبحاث العلمية المحكمة، منها: دراسة لبعض الأحاديث المتعلقة بالفقر والثروة، والتي نشرت عام ١٩٨٩م[٢]؛ ودراسة حول الأحلام والحديث النبوي، نشرت عام ١٩٩٣م[٣]؛ ودراسة أخرى حول الأحلام وسيلة لتقييم الأحاديث، نشرها عام ١٩٩٩م[٤].

٢٣- **د. إريك ديكنسون** "Eerik Dickinson"[٥]:

مستشرق أمريكي معاصر، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة ييل "Yale University"، في أمريكا، برسالة عنوانها: نشأة النقد الإسلامي للحديث: مقدمة ابن أبي حاتم الرازي، عام ١٩٩٢م. شغل منصب مساعد مدير جامعة جورج تاون في واشنطن.

---

[١] انظر سيرته الذاتية على الإنترنت، على الموقع الآتي:
(http://www.tau.ac.il/~mideast/faculty/files/leahcv.doc), 13/3/2011.

[2] L. Kinberg, "Compromise of Commerce - a study of early traditions concerning poverty and wealth," *Der Islam* Band 66 Heft 2 (1989), 193-212.

[3] L. Kinberg, "Literal Dreams and Prophetic *Hadīth* in Classical Islam: a comparison of two ways of legitimation," *Der Islam*, Band 70 Heft 2 (1993), 279-300.

[4] Leah Kinberg, ‘Dreams as a Means to Evaluate Hadith’, Jerusalem Studies in Arabic and Islam, 1999, 23, 79–99.

[٥] انظر موقع مكتبة الأمازون على الإنترنت: (http://www.amazon.com)، ٢٠١١/١/٣م.

ومن جهوده في علم الحديث ما يأتي:

١- ترجمة مقدمة علوم الحديث للإمام ابن الصلاح، مع تعريف بالمؤلف، في ٣٥٦ صفحة، عام ٢٠٠٦م[١].

٢- نشأة النقد السني للحديث: مقدمة ابن أبي حاتم الرازي "*The Development of Early Sunnite Hadith Criticism: The Taqdima of Ibn Abi Hatim Al-Razi*"، وقد طبعته مطبعة بريل في ليدن في ١٤٦ صفحة، عام ٢٠٠١م. ويبدو أن هذا الكتاب –وهو رسالته للدكتوراه- قد طبع سابقا بعنوان نشأة النقد الإسلامي للحديث، عام ١٩٩٥م.

ومن أبحاثه العلمية المتعلقة بعلم الحديث، بحث ابن الصلاح الشهرزوري والإسناد، الذي نشر عام ٢٠٠٢م[٢].

٢٤- د. **كريستوفر ميلتشرت** "Christopher Melchert"[٣]:

مستشرق أمريكي معاصر، متخصص في الحركات والمؤسسات الإسلامية في القرنين التاسع والعاشر، حصل على الدكتوراه في التاريخ، من جامعة ولاية بنسلفانيا، في الولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٩٩٢م. يعمل محاضرا في اللغة العربية والإسلام، في معهد الدراسات الشرقية في جامعة أكسفورد، بريطانيا.

[1] Ibn al-Salāh. *An Introduction to the Science of the Hadīth* Trans. Dr. Eerik Dickinson. First ed. Garnet Publishing Limited, 2006.

[2] Eerik Dickinson, 'Ibn al-Salah al-Shahrazuri and the Isnad', *Journal of the American Oriental Society*, 2002, 122, 3, 481–505.

[٣] انظر الصفحة الخاصة به على الإنترنت:

(http://www.orinst.ox.ac.uk/staff/iw/cmelchert.html) 5/4/2011.

وانظر موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت:

(http://en.wikipedia.org/wiki/Christopher_Melchert), 5/4/2011.

نشر عددا من المقالات المتعلقة بعلم الحديث، منها: مسند الإمام أحمد: طريقة تأليفه وخصائصه بالنسبة للكتب الستة، عام ٢٠٠١م[١]؛ والبخاري والنقد المبكر للحديث، عام ٢٠٠١م[٢]؛ والتقوى عند المحدثين، عام، ٢٠٠٢م[٣]؛ ومقال آخر حول رواة الحديث، عام ٢٠٠٢م[٤]؛ وسيرة أبي داود السجستاني وأعماله، عام ٢٠٠٨م[٥].

٢٥- أ. **د. هيرالد موتزكي** "Harald Motzki"[٦]:

مستشرق ألماني معاصر، له عناية خاصة بالفقه الإسلامي وعلم الحديث، وهو أستاذ الدراسات الإسلامية في معهد اللغات والثقافات الشرق أوسطية، جامعة نايميغن، هولندا "University of Nijmegen, the Netherlands"، والتي أصبح اسمها جامعة رادبود نايميغن، عام ٢٠٠٤م. ومن أشهر مؤلفات هذا المستشرق ما يأتي:

- سيرة محمد: قضية المصادر "*The Biography of Muhammad: The issue of the sources*". جمع فيه المؤلف عشرة مقالات لمجموعة من الباحثين حول مصادر السيرة النبوية. وقد نشر الكتاب مطبعة بريل في ليدن، في ٣٣٠ صفحة، عام ٢٠٠٠م.

- كتاب نشأة الفقه الإسلامي: الفقه المكي قبل نشأة المدارس الفقهية، "*The Origins of Islamic Jurisprudence: Meccan Fiqh before the Classical schools*" والذي نشر باللغة الألمانية عام ١٩٩١م، وترجمه إلى الإنكليزية ماريون كاتز، وطبع في مطبعة بريل في ليدن، في ٣٢٦ صفحة، عام ٢٠٠٢م.

---

[1] Christopher Melchert, ‘The Musnad of Ahmad ibn Hanbal: How it was Composed and What Distinguishes it From the Six Books’, *Der Islam*, 2005, 82, 32–51.

[2] Christopher Melchert, ‘Bukhari and Early Hadith Criticism’, *Journal of the American Oriental Society*, 2001, 121, 1, 7–19.

[3] Christopher Melchert, ‘The Piety of the Hadith Folk’, *International Journal of Middle East Studies*, 2002, 34, 3, 425–39.

[4] Christopher Melchert, 'Early Renunciants as Hadīth Transmitters', *The Muslim World*, September 2002, Volume 92, Issue 3-4, pages 407–418.

[5] Christopher Melchert, ‘The Life and Works of Abu Dawud al-Sijistani’, *Al-Qantara*, 2008, XXIX, 1, 9–44.

[٦] تم جمع المعلومات عنه من خلال الإنترنت، وانظر ترجمة له مختصرة باللغة الهولندية في موقع جامعة رادبود: (http://www.ru.nl/arabisch/motzki/)، ٢/٤/٢٠١١م.

- كتاب الحديث: نشأته وتطوره "*Hadith: Origins and Developments*". جمع فيه مقالات لستة عشر مستشرقا، أحدها من إعداده. وقد نشر هذا الكتاب في ٤٢٤ صفحة، عام ٢٠٠٤م.

- تحليل الأحاديث: دراسة في أحاديث الفقه والتفسير والمغازي "*Analysing Muslim Traditions: Studies in Legal, Exegetical and Maghazi Hadith*". وقد كتب هذا الكتاب بالاشتراك مع شون أنتوني "Sean W. Anthony"، ونيكوليه بيكوف دير فورت "Nicolet Boekhoff-van der Voort"، وقد طبع هذا الكتاب في مطابع بريل في ٥٠٢ صفحة، عام ٢٠٠٩م.

كما نشر عددا من الأبحاث العلمية، نحو: مصنف عبد الرزاق الصنعاني مصدرا للأحاديث الصحيحة في القرن الأول، عام ١٩٩١م[1]؛ والمؤلف وعمله في التراث الإسلامي في القرون الأولى: مصنف عبد الرزاق نموذجا، عام ٢٠٠٣م[2]؛ والدراسات الحديثية إلى أين: دراسة نقدية لمقال جوينبول حول مكانة نافع في علم الحديث، عام ٢٠٠٥م[3]؛ وتاريخ الحديث، عام ٢٠٠٥م[4].

وقد سبقت الإشارة إلى دراسة نقدية لنظرة هذا المستشرق إلى علم الحديث، في ترجمة المستشرق غوتييه جوينبول.

---

[1] Harald Motzki, ‘The Musannaf of Abd al-Razzaq al-Sanani as a Source of Authentic Hadith of the First Century’, *Journal of Near Eastern Studies*, 1991, 50, 1–21.

[2] Harald Motzki, ‘The Author and his Work in the Islamic Literature of the First Centuries: The Case of Abd al-Razzaq’s *Musannaf*’, *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, 2003, 28, 1–31.

[3] Harald Motzki, “Whither hadith-studies? A Critical examination of G.H.A. Juynboll’s ‘Nafi’ the mawla of Ibn ‘Umar, and his position in Muslim *Hadith* –Literature Part 2” trans. Frank Griffel. *Der Islam*, 73 (1996): 1.

[4] Harald Motzki, ‘Dating Muslim Traditions: A Survey’, *Arabica*, 2005, 52, 2, 204–53.

٢٦- **د. سكوت لوكاس** "Scott C. Lucas"[١]:

مستشرق أمريكي معاصر، حصل على شهادة الماجستير من جامعة شيكاغو في لغات الشرق الأدنى وحضاراته، عام ١٩٩٨م، كما حصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ٢٠٠٢م. ويعمل أستاذا مساعدا في قسم دراسات الشرق الأدنى، في جامعة أريزونا، منذ عام ٢٠٠٤م.

له اهتمام خاص بمؤلفات علماء الحديث في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين أيام الخلافة العباسية، وقد كانت أول دراسة له بعنوان: نقاد الحديث وتجسيد الإسلام السني "*Constructive Critics, Hadith Literature, and the Articulation of Sunni Islam*"، أبرز فيها أثر نقاد الحديث في تشكيل الإسلام السني، وقد نشرت هذه الدراسة عام ٢٠٠٤م، في ٤٢٣ صفحة[٢]. وهو بصدد إعداد ترجمة مع تعليقات لمقتطفات من تفسير الطبري، برعاية مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي.

وله عدد من الأبحاث العلمية المنشورة، منها: الأصول الفقهية لمحمد بن إسماعيل البخاري وعلاقتها بالاتجاه السلفي، عام ٢٠٠٦م[٣]؛ والأحاديث الفقهية: دراسة لمصنف ابن أبي شيبة، عام ٢٠٠٨م[٤]؛ والطلاق عند علماء الحديث: من الدارمي إلى الترمذي، عام

[١] انظر سيرته الذاتية باللغة الإنجليزية في الموقع التالي:
(http://nes.web.arizona.edu/Lucas_CV_9-09.pdf), 12/3/2011.
وانظر كذلك الموقع التالي:
(http://www.blackwell-compass.com/subject/religion/article_biog?article_id=reco_articles_bpl058), 12/3/2011.

[٢] معلومات الكتاب كما يأتي:
- Scott C. Lucas, *Constructive Critics, Hadith Literature, and the Articulation of Sunni Islam: The Legacy of the Generation of Ibn Sa'd, Ibn Ma'in, and Ibn Hanbal*, (Islamic History and Civilization: Studies and Texts), vol. 51, Leiden, Brill, 2004.

[3] Scott C. Lucas, "The Legal Principles of Muhammad b. Isma'il al-Bukhari and their relationship to Classical Salafi Islam", *Islamic Law and Society*, 13, 3 (2006), 289-324.

[4] Scott C. Lucas, "Where are the Legal Hadiths? A Study of the Musannaf of Ibn Abi Shayba", *Islamic Law and Society*, 15, 3, (2008), 283-314.

٢٠٠٨م[١]؛ والموضوعات الرئيسة في الحديث، عام ٢٠٠٨م[٢]؛ وإعادة النظر في أصول فقه المحدثين، عام ٢٠١٠م[٣]؛ وغير ذلك من المقالات الأكاديمية والمراجعات العلمية لعدد من الكتابات الغربية المتعلقة بالقرآن الكريم وعلم الحديث والتاريخ الإسلامي[٤]. كما أعد مبحثا لكتاب تذكاري عن الأستاذ الدكتور وداد القاضي، بعنوان: الحاكم النيسابوري وصحابة النبي: صوت سني أصيل في قرن شيعي[٥].

---

[1] Scott C. Lucas, "Divorce, Hadith-scholar Style: From al-Darimi to al-Tirmidhi", *Journal of Islamic Studies*, 19, 3, (2008), 325-68.

[2] Scott C. Lucas, "Major Topics of the Hadith", *Religion Compass*, 2, (2008), 10.1111/j.1749-8171.2007.00058.x (Blackwell).

[3] Scott C. Lucas "Principles of Traditionist Jurisprudence Reconsidered", *the Muslim World*, 100, (1), 2010, pp. 145-156.

[٤] انظر تفصيلا لتلك المشاركات العلمية في سيرته العلمية على الإنترنت: (http://nes.web.arizona.edu/Lucas_CV_9-09.pdf), 2/2/2011.

[5] Scott C. Lucas, *Al-Hakim al-Naysaburi and the Companions of the Prophet: An Original Sunni Voice in the Shi'i Century*. to appear in the Festschrift for Professor Wadad al-Qadi (Brill, 2009).

الخاتمة

عرض البحث لتعريف الاستشراق ونشأته، وبين جهود المستشرقين في علم الحديث، والموقف الواجب اتخاذه منها، كما عرض لأهم المرتكزات المنهجية الخاطئة، والمنطلقات الفكرية المنحرفة في دراسات المستشرقين في علم الحديث، وترجم لمجموعة من أشهر المستشرقين المعاصرين المهتمين بعلم الحديث.

ويمكن تلخيص **نتائج البحث** فيما يأتي:

١ -تعريف المراد بمصطلح "الاستشراق" و"المستشرقون"، وبيان نشأة حركة الاستشراق الرسمي وغير الرسمي، والتأكيد على استمرار حركة الاستشراق وتطورها، وعدم توقفها، وإن طرأ تحول على مسمياتها، ومجالات اهتماماتها، بما يتناسب مع المتطلبات والاحتياجات المعاصرة للمؤسسات التي يعمل فيها أبناء هذه الحركة، والدول التي يعيشون في أكنافها، مع الإشارة إلى تخلي كثير من المستشرقين المعاصرين عن هذا المصطلح، لعدم وضوحه ودقته من جهة، ولما اصطبغ به من أوصاف سلبية، وتاريخ علمي بعيد عن الإنصاف والموضوعية، من جهة أخرى.

٢ -تقديم تصور عام لطبيعة اهتمام المستشرقين بالحديث النبوي الشريف، في مجال التحقيق، والتأليف والترجمة، وبيانُ المواقف المختلفة من الاستشراق بين إفراط في المدح والثناء، وتفريط يتمثل في تجاهل جهودهم العلمية والتشكيك فيها، والدعوةُ إلى اتخاذ موقف وسط ينصف المستشرقين، فيعترف بالجهود العلمية لبعضهم، كما يحذر من الانحرافات المنهجية والفكرية التي طغت على دراسات كثير منهم. فالإنصاف يقتضي أن يُعطى كل ذي حق حقه، وأن لا تظلم حركة الاستشراق عموما بسبب غلبة الطابع السلبي عليها.

٣ -تجلية المرتكزات المنهجية الخاطئة لدراسات المستشرقين في علم الحديث، التي أدت إلى انحراف دراسات المستشرقين في علم الحديث عن مسارها الصحيح، وأوصلتهم إلى نتائج لا تنسجم مع طبيعة الحديث الشريف. وقد أجمل البحث تلك المرتكزات في التحامل على الإسلام والبعد عن الموضوعية؛ والمنهج المادي التاريخي؛ ونظرية التطور وتطبيقها على دراسة الأديان؛ والانتقاء الكيفي، والاستقراء الناقص وتعميم نتائجه؛ والشك غير المنهجي والاعتماد على الاحتمالات؛ والاعتماد على المصادر غير الأصيلة.

٤ -بيان المنطلقات الفكرية المنحرفة لدراسات المستشرقين في علم الحديث، التي تمثل شبهاتهم الرئيسة حول هذا العلم، والتي نتج عنها العديد من الشبهات الفرعية. وتتلخص تلك المنطلقات في التصور الخاطئ عن الرسول ﷺ والدين الذي جاء به؛ وإنكار كون الحديث مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي في صدر الإسلام؛ ودعوى افتقار عملية رواية الأحاديث في صدر الإسلام إلى المنهج العلمي؛ وشبهة تأخر ظهور منهج نقد الروايات؛ ودعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث؛ وعدم الثقة برواة الحديث من الصحابة والتابعين.

٥ -التأكيد على أهمية التعرف على المرتكزات المنهجية الخاطئة والمنطلقات الفكرية المنحرفة في دراسات المستشرقين لعلم الحديث ومناقشتها، قبل المضي في دراسة شبهاتهم الجزئية حول هذا العلم، حيث إن التمكن من بيان زيف هذه المرتكزات يعمل على تجلية موقفهم من هذا العلم، ودحض شبهاتهم حوله، وتحصين المسلمين ضد تلك الشبهات.

٦ -التنبيه على أن ما عرضه البحث من مرتكزات منهجية خاطئة، ومنطلقات فكرية منحرفة يمثل مزالق رئيسة في دراسات عامة المستشرقين لعلم الحديث، ولا يعني ذلك انطلاق كل باحث غربي في هذا العلم منها جميعا، فربما تحرر بعض المستشرقين -لاسيما المعاصرين منهم- من بعضها أو كثير منها. وقد سبقت الإشارة إلى ظهور محاولات جادة من قبل الباحثين الغربيين المعاصرين للتخلص من تلك الأخطاء المنهجية أو المنطلقات الفكرية المنحرفة، والتخفيف من آثارها في دراساتهم.

ويرجو الباحث أن تسهم هذه الدراسة في أمرين رئيسين:

١ -إدراك المسلمين حقيقة موقف المستشرقين من الحديث الشريف، وتعرفهم على شبهاتهم حوله، والتوصل إلى الطريقة المناسبة للتعامل مع تلك الشبهات وأصحابها.

٢ -إدراك الباحثين الغربيين المعاصرين لحقيقة المؤثرات التي تصرف أبحاثهم -في الإسلام عامة وفي الحديث الشريف خاصة- عن الموضوعية والإنصاف، عسى أن يعملوا جاهدين على التخلص منها وتجنب آثارها.

أما أعداء الإسلام من مستشرقين وغيرهم، الذين يهدفون إلى التشكيك في سنة النبي ﷺ، والتقليل من شأنها، أو يسعون إلى تحريفها وتبديلها، فينطبق عليهم قول الأعشى:

كَناطِحٍ صَخْرةً يوماً ليوهنَها فَلم يَضِرهَا وَأَوهَى قَرْنَه الوَعِل

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ (الحجر: ٩)، والسنة مبيِّنة للقرآن ومفسِّرة له، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون﴾ (النحل: ٤٤)، ومن مقتضيات حفظ المبيَّن حفظُ بيانه وهو السنة، وهذا يقتضي أن الله عز وجل قد تكفل بحفظ السنة كذلك. فلم يوكل سبحانه وتعالى حفظ مصادر هذا الدين لعزمات البشر واستطاعاتهم، كما فعل بالكتب والديانات السابقة، وإنما أراد لهذا الدين أن يكون خاتم الأديان، وأن يستمر إلى آخر الأزمان، فتكفل بحفظ مصدريه –القرآن والسنة– من الزيادة والنقصان، وهيأ للقيام بحمل هذه الأمانة من كل خلف عدوله، ينفون عن القرآن والسنة تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وفي الختام **يوصي** البحث بما يلي:

١ -العناية بتجلية مرتكزات المستشرقين المنهجية الخاطئة، ومنطلقاتهم الفكرية المنحرفة في دراساتهم لمختلف أنواع العلوم الإسلامية، الأمر الذي يعين على إعطاء نظرة كلية لشبهاتهم حول تلك العلوم.

٢ -إفراد أبحاث متخصصة لدراسة تلك المرتكزات والمنطلقات، وإبرازها في كتابات المستشرقين، ومناقشتها والرد عليها بأسلوب مباشر أو غير مباشر.

٣ -العمل على تجلية الصورة الحقيقية للعلوم الإسلامية، وإبراز جهود العلماء المحققين فيها، من أجل تحصين الأمة ضد شبهات المستشرقين وأتباعهم.

٤ -توجيه مجموعة من الأبحاث إلى دراسة جهود المستشرقين المعاصرين في علم الحديث خاصة، والعلوم الإسلامية عامة، للوقوف على مدى تطور نظرة الحركة الاستشراقية إلى علم الحديث، وتجنب الحكم على الجهود المعاصرة بناء على التصور السلبي الذي عكسته جهود المستشرقين السابقين في هذا العلم.

٥ -إنشاء موقع متخصص في عرض ومناقشة دراسات المستشرقين في العلوم الإسلامية عامة، وفي علم الحديث خاصة، بحيث يهتم بعرض الصورة المشرقة لتلك العلوم، ويبرز جهود العلماء فيها، كما يناقش شبهات المستشرقين ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية.

أ- الكتب:

- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، د. محمد خليفة حسن، (عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، للأستاذ قاسم السامرائي، (دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن إبراهيم، (دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٤م).
- الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٧، ٢٠٠٥م).
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، (كتاب الأمة، قطر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- الاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور علي بن إبراهيم الحمد النملة، (مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، الدكتور مصطفى السباعي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر، الدكتور عدنان محمد وزان، (سلسلة دعوة الحق رقم:٢٤، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، الدكتور فالح بن محمد الصغيّر، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ).
- الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة الدكتور عمر فروخ، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م).
- الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- أضواء على التاريخ الإسلامي، الأستاذ فتحي عثمان، (د.م. ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م).
- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، (دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م).
- اهتمام المحدثين بنقد الحديث، للدكتور محمد لقمان السلفي، (د.ن، الرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م).
- البحث الأدبي: طبيعته مناهجه أصوله مصادره، الدكتور شوقي ضيف، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م).
- تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية، برنارد لويس، (د.م.، ط٢، د.ت.).
- تاريخ التراث العربي، فؤاد سيزكين، ترجمة: محمود فهمي حجازي، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، (مطبعة الزعيم، بغداد، ١٩٦١م).
- تأويل مختلف الحديث، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد زهري النجار، (دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م).
- تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، للشيخ أحمد شاكر، عناية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)،
- التعليقات النقدية على كتاب دراسات محمدية، الدكتور الصّدِّيق بشير نصر، (مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق، لندن، ط٢، ٢٠٠٩م).
- التفكير العلمي، الدكتور فؤاد زكريا، (ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- التفكير المستقيم والتفكير الأعوج، روبرت ثاولس، ترجمة حسن سعيد الكرمي، (سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- تقييد العلم، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق يوسف العش، (دار إحياء السنة النبوية، د.م.، ط٢، ١٩٧٤).

- الجامع الصحيح "سنن الترمذي"، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر، (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
- حضارة العرب، غوستاف لوبون، (الترجمة العربية، ط٣، ١٩٦٥م).
- الخطاب الفلسفي المعاصر: من العام إلى الأعم، للدكتور السيد محمد الشاهد، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م).
- دائرة المعارف الإسلامية، النسخة المترجمة إلى العربية، (دار الشعب، القاهرة، ١٩٣٣م).
- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه)، رودي بارت، ترجمة مصطفى ماهر، (القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ت).
- الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، (معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢م).
- دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- دراسات محمدية (الجزء الثاني)، إجنتس جولدتسيهر، ترجمة الصِّدّيق بشير نصر، (مركز العالم الإسلامي لدراسات الاستشراق، لندن، ط٢، ٢٠٠٩م).
- دفاع عن أبي هريرة، لعبد المنعم صالح العلي (دار القلم، بيروت، ١٩٨١م).
- الدولة العربية وسقوطها، يوليوس ولهاوزن، ترجمة الدكتور يوسف العش، (مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م).
- رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب، (المنتدى الإسلامي، لندن، ط٢، ١٤١١هـ).
- زيارة جديدة للاستشراق، أنور محمود زناتي، (مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٦م).
- السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- السنة مع المستشرقين والمستغربين، د. تقي الدين الندوي، (المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور مصطفى السباعي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
- السنن الكبرى، للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، عبد المتعال محمد الجبري، (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة محمد عبد العظيم علي، نقد وتحقيق وتصويب الدكتور عبد المتعال محمد الجبري، (دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (مصر: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)
- الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ط٩، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- العقيدة والشريعة في الإسلام، إجناس جولدتسيهر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، (دار الكاتب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م).
- عناية المحدثين بمتن الحديث كعنايتهم بسنده، الدكتور محمود بن أحمد الطحان، (مكتبة دار التراث، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- العرب في التاريخ، برنارد لويس، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤م).
- العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة، د. خالد الدريس، (دار المحدث، الرياض، ١٤٢٥هـ).
- فصول في التفكير الموضوعي، الدكتور عبد الكريم بكار، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، محمد البهي، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م).
- فلسفة العلوم، الدكتور بدوي عبد الفتاح محمد، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م).
- في تاريخ التشريع الإسلامي، للمستشرق كولسون "N. J. Coulson"، ترجمة: د. محمد أحمد سراج، (دار العروبة، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان الشهير بالمتقي الهندي، تحقيق بكري حياني وصفوت السقا، (مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- كيف تكتب بحثا أو رسالة، د. أحمد شلبي، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢٢، ١٩٩٦م).
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ).
- محمد في مكة، مونتجمري واط، ترجمة سفيان بركات، (المطبعة العصرية صيدا، د.ت.).
- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح بن حمد العساف، (الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ).
- المستدرك على الصحيحين، للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).
- المستشرقون، نجيب العقيقي، (دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٨٠م).
- المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، جمع وإعداد صلاح الدين المنجد، (دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨م).
- المستشرقون البريطانيون، للدكتور ا. ج. آربري، تعريب محمد الدسوقي النويهي، (وليم كولينز، لندن، ١٩٤٦م).
- المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م).
- المستشرقون والحديث النبوي، الدكتور محمد بهاء الدين، (دار النفائس، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت.).
- مسند الشاميين للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
- مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف، د. علي بن إبراهيم النملة، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- المعجم الفلسفي، الدكتور مصطفى حسيبه، (دار أسامة، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م).
- المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، (دون مكان نشر، ودون تاريخ).

- مقاييس نقد متون السنة، للدكتور مسفر الدميني، (الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- مناهج البحث، د. غازي عناية، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، للأستاذ محمد البشير مغلي، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ديوبلد ب فان دالين، ترجمة الدكتور محمد نبيل نوفل وزملائه، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م).
- مناهج البحث والمصادر في الدراسات الإسلامية والعربية، للدكتور محمد السعيد جمال الدين، (دار مرجان للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ).
- منهج النقد عند المحدثين: نشأته وتاريخه، د. محمد مصطفى الأعظمي، (شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- منهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين عتر، (دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- منهج مقارنة الروايات عند المحدثين، فتح الدين بيانوني، (رسالة ماجستير، قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م).
- الموضوعات، للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد بن عثمان، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة).
- موقف الاستشراق من السيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري، (الرياض، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ/١٩٩٨م).

ب- المقالات:

- "الاستشـــــــراق الأمريكـــــــي: الجـــــــذور والملامـــــــح"، هشـــــــام منـــــــور، (http://almoslim.net/node/107422)، ١٤٣٠/٢/٢٧هـ
- "الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة"، عمر فروخ، في الإسلام والمستشرقون، (دار المعرفة، جدة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- "الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين"، السيد محمد الشاهد، مجلة الاجتهاد، عدد ٢٢، السنة السادسة، شتاء عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- "الإسلام والمستشرقون"، الشيخ أبو الحسن الندوي، (البعث الإسلامي، ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م).
- "إيميل درمنجم.. زلات حب"، حلمي النمنم، (جريدة الاتحاد الإماراتية، ٢٠٠٩/١١/١٢م)، (http://www.alittihad.ae/details.php?id=36451&y=2009).
- "ثناء على الاستشراق"، فرانسيسكو غابرييلي، نشر الأصل بالفرنسية بعنوان: " Apologie de l'Orientalisme" في مجلة *Diogene*، عدد: ٥٠، ١٩٩٥م.
- "جولدتسيهر: ترجمته، مؤلفاته، أهم الردود عليه"، الدكتور ماهر خميس، (موقع الملتقى العلمي للعقيدة والمذاهب المعاصرة)، (http://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=3741), 5/10/2010.
- "حديث"، للمستشرق "جوينبول"، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ٣٩١/١٣.
- "دفاع عن الاستشراق"، هشام صالح، جريدة الشرق الأوسط، (العدد ١١٣٥٦، الخميس: ١٤ محرم ١٤٣١هـ/ ٣١ ديسمبر ٢٠٠٩م).
- "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية"، مكسيم رودنسون، في تراث الإسلام (القسم الأول)، تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري وحسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط٢، ١٩٨٨).
- "ضوابط الرواية في ضوء القرآن الكريم"، فتح الدين بيانوني، (مجلة "معالم القرآن والسنة"، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، السنة الأولى، العدد الأول، ٢٠٠٥م).
- "عرض تأريخ الإسلام وحضارته في مؤلفات كارل بروكلمان ويوهان فوك"، للأستاذ الدكتور مانفريد فلايشهامر "Manfred Fleischhammer"، (مجلة التراث العربي، دمشق العدد الثامن، السنة الثانية، تموز "يوليو" ١٩٨٢م، (http://awu-dam.org/trath/08/turath8-022.htm).

- "عرض نقدي لكتاب (*The Study of the Middle East*, Edited by Leonard Binder)"، للأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن، (مجلة "دراسات استشراقية وحضارية"، (مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الأول، ١٤١٣هـ)، ص٣٥٨-٣٧٤.
- "كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف"، د. علي بن إبراهيم النملة، دراسات استشراقية وحضارية، (مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الأول، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- "مسألة الاستشراق"، برنارد لويس (الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة وإعداد: هاشم صالح، (دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م).
- "المستشرق شاخت والسنة النبوية"، د. محمد مصطفى الأعظمي، (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية).
- "المستشرقون والسيرة النبوية"، الدكتور عماد الدين خليل، (البعث الإسلامي، ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م).
- "المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات"، د. عماد الدين خليل، (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، د.م.، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- "مصطلح الاستشراق"، أنور محمود زناتي، المنشور على موقع مسلم أون لاين على العنوان التالي: (http://moslimonline.com/?page=artical&id=3669).
- "معالم نقد الروايات في القرآن الكريم"، فتح الدين بيانوني، (ملتقى نقد المتن الحديثي، عمّان، الأردن، ٢-٣/١٠/٢٠٠٤م).
- "مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس"، للدكتور مصطفى الشكعة، (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، د.م.، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- "موقف المستشرقين من السنة النبوية: الأهداف والوسائل والنتائج"، للدكتور جمال أحمد بادي، (مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد الأول، يونيو، ٢٠٠٤).
- "هزيمة الاستشراق"، للأستاذ أنور الجندي، (ملتقى تونس، دار بوسلامة، ١٩٨٥م).
- "هل انتهى الاستشراق حقا؟"، للدكتور مازن صلاح مطبقاني، (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة الخامسة عشرة، العدد ٤٣، رمضان ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

ثانيا: المراجع الأجنبية.

أ- مراجع عامة (General References):

- Chambers English Dictionary, 7th ed., 1990.
- *The Encyclopaedia of Islam*, (Leiden, new edition, 1960-).
- *The new Encyclopedia Britannica*, Chicago, 1768.
- "*Who's Who*", an annual biographical dictionary, London, A&C Black Publisher Ltd., 1981.
- "*Who Was Who*", vol. viii, (1981-1990), London, A&C Black Publisher Ltd., 1991.
- "*The Writers Directory*" (1974-76), London, St. James Press; New York, St. Martin's Press, 1973.

ب- الكتب (Books):

- al-Ḥākim al-Naysabūrī. *al-Madkhal fī 'ilm al-Ḥadīth*. being *al-Madkhal ilā ma'rifat al-Iklīl*, edited with introduction, translation and notes by James Robson. (The Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, London 1953).
- al-Khatīb al-Tibrīzī, Muhammad b. 'Abd-Allah. *Mishkat al-Masabih*, (English translation with explanatory notes, by James Robson.), 4 vols., Lahore, 1963-65.
- Anderson, J.N.D. *The World Religion*, London, 1950.
- Andrae, Tor. *Mohammed, The Man and His Faith*, London, 2nd ed., 1956.
- Beyanouni, Fathiddin. *Methodology of Learning and Evaluating Hadīth in the First Century of Islam*, Research Center, International Islamic University Malaysia, 2006.
- Beyanouni, Fathiddin. *The Noble Hadith In the early days of Islam: a critical study of a Western approach*, Research Center, International Islamic University Malaysia, 2005.
- Binder, Leonard, ed., *The Study of the Middle East, research and scholarship in the Humanities and Social Sciences*, A project of Research and Training Committee of the Middle East Studies Association, John Wiley and Sons, New York and London.
- Brockelmann, Carl. *Geschichte der Arabischen Literatur*, Leiden 1938.
- Cetani, L. *Islam Tarihi*, Mut.Hueyin Cahid, Istanbul, 1924.
- Coulson, N. J. "European criticism of Hadith literature", *Arabic literature to the end of the Umayyad period*, (The Cambridge history of Arabic literature II), Cambridge, 1983.
- Gibb, H. R. *Mohammedanism, An Historical Survey*, (Oxford University Press, London, Second ed., 1964).

- Goldziher, Ignaz. *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), translated from the German by C.R. Barber and S.M. Stern, (George Allen & Unwin Ltd., London, 1971).
- Guillaume, Alfred. *The Tradition of Islam, An Introduction to Study of Hadith Literature*, Khayat Book & Publishing Company, Beirut, 1966.
- Hart, Michael. *The 100 A Ranking Of The Most Influential Persons In History*, Coral Publishing Group INC, USA, 1993.
- Schacht, Joseph. *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, (the Clarendon Press, Oxford, 1950).
- Southern, R. W. *Western view of Islam in the Middle Ages*, Harvard University Press, 1962.
- Tritton, A.S. *Islam: Belief and Practice*, London, 1957.
- Watt, Montgomery. *Muhammad at Mecca*, (Oxford University press, Karachi, 1979).
- Watt, W. Montgomery. *Muhammad, Prophet and Statesman*, (Oxford University Press, London, 1961).

ج- المقالات (Articles)

- Buskens, Leon. "Overlijdensbericht Dr G. H. A. Juynboll (1935-2010)", http://www.hum.leidenuniv.nl/lucis/actueel/juynboll.html
- Robson, James. “Hadith”, *The Encyclopaedia of Islam*, (Leiden, new edition, 1960-), vol. 3, P. 26.
- Robson, James. “Muslim Tradition: the question of authenticity, (*Memoirs and proceedings of the Manchester Literary & Philosophical Society*, (*Manchester Memoirs*), 93, 1951/52, pp. 84-102).
- Robson, James. "Non-Resistance in Islam", (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society. Glasgow*, 9, 1938/39, pp. 2-11).
- Robson, James. "Standards applied by Muslim traditionists", (*Bulletin of the John Ryland Library*, Manchester, 43, 2, 1961, pp. 459-79).
- Robson, James. "The Form of Muslim Tradition", (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society*. 16, 1955/56).
- Robson, James. "The *Isnād* in Muslim Tradition", (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society*. Glasgow. 15, 1953-54, 15-26).
- Robson, James. "The material of Tradition I", (*The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 166-80).
- Robson, James. “The Material of Tradition II”, (*The Muslim World*, Hartford, 41, 1951, pp. 257-70).
- Robson, James. "Tradition, the second foundation of Islam", (*The Muslim World*, Hartford, 41, 1951, 22-32.
- Robson, James. "Tradition: investigation and classification", (*The Muslim World*. Hartford. 41, 1951, pp. 98-112).

ثالثا: مواقع الإنترنت:

- برنامج القادة الإندونيسيين الشباب:

(http://www.indonesianyoungleaders.org/index.php?page=1).

- جامعة رادبود نايميغن "Radboud University Nijmegen": (http://www.ru.nl).
- جامعة كارلتون: (http://www2.carleton.ca/chum/religion/religion/leonard-t-librande/).
- جامعة كاليفورنيا: (http://www.polisci.ucla.edu/people/faculty-pages/leonard-binder).
- جامعة ليدن: (http://www.hum.leidenuniv.nl/lucis).
- جامعة ميتشغن: (http://www-personal.umich.edu/~beh/hb/juyn).
- جامعة هارفرد: (http://www.hds.harvard.edu/faculty/graham.cfm).
- الجزيرة: (http://aljazeera.net).
- الجمعية البريطانية اليمنية على الإنترنت: (http://www.al-bab.com/bys/obits/serjeant.htm).
- قسم الاستشراق، جامعة طيبة: (http://www.taibahu.edu.sa/cms/pages.aspx?pid=5552).
- مجلة العالم الإسلامي: (http://www.blackwellpublishing.com/journal.asp?ref=0027-4909).
- مجلة الكليات الأمريكية للأبحاث الشرقية: (http://www.bu.edu/asor/pubs/basor/index.html).
- مجلة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية:

(http://journals.cambridge.org/action/displayJournal?jid=BSO).

- مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق، إشراف الدكتور مازن المطبقاني:

(http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=1&RPID=1&LID=1).

- مسلم أون لاين: (http://moslimonline.com).
- معجم الشخصيات التاريخية: (http://www.dictionaryofarthistorians.org).
- مكتبة الأمازون:

(http://www.amazon.com/Aisha-Beloved-Mohammed-Nabia-Abbott/dp/0863560075).

- الموسوعة الأرثوذكسية على الإنترنت: (http://ar.orthodoxwiki.org).
- موسوعة ويكيبيديا: (http:// wikipedia.org).

فهرس المحتويات